christianlib.com

الله والإنسان

المتروبوليت أنطوني بلوم

christianlib.com

نَقلَهُ إلى العربيّةِ ونشرَهُ
دَيرا القديس جاورجيوس والشيرويم
صَيدنايا 2012
coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اللهُ والإنسَانُ

المتروبوليت أنطوني بلوم

نَقلَهُ إلى العربيّةِ ونشرَهُ

دَيريُ القديسِ جاورجيوس والشيروبيم

صيدنايا

2012

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

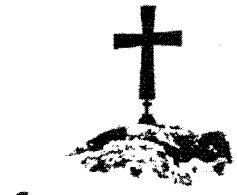

دير القديس جاورجيوس
Saint Georges
Monastery Patriarchal
دير الشيروبيم
Cherubim
Monastery Patriarchal

Saint George Patriarchal Monastery
Tel: *+963 11 595 06 46 - 595 58 82*
Cherubim Patriarchal Monastery
Tel: *+963 11 595 33 77*
Fax: *+963 11 595 06 29*
Damascus *P.O.BOX: 22458*
E-mail: *sgssay@mail.sy - f.youhanna@msgchp.com*
URL: *http://www.msgchp.com/*
Saidnaya, Syria - Damascus

طبعة أولى

2012

تمت طباعة هذا الكتاب على نفقة الدكتورة عبير حداد
من أجل صحة عائلتها، وعن راحة نفس والديها جورج حداد ونظيرة يازجي.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

شرحُ شعارِ المنشورات

هي من الأيقوناتِ البيزنطيّةِ الأولى. يعودُ تاريخُها للقرنِ الرابـــعِ. وتُسمى باسمِ (الصليبِ البيزنطيِّ). وهي مَليئةٌ بالرموزِ التي نُلاحِظُها، فَمِنَ الأعلى إلى الأسفل نجدُ:

1- الروحَ القدسَ وهو أيضاً الروحُ المحيي، وهنا يسكُبُ قوةَ الحياةِ على رموزِ هذهِ الأيقونةِ وقد رُسِمَ بشكلِ حمامةٍ للدلالةِ على معرفتِنا به خاصةً في سرِّ العمادِ المقدّسِ.

2- الشكلَ المحدّدَ للصليبِ المغمورِ بحلولِ الروحِ القدسِ عليهِ وانسكابِ الماءِ منه الذي يرمزُ للحياةِ، ويسوعُ هو الحياةُ (يو6:14).

3- وَعلين عن يمينِ ويسارِ بركةِ الحياةِ، وهما يمثلانِ الشعبَ الذي لم يصلْ بعدُ إلى الإيمانِ، ولذا نجدُهُما خارجَ بركَةِ المياهِ. وهذه البركةُ رمزٌ للملكوتِ.

4- خرافاً عن اليمينِ وعن اليسارِ، والخروفُ بالرمزِ يعني يسوعَ، والإقتداءُ به يُشكِّلُ قطيعَ المسيحِ إلى الملكوتِ.

5- شجرةً ترمزُ للعلاقةِ الصحيحةِ مع اللهِ، وتُسمى شجرةَ الحياةِ، ونجدُ عليها الطاووسَ رمزَ العزّةِ الإلهيّةِ.

6- باباً في المنتصفِ يقفُ عندَهُ الملاكُ الذي انتدبَهُ اللهُ بعد السقوطِ كي لا يدخلَ منه الخطأةُ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفهرس

كلمة الناشر..... 7

مقدمة الطبعة الإنكليزية..... 11

1- الملحدة ورئيس الأساقفة..... 15

2- الشك والحياة المسيحية..... 53

3- الله والإنسان..... 83

4- القداسة والصلاة..... 123

5- يوحنا المعمدان..... 199

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كلمة الناشر

يقولُ القديسُ إيرونيموس: (لقد صارَ اللهُ إنساناً، ليصيرَ الإنسانُ إلهاً). ثمّ أتى القدّيسُ يوحنّا الذهبيُّ الفم، ليصفَ لنا هذا الإنسانَ المتألهَ فقال: (إنْ أَرَدْنا أنْ نُدرِكَ عَظَمَةَ الإنسانِ، يجبُ ألا نَتوجَّهَ بنَظَرِنا إلى عروشِ الملوكِ، وإنّما إلى العرشِ الإلهي، وسنَرى حينَها ابنُ الإنســـانِ جالِساً على يمينِ المجد). ويأتي في أيامِنا هذه لاهوتيٌّ كبيرٌ هو المطران أنطوني بلوم؛ صاحبُ هذا الكتاب، ليشرحَ لنا ويقول: (كَشَفَ اللهُ لنا سِرَّ التجسّدِ بأنّ الإنســـانَ عظيمٌ جداً، لتمكُّنه من الاتحادِ مع الله، دون التوقُّفِ عن كونه إنســـاناً).

كتابُ "اللهِ والإنسانِ"، كتابٌ لاهوتيٌّ بامتياز. يُصدره دَيرا القديسِ جاورجيوس والشيروبيم كأولِ كتابٍ من سلسلةِ الكتب اللاهوتيّة. هذا الكتابُ يفتحُ لنا فيه المطرانُ أنطوني نافذةً، لا تطلُّ فقط على عالمِ الألوهةِ؛ وإنما أيضاً على عالمِ الإنسانِ المتأله. هذا الإنسانُ الذي يُحبّه اللهُ فوقَ كلِّ شيءٍ، أصبح مثلَه بشرياً، ليغرِفَ الإنسانُ من هذه المحبّةِ الإلهيةِ، وليصبحَ إلهاً بالنعمة، وشريكاً بها كما يقولُ بطرس الرسول.

في هذا الكتابِ الصعبِ والشيِّقِ، نسيرُ جنباً إلى جنبٍ مع

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المطرانِ أنطوني في رحلةٍ صعبةٍ، تواجهنا فيها مطباتٌ كثيرةٌ، تجعلُنا نندهِشُ ونتوقَّفُ مُسائلين أنفسَنَا أولاً، ومن ثمّ اللهَ عن أمورٍ صعبةِ التفسيرِ؛ وأهمُّها الإيمانُ والشكُ، اللهُ والإنسانُ، وأخيراً القداسةُ والصلاة. هذه هي المواضيعُ التي تحدّث عنها المطرانُ أنطوني في كتابِهِ الثمينِ هذا، لينقلَ المسيحيَّ المؤمنَ من عالمِ الماديات والإلحادِ، إلى عالمِ الروحياتِ والإيمانِ، وذلك من خلال اللغةِ الإنجيليّةِ الممتعةِ والسهلةِ التي يستخدمها الكاتبُ في نقلِ ما يريدُه يسوعُ في إنجيلِهِ من مفاهيمَ وعِبرَ، إلى إنسانِ هذا العالمِ، الذي أضاعَ اللهَ ونسيَهُ في اضطراباتِ هذا الدهرِ.

رغم هذه الصِّعابِ، يُبرز الكاتبُ مجيءَ المسيحِ الكونيِّ، لكلِّ العالم المُلحدِ وغيرِ المُلحدِ، ليرفعَه إلى اللهِ الإلهِ الحقيقي. وهذا ما نراه في صورةِ غلافِ الكتابِ للفنانِ مايكل أنجلو، التي تصوِّرُ العلاقةَ بين اللهِ النازلِ من علياءِ عرشِهِ مع ملائكتِهِ، ليلمِسَ بيدِ الروحِ التي لله، مرئيّةً بكونها يدَ قوّةٍ تنقلُ صورةَ اللهِ إلى الإنسانِ، ليحياها على مثالِ اللهِ. فلا يعُدْ مكانٌ لهذا الفتورِ المتمثلِ بتلك اليدِ البشريّةِ الضعيفةِ والمتراخيّةِ، يدِ إنسانِ هذا العالمِ الذي قرَّر أنّ يَعبُدَ إلهين معاً؛ اللهَ والعالَمَ، فخسرَ الإنسانُ بذلك الاثنين؛ على حدِّ قولِ الكتابِ المقدّسِ في سفرِ الرؤيا: "هكذا لأنك فاترٌ ولست بارداً ولا حاراً، أنا مزمعٌ أنّ أتقيأكَ من فمي" (رؤ3:16).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في هذا الكتاب، يدعُونا المطرانُ أنطوني للقداسةِ كهدفٍ أساسٍ في حياةِ المسيحيِّ، فيقول: (القداسةُ هي غايتُنا ورسالتُنا المطلقَةُ). فالمسيحُ أتى ليتّحدَ بنا ويقدِّسنا، ولكن هذا يستدعي منّا قبولاً وعملاً جديّاً وصلاةً مستمرةً، ليكون لنا دورٌ في هذه القداسةِ، فالإنسانُ – كما يقولُ الكاتبُ – هو (موضوعُ القداسةِ المتجسِّدةِ).

يطولُ الحديثُ عن هذا الكتابِ الغنيِّ والجديدِ، إما بأسلوبِهِ أو بمفرداته بالنسبة للقارئ العربيِّ، لذلك نتوقفُ هنا عن الكلامِ، ولنترك لكَ أيّها القارئ العزيزُ بالربِّ، أن تَلِجَ إلى خفايا هذا الكتابِ، ولتقطفَ منه ما شئتَ من طيباتٍ روحيّة.

أختمُ الكلامَ بالشكرِ للهِ أولاً، ومن ثمّ الشكرِ لفريقِ العملِ الذي ساعدَ أسرةَ الديرِ في خروجِ هذا الكتابِ إلى النورِ، وأخصُّ بالذكرِ الأخت هالة موسى، والمُبدِعة ليلاس مسلم، وكالعادة الأستاذ الكبير ياسين الأخرس.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إهداء

إلى

مُلهِمِ شَبَابِ أَنطَاكِيَة وَقَائِدِهَا

غِبطَةِ البَطرِيَرك يُوحَنَّا العَاشِر

الذي تُؤكِدُ مَسِيرَةُ حَيَاتِهِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَجمَعُ فِي شَخصِهِ: اللهَ وَالإِنسَانَ.

إِلَيكُمْ يَا صَاحِبَ الغِبطَةِ

نُقَدِمُ هَذَا الكِتَابَ

نَحنُ رَهبَنَةُ دَيرِ القِدِّيس جَاوَرجيُوس وَالشَيرُوبِيم فِي صَيدنَايَا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الإنكليزيّةِ

عِندَمَا رَقَدَ الميتروبوليتُ أنطوني مطرانُ سوروز في الرابعِ من آب عام 2003، لم تخسرْهُ الكنيسةُ الروسيّةُ وحسب، بل كلُّ المسيحيين في إنكلترا وفي كلِّ أنحاءِ العالمِ. لقد خسِروا صوتاً صارخاً ومُميَّزاً من القرنِ العشرين.

وُلِدَ أندريه بوريزوفيتش بلوم عام 1914 في سويسرا، كان يقطُن مع عائلتِهِ في بلادِ فارسَ عندما اندلعتِ الثورةُ الروسيّةُ عام 1917. ذهبَ مع والديهِ إلى منفاهِما في فرنسا، دَرَسَ الطبَّ في باريس، وخَدَمَ في الجيشِ الفرنسي وشاركَ في المقاومةِ أثناءَ الاحتلالِ الألماني.

توجّه إلى الرهبنةِ خلالَ الحربِ ثم سِيمَ كاهناً عام 1948. عندها تمّ تعيينُهُ كاهناً مسكونيّاً في إنكلترا، على الرغمِ من أنّه لم يكنْ يُجيدُ اللغةَ الإنكليزية. في عام 1950 تمّ تسليمُهُ مسؤوليةَ أبرشيةِ الكنيسةِ الروسيةِ في لندن، واستَمرّ بمنصبِهِ حتى أصبحَ أسقفَ سيرابيفو في عام 1957، ورئيسَ أساقفةٍ ومن ثمّ ميتروبوليت سوروز. عندما رَقَدَ كان قد أصبحَ الأسقفَ الأعلى رُتبةً في الكنيسةِ الروسيّةِ عند تكريسِهِ.

الشيءُ الأكثرُ إثارةً حولَ حياتِهِ، ليس فقطْ موهبَتُهُ الإكليريكيّةِ، وإنّما الطريقةُ التي أدركَ فيها كيفَ ينقلُ إنجيلَ المسيحِ في مختلفِ الظروفِ والحالاتِ إلى أُناسٍ من فئاتٍ مختلفةٍ. كان قادراً على الوعظِ ارتجالاً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بالفرنسيّةِ والإنكليزيّةِ والروسيّةِ، وذلك في بريطانيا والجُزُرِ التابعةِ لها، وحتى إلى ما بعدَ السّتارِ الحديديِّ وإلى الغرب. في أواخرِ الستيناتِ وبداياتِ السبعيناتِ أصبح مُتحدِّثاً مشهوراً جداً باسمِ المسيحيّةِ عَبرَ الراديو والتلفزيون في بريطانيا. والقِلّةُ الذين شاهدوا حديثَهُ المتلفزَ مع مرغانيتا لاسكي (نسخةٌ عن هذا الحديثِ الرسميِّ هي جزءٌ من هذا الكتاب) لن ينسَوْهُ أبداً. ما رآه المشاهدونَ كان إنساناً بإمكانهِ مواجهةُ أيِّ ظرفٍ أو حالةٍ. إنّه شخصٌ تدرّب كطبيب، وعملَ في الخدمةِ العسكريةِ، ولسنواتٍ ككاهنٍ، ولديه تلك الخبرةُ الواسعةُ للحياةِ. وعندما تحدَّث عن الإيمانِ كان صادقاً، ودخلَ كلامُهُ إلى قلوبِ المستمعين.

والآنَ وبعدَ حوالَيْ 30 عاماً من ظهورِ كتابِ "اللهِ والإنسانِ" لأولِ مرةٍ، ما زال له ذلك التأثيرُ الحيُّ والفعّالُ كما كان من قبلُ. إن تقديمَ الميتروبوليت أنطوني للإيمانِ المسيحيِّ كشكلٍ من أشكالِ المعرفةِ، وليس فقطْ تسليماً أعمى، عمَّق إحساسَهُ بالحقيقةِ والعالمِ اللامنظور، واحترامَهُ لآراءِ الآخرينَ حتى عندما تكونُ مخالِفَةً لآرائِهِ الشخصيّةِ، وإدراكَهُ للحضورِ الكونيِّ للمسيحِ في كلِّ الجنسِ البشريِّ. وفوقَ ذلك كلِّه إيمانُه الراسخُ بأن هذا الحضورَ للمسيحِ يرافقُهُ الفرحُ، وكلُّ ذلك ما زال حتى الآن يدخلُ إلى أعماقِنا عَبرَ الصفحاتِ المكتوبةِ.

الأمرُ الذي لن يكون واضحاً – ربما لأنه لم يوضِّحْه – هو طريقَةُ تقديمِهِ وشرحِهِ لتعاليمِ آباءِ الكنيسةِ، وبكلِّ ما فيها من مدلولاتٍ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

معاصرةٍ. فإنَّ ما قالَهُ الميتروبوليتُ أنطوني ينطلقُ من عُمْقِ تقليدِ الكنيسةِ، وطبعاً كان ذلك تقليدُ الكنيسةِ الروسيّةِ التي جذورُها في الكنيسةِ البيزنطيّةِ والكنيسةِ الأرثوذكسيّةِ الشرقيّةِ. وبنفسِ الوقتِ كان دائماً مُنفتِحاً على كلِّ ما وجدَهُ من تقليدٍ قديمٍ في كتاباتِ كُتّابِ الغربِ، فيما يتعلّقُ بالتقليدِ الكنسيِّ والدنيويِّ.

نجدُ لدى الميتروبوليت أنطوني رؤيةً واسعةً جداً، وتَعمُّقاً كبيراً في تعاليمِ الآباءِ، وحِكْمَةً نَتجَتْ عن تجربتِهِ وخبرتِهِ ومن معرفتِهِ التامةِ بمأساةِ الحياةِ البشريّةِ في هذا التاريخِ المضطربِ والصاخبِ للقرنِ العشرين. وبنفسِ الوقتِ هنالكَ في داخلِهِ قبولٌ عميقٌ للظّروفِ البشريّةِ، وفي تشبُّثِ الإنسانِ بالماديّاتِ كما بالعالمِ اللامنظورِ. إنّه يتكلَّمُ عن رِسَالةِ ومُهمَةِ المسيحيِّ بكونهِ مدعوّاً ليكونَ كاهناً للعليِّ في العالمِ الماديِّ. ويمكنُ للميتروبوليت أنطوني أن يقومَ بذلك لأنّه يرى المسيحَ بمثابةِ كاهنٍ عظيمٍ مُعيداً للآبِ ما هو له "التي لكَ مِمّا لكَ ونحن نُقدِّمُها لكَ". كلُّ ذلك – وحتى أجسادِنا الخاصة – أصبحَ جزءاً من تلك التضحيّةِ الكونيّةِ، ليس فقطْ بأن نتخلّى عن كلِّ شيءٍ، وإنما أنّ نُقدِّسَ كلَّ شيءٍ بإعادتِهِ إلى اللهِ.

† باسيل، أسقف سيراييفو

صوم الميلاد

2004 -1 - 7 / 2003 - 12 - 25

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المُلحِدةُ ورئيسُ الأساقفةِ

مرغانيتا لاسكي

ورئيسُ الأساقفةِ أنطوني بلوم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الملحدُ ورئيسُ الأساقفة†

مرغانيتا لاسكي ورئيس الأساقفة أنطوني بلوم

I

لاسكي: أنت تُؤمنُ باللهِ وتعتقدُ أنّ هذا جيّـــدٌ وصحيح، وأنا لا أؤمنُ باللهِ وأعتقدُ أنّ هذا جيّدٌ وصحيح. كلانا لسنا بأناسٍ عبثيّين، وإنما أشخاصٌ جادّون، وقد توصَّل كِلانا إلى هذا القرارِ بمنتهى التأنّي. هناك العديدُ من النّاسِ مثلي والعديدُ من الناس أيضاً – وربما عددهم أكثر – مثلُك. كيف تستطيعُ أن تفسّرَ هذا الاختلافَ الأساسي الذي قد يُقالُ عنه بأنّه جوهريّ؟

بلوم: أنا حقاً لا أعرفُ كيف أُفسّرُه! ويبدو لي أنّ كلمةَ (إيمان) كلمةٌ غامضةٌ بعضَ الشيء. إنّها تُعطي انطِباعاً بأنّ هذا شيءٌ اختياريٌّ نستطيع قبولَه أو رفضَه. ما أُدركه فعلاً هو أنّي مؤمنٌ لأنّي أعرفُ أنّ اللهَ موجودٌ، وأنا متحيّرٌ كيف أنّكِ لا تعرفين ذلك!

لاسكي: هذا يقودني إلى السؤالِ الثّاني، والذي هو حولَ الإيمان، أنا أعلمُ أنّ الإيمانَ هو فضيلةٌ مسيحيّةٌ كبرى، ولكنّها بالنسبةِ لي هي أقربُ ما تكونُ إلى الرّذيلةِ، ولا أستطيع أن أرى لماذا تحتاجُها؟ عندما

† نص المقابلة التلفزيونية التي عُرِضت على جزأين في 5 و12 تموز عام 1970م على قناة الـــ BBC.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تقولُ أنا أعرفُ أن اللهَ موجودٌ، والعديدُ من الناسِ يقولون الأمرَ ذاته لسببٍ أو لآخر؛ إمّا لأنّهم قد اختبروا وجودَ الله، أو لأنّهم يُعاينونه في هيئةِ العالَمِ. ولكنّكَ إنْ كنتَ تعرف، فأنت لست بحاجةٍ للإيمان؛ وإن كنتَ لا تعرف، كما هي الحالُ عندي كغيرِ مؤمِنة، فأنتَ تُلقي بعيداً إحدى أهمِّ صفاتِ الإنسان، لأنّكَ تستبدلُ الإيمانَ بعدمِ المعرفة. الحقيقةُ بالنسبة لي أنّكَ عندما لا تعرفُ عليكَ انتظارُ المعرفةِ أو القولُ (أنا لا أعرف). فإن كُنْتَ تعرفُ أنّ اللهَ موجودٌ، لماذا يجبُ اعتبارُ الإيمانِ فضيلةً؟

بلوم: أنا أعتقد أن هذا السؤالَ يتعلّقُ بتعريفِ الإيمان. أتذكّر أنّني قرأتُ في كتابٍ لاهوتيٍّ طريفٍ تعريفاً للإيمان، على أنّهُ القُدرةُ التي يمتلكُها البالغون للتّأكيدِ على صِحّةِ وحقيقةِ الأشياءِ عندما يعتقدون بأنها غيرُ صحيحةٍ.

لاسكي: هذا ظريفٌ.....

بلوم: إنْ كان ذاك هو الإيمان، فأخشى أنّني لا أمتلِكُهُ!! أعتقدُ أنّ أفضلَ تعريفٍ للإيمانِ هو ما ذُكِرَ في الرسالةِ إلى العبرانيين: "الإيمانُ هو اليقينُ بأشياءَ غيرِ منظورةٍ". إنّه يقينٌ، هذه هي الكلمةُ المناسبة. والأشياءُ غيرُ المنظورةِ هي ليست الأشياءَ التي يمكن تخيُّلُها.

بالحديث عنّي، على سبيلِ المثال، وعن عددٍ من الناس، فأنا متأكّدٌ أنّنا قد بدأنا بتجربةٍ كانت مقنعةً تماماً. وفي لحظةٍ ما تلاشت

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هذه التجربةُ، كما يحدثُ مع كلِّ تجربةٍ في الجمال، في الحبِّ، في الفرحِ والألم، هناك لحظةٌ عندما لا يعودُ الشيءُ موجوداً فعلياً، ولكن اليقينُ من حدوثِه يبقى، وفي هذه اللحظةِ بالذاتِ يأتي الإيمان. وهذا الإيمانُ لا يعني السذاجةَ، بل اليقينَ حول شيءٍ ما، هو ليس اختبارُنا الفعليُّ لوجودِ الأشياء.

لاسكي: إذا استخدمتَ كلمةَ إيمان، فهذا يعني وبشكلٍ قاطعٍ أنّه لديكَ إيمانٌ في مواجهةِ شكٍّ محتمل. لكن بوجودِ اليقينِ فهذا يعني أنّه لا مجالَ لوجودِ الشّك، وأنا بكلِّ أسف، لا أرى أيّةَ حاجةٍ للإيمان، أَوَليس اليقينُ كافياً؟

بلوم: أنتِ إلى حدٍّ ما في نفسِ وضعي، لديك يقينٌ بعدمِ وجودِ الله، وهذا بطريقةٍ ما هو نوعٌ من الإيمان. وأنتِ مثلي لا تملُكينَ إلا القليلَ لتُثْبتي للعالَمِ من خلاله حقيقةَ إيمانك.

لاسكي: ألا ترى بأنّ هناك اختلافٌ جوهريٌ في طريقةِ التفكير، أو طريقةِ التّعاطي مع الأمورِ غيرِ المنظورة؟ لأنّه ربّما يكون هناك ميلٌ انتقائيٌّ لامتلاكِ اليقينِ حول هذه الأمور، والاحتفاظِ بالحكمِ حولها.

بلوم: لستُ متأكّداً. أعتقد أنّ موقفي من الأشياءِ يتحدّدُ على أساسِ الثقافةِ التي لدي. لقد تدرّبتُ لأكونَ عالِماً، وأتعاملَ مع الأمورِ كتجاربَ علميّةٍ – ربما يكون هذا صحيحٌ أو خاطئٌ – طالما

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنّ الأمرَ يتعلّق بالإيمانِ فقد بَدأْتُ بتجربةٍ أثبتَتْ لي أنّ اللهَ موجودٌ، ثمّ دخلَ الشّكُّ إلى ذلك، لكنّه ليس شكّاً في المبدأ، بل تساؤلاتٍ حول أعمالي عن هذه التّجربة. إذاً يجب في هذه الحالةِ أن يكون شكُّ المؤمنِ خلاّقاً بقدر ما يكون جريئاً ومليئاً بالفرح، وأن يكون شكّاً تقليديّاً لعالِمٍ – اكتشفَ حقائقَ أَقْنَعَتْه بشيءٍ ما – يريدُ تحديدَ موقعِ الخطأ في استنتاجاتِه وفي نظامِه العِلمي، أو إيجادِ حقائقَ جديدةٍ قد تؤدي إلى بطلانِ النموذجِ الذي وضعه للكون.

لاسكي: ولكن لحظةَ الاكتشافِ تلك هي نموذجٌ جديدٌ للكون كما تبدو لهذا العالِم، وهي مُقنعةٌ بغضِّ النّظرِ عمَّا إذا أثبَتَ الاختبارُ صحّةَ هذا النموذجِ أو خَطأه. سيُثمِّنُ العالِمُ دون شكٍّ الشّعورَ الذي يأتيه مع اكتشافِهِ الجديد، ولكنّه لن يستخدمَ هذا الشّعورَ للإثباتِ كما تقول، لأنّه سيقومُ بعد ذلك بإجراءِ اختباراتٍ وما إلى ذلك. وأنتَ بطبيعة الحالِ لا توافقُ على اختبارِ الشّعورِ حولَ وجودِ الله، وإنْ كان هذا الاختبارُ لا يؤكّدُ بالضرورةِ وجودَ اللهِ أو عدمَه، أليس كذلك؟

بلوم: لا أعتقدُ أنّ الأمرَ برمّتهِ يتعلّقُ بالشّعور. فأنا لا أظنُّ مثلاً أنّ الشعورَ يمكن أن يكون ببساطةٍ غيرَ عقلاني أو سخيفاً، وفي نفسِ الوقت يمكن الاحتفاظُ به كدليلِ إثباتٍ ضدَّ أيّ دليلٍ آخر. ولكن لو انتقلنا، وللحظةٍ واحدةٍ فقط، من الإيمان باللهِ إلى مجالاتٍ أخرى،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كالموسيقى مثلاً، فإنّه من وجهةِ نظرِ العالِم، يمكن للموسيقى أن تُرسَمَ على الخطوطِ الخاصّةِ بها تماماً مثل معادلاتِ الرياضيات. وعندما تحصلين عليها بمجملِها، فإنها لن تعطيكِ الإشارةَ فيما إذا كانت معزوفةً موسيقيةً جميلةً أو أنّها فقط مجرّدُ ضجّةٍ متنافِرةٍ. لكن هناك أوقاتٌ تستمتعينَ بهذه الموسيقى وتقولين: هذه موسيقى وليست مجرّدَ ضجّةٍ.

لاسكي: بالتأكيد، وعلى الرّغمِ من أنّ أحدَ الأمورِ التي أرغبُ بمعرفتها بشدّةٍ هي أنّه لماذا تتمتّع الموسيقى الجيّدةُ والشِّعرُ الجميلُ والأدبُ الجيّدُ بذلك التأثيرِ علينا؟! فأنا أعتقدُ أنّ الخبرةَ مع الله تندرجُ ضمن هذا الإطار. وأنا كملحدةٍ ليس عندي أدنى شكٍّ بأنّ الكنائسَ والمعابدَ والمساجدَ قد حقّقت شيئاً ما عبرَ القرونِ في النفسِ البشريّة، وفي الفكرِ البشريّ والاستجاباتِ البشريّة.

بالإشارةِ إلى ما كتبتَ حول الصّلاةِ الدّاخليّة – وحتّى قبلَ أنْ أقرأَ كتابَكَ – كنتُ مهتمّةً جدّاً بها لأنّها بَدَت فعّالةً جداً بالنسبة لي. فالنّاسُ الذين جرّبوا الصّلاةَ التأمّليّةَ استفادوا منها كثيراً، ولقد جَرَّبْتُ هذه الطّريقةَ من الصّلاةِ وبكثرةٍ في الآونةِ الأخيرة، لأنّني عانَيْتُ من انزلاقِ فقراتٍ في ظهري ولا أُحِبُّ المُسكِّنات، فبَدَا لي أنَّ محاولةَ الصلاةِ التأملية، كما وصفَها القدّيس غريغوريوس بالاماس بأنّها تأمّلٌ في صلاةِ السيّد، يمكن أن تساعدَني في التغلُّبِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

على الألم، وهذا ما حدث فعلاً. لذلك أعتقدُ بأنّ الكنيسةَ قد اكتشَفَتْ تقنيّةً فكريّةً علاجيّةً ومفيدةً. ولكن يبدو لي بأنّه في حالةِ تجربةِ الصّلاةِ هذه – وكما الخِبراتُ الأخرى المسمّاةُ خبراتٍ دينيّةً – يمكننا القول أنّ الكنيسةَ قد سيطَرَتْ عليها، فهي تقول: (هذه هي خِبراتُنا وهي تقودُ إلى الله). لا أُريد أن أُقارنَ محاولاتي مع أيِّ محاولةٍ لمؤمنٍ متمرّسٍ في الحياةِ الدينيّة، ولكن ألا تستحوذون لأنفسكم إعطاءَ التفاسير، التي هي غيرُ مقبولةٍ بالنسبةِ للملحدين، الّذين لديهم تقنياتٌ وطرقُ عيشٍ متنوعةٍ والتي يمكن أن تساعدَ كلَّ البشريّة، حتّى في وقتِ اللجوء – كما أظنّ – إلى الدّواء؟

بلوم: فيما يتعلّقُ بالتّقنياتِ وطُرُقِ العيشِ فأنا أتّفقُ معكِ تماماً، ويمكن أن أُعطيكِ مثالاً لصالحِك حول مجموعةٍ من مدمني الدواء، الذين – وعن طريقِ الصّدفةِ – اطّلعوا على كتاب *The Cloud of Unknowing* (*غمامةُ الجهل*) ولجأوا إلى كاهنٍ – غيري أنا – ليقولوا له: (هذا بالضّبطِ ما كنّا نبحث عنه، وسيكون الحصولُ عليه أقلَّ كِلفةً من الأدويّة التي نستخدمها).

لاسكي: وصحّيٌ أكثر.

بلوم: وأفضلُ بكثيرٍ للصّحة. ولدينا خبرةٌ الآن مع عددٍ من مُدمني الأدوية، الذين اكتشفوا بواسطةِ التأمّلِ ما كانوا يبحثون عنه بالأدويةِ فتخلّوا عن الدواءِ واتّجهوا إلى عالمٍ آخر. أمّا فيما يتعلّقُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بالتقنيّة، فأعتقدُ بأنّ هذا صحيحٌ تماماً، لأن أُسُسَها موجودةٌ في طبيعتِنا الإنسانيّة. مهما كان الهدفُ الذي تسعى إليه، فإنّ تفكيرَكَ هو تفكيرٌ بشريٌّ، وعواطِفَكَ بشريّةٌ، وكلَّ ما فيك هو بشريٌّ. ما يقوله المؤمنُ لسببٍ ما – نفسُ السّببِ الذي يجعلك تميّزُ الجمالَ في الموسيقى وفي الطبيعةِ وفي الأدب – (هذه التّجربةُ التي عِشْتُها ليست من عاطفتي الخاصّةِ ولا من مخيّلتي أو حالتي الجسديّة في تلك اللحظة، إنما هي عبـــارةٌ عن لقـــاءٍ مع شيءٍ مختلف؛ مع شيءٍ أعمقَ من ذاتي، ولا أستطيعُ تتبّعَ أثرِه في داخلي، حتى وإن كنتُ أملكُ معرفةً جيّدةً بعلمِ الاجتماعِ وعلمِ النّفسِ وعلمِ الأحياء).

لاسكي: هذا هو الاختلافُ في المبدأ فيما بيننا، أليس كذلك؟ إن كان هذا الشّعورُ الذي يراودنا ليس من ذاتِنا، إن كان شعوراً قائماً بحدِّ ذاته، أو شعوراً ناشئاً عن سببٍ آخر، أَوَلَيس هذا الفارقُ هو أكثر ما يُباعِد بيننا؟

بلوم: أجل. المؤمن يقول: (أنا أعلمُ أنّ اللهَ موجودٌ، وهذا يعني أنّني أمتلكُ المعرفةَ ولا أصطَنعُها). ولكن ألا يمكن تطبيقُ ذلك بنفس الطريقة على التّجـــارب اللاعقلانية، مثل الحبِّ والإحســـاسِ بالجمال والفن والموسيقى وإلى ما هنالك؟

لاسكي: أعتقدُ أنّ الإحساسَ بالجمالِ هو أمرٌ لاعقلاني مؤقّتٌ حتى يتمَّ توضيحُه. أفكّر دائماً بالفيلسوف (هيوم) الذي قال منذ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مائتي عام: (نحن نعلمُ بأنّ الخبزَ يُفيدُنا، ولكن لا نعلمُ أبداً لماذا؟) وطبعاً نحن الآن نعلم لماذا. وأعتقدُ أنّنا سنعرفُ في المستقبلِ القريبِ ما هو النموذجُ الذي يُؤثّر فينا والذي ندعوه جميلاً.

بلوم: يمكن أن يكون هذا أمراً حسناً، لكن ألا تعتقدين بأنّنا – وبنفسِ الطريقة – سنصلُ إلى نقطةٍ، أنّه عند دراسةِ الموجاتِ الدِّماغيّةِ مثلاً وما شابه ذلك، فسنتمكّنُ من الاكتشافِ أنّه وفي لحظةٍ ما هنالك شيءٌ قد اقتحم تجربتَنا، وهو ليس جزءاً من بنية جسدِنا الفيزيولوجية. منطقياً، هو أمرٌ موثوقٌ به كما الأمرُ الآخر.

لاسكي: هذا أكثرُ ما أرغبُ بمعرفته، وبالطّبع إنْ كانت التّجربةُ سترسمُ طريقكَ فلن يكون أمامكَ خيارٌ إلا بأن تكون مؤمناً. أنا ببساطةٍ أشكُّ أنّها ستفعلُ نفسَ الشيءِ معي. لنفترضْ أنّي تعرّضتُ – كما يمكن لأيِّ شخصٍ غيرِ مؤمنٍ أن يتعرّض – لتجربةٍ مفاجئةٍ من النّوعِ الذي وصَفْتَه بأنّه اليقينُ بوجودِ الله، وبأنّها حدثَتْ في محيطٍ غيرِ ديني – مثلما حدث مع القديسِ أغناطيوس لويولا – ربّما أثناء جلوسي بقربِ نهرٍ. أنا أعلمُ بأنّني تربَيْتُ كيهوديّةٍ، ولكنّي عِشْتُ في انكلترا. وكما يقولون هي بلدٌ تضمُّ مائةً من الأديان ولكنّ البيئةَ المحيطةَ واحدة، فلماذا نتوقّعُ أنْ يَنتُجَ بالضرورةِ شيءٌ عن ذلك؟ يمكن أن أفهمَ بأنّه سيكون منطقيّاً أنْ ينضمَّ أحدٌ ما إلى دينٍ ما خوفاً من الإصابةِ بمرضِ جنونِ العَظَمَةِ الذي ينتابُ بعضَ الناسِ الذين

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يعتقدون بأنّ لهم اتصالٌ شـــخصيٌّ ومباشَرٌ مع الله. ولكن من هذه التّجربةِ مع الله، ما الذي سيَدُلُّني إنْ كنتُ قد قابَلْتُ الإلهَ المسيحيّ أم اليهوديّ أم المسلِم؟ هل اللهُ يودُّني أن أكون من أتباعِ الطّائفةِ المنهجيّةِ البروتســـتانتيّة، أو الكنيسةِ الروســيّة الأرثوذكســيّة، أو الكنيســة الإنكليزيّة؟ ما الذي يجعل شخصاً ما يتّخذُ خطوةً أبعدَ من مرورهِ بهذه التجربة؟ وأن يقولَ: (حسناً أنا لديّ الآن اليقينُ بوجودِ الله).

بلوم: سيستمرُّ ذلك بطريقةٍ أخرى إذا مررتِ بهذه التّجربة، وأنا واثقٌ أنّه يمكن للإنسانِ أن يختبرَ اللهَ خارجَ أيِّ محيطٍ أو بيئةٍ دينيةٍ، ودون أيِّ خلفيةٍ دينيةٍ أو إيمانٍ بدينٍ سابق، وبالتّالي فأنتِ ربّما ستكتشفين أنّه إنْ كان اللهُ موجوداً فعلاً، فإنّ هذا له تأثيرٌ فوريٌّ على حالتِكِ ونظرتِكِ إلى الإنسانِ عموماً.....

لاسكي: أرجو أن تشرحَ لي ذلك لأنّ هذا ما أودُّ فَهْمَه.

بلوم: بكلِّ ســـرورٍ. أفـــادَتْني تجربتي في مرحلةِ الطُّفولةِ بأنّ الحياةَ عنيفةٌ وقاسيةٌ ولا تَعرِفُ الرّحمة، وأنّ الناسَ هم أعداءُ بعضِهم البعض، ولا يَجلُبون لبعضهم سوى المعاناة. وأنّ هناك قِلّةً منهم فقط وهم القريبون منكِ، الذين يعيشون معكِ، هم الذين لا يُشكِّلون أيَّ خطرٍ عليكِ. وعندما أصبَحْتُ مُراهِقاً تغيّـــر موقفي، فقد أصبحَ كُلُّ النّـــاس خَطِرين، وعلى الإنسانِ أنْ يُقاتِلَ ويُحارِبَ حتّى يعيش، وعليه أنْ يَبذُلَ كلَّ ما بوسعِهِ ليَكسَبَ قُوتَ يومِهِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لاسكي: هل هذا ما كان عليه وضعُكَ حقيقةً؟

بلوم: تلك كانت التّجربةُ التي مررتُ بها في مدرسةٍ داخلَ حيٍّ للفقراءِ في السنواتِ الأولى للثّورةِ خارجَ روسيا. وعندما اكتشَفْتُ اللهَ، وكان ذلك من خلال التّواصلِ مع الإنجيل، كان الشّيءُ الأولُ الذي استَوقَفَني هو أنّ اللهَ موجودٌ، وأنَّ كلَّ إنسانٍ بالنسبةِ له مهمٌّ، ولم يكُن يميّز بين الناسِ، ولم يكُن إلهَ الخيرِ ضدّ الشّرِّ، أو إلهَ المؤمنينَ ضدّ غَيرِ المؤمنين، أو إلهَ فئةٍ معينةٍ ضدّ أخرى، وأنّ كلَّ شخصٍ هو مهمٌ وذو قيمةٍ بالنسبة له. إنْ كنتُ قد اكتشَفْتُ فعلاً ذلك الإلهَ، فقد كانت تلك العلاقةُ هي ما توجَّبَ عليَّ أنْ أكتشفَها في كلِّ ما يحيط بي. لقد ذُهِلتُ باكتشافي حقيقةَ أنَّ اللهَ كان كذلك، وبأنّ تلك الحالةَ هي ما كانت عليه علاقتُه مع البشر، وهذا هو الأمرُ الذي غيَّر حياتي تماماً. لم أعُد أرى حين أنظرُ حولي مخلوقاتٍ بغيضةً وكريهةً، وإنّما أناساً لهم علاقةٌ مع الله ومع الذين معهم، ولذلك فإنّه يُمكنني أنْ أُنشِئَ علاقةً جديدةً مع اللهِ إنْ كانت نظرَتي لهم كنظرةِ اللهِ لهم.

لاسكي: ولكنّ الواقعَ أنّ غيرَ المؤمنين أيضاً يمكن أن يمرّوا بتجربةِ الحبِّ الخيّرِ لكلِّ المخلوقات، دون أنْ يكون هناك حاجةٌ لله. أنا لستُ إنسانةً اجتماعيةً جداً، ولكن أعتقدُ بأنّ الأشخاصَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الاجتماعيين فعلاً لديهم هذا الإحساسُ، وليس هناكَ ضرورةٌ لوجودِ اللهِ حتّى يَشعُروا بأهميّةِ كلِّ إنسان.

بلوم: كلا، أنا لا أعني أنّ هذا ضروري. هنا أودُّ القولَ بأنّه ليس من الضّروري أنْ تؤمنَ بوجودِ اللهِ حتّى تكون إنساناً. وليس بالضّرورةِ بالنسبةِ للهِ أن تُدركَ بأنّه موجودٌ حتّى يكونَ موجوداً حقيقةً. بالنّسبةِ لي مسألةُ وجودِ اللهِ هي أنّه ليس شيئاً أحتاجُهُ فقط، لأكوِّنَ نظرةً عن العالمِ أو لملءِ الفراغِ في نظرتي للعالَمِ. لقد اكتشَفْتُ أنّه موجودٌ وليس بإمكاني فعلُ شيءٍ حيالَ ذلك، كما هي الحالُ تماماً بالنسبة لاكتشافي الحقائقَ العلميّة. إنّه حقيقةٌ بالنسبةِ إليّ، ولذلك فهو ذو قيمةٍ كبيرةٍ وله دورٌ هامٌّ تماماً، كما هو الحالُ عندما تكتشفين بأنّ شخصاً ما موجودٌ فتصبحُ الحياةُ مختلفةً عمّا كانت عليه قبل اكتشافِكِ لوجوده.

لاسكي: هل بإمكاني أنْ أطلبَ منكَ أن تكونَ أكثرَ دقّةً حول هذا الموضوع؟ فمثلاً سأُثيرُ هذه النُّقطة التي تَستدعي النّقاش، ولكن أعتقدُ بأنّها نقطةٌ مُهمّة. بالنسبة للأعوامِ الخمسمائةِ المنصرِمَة، ومنذ أنْ تحرّرَ العِلمُ من القيودِ المفروضةِ عليه من الكنيسة، فقد تطوّر وتقدّم لمراحلَ بحيث صار من الجائزِ أن نقولَ بأنّ معرفتَنا العلميّةَ والتكنولوجيّةَ قد تخطّت مقاييسَ الأخلاق. الكنيسةُ من ناحيةٍ أخرى احتاجت إلى ألفي سنة لتطويرِ بنائِنا الأخلاقي، حيث كان ذلك أحدَ مهامّها. ولكنّكَ قُلتَ بأنّه يمكن للإنسانِ أن يَصِلَ إلى إدراكٍ – ولا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أدري ما هو التّعبيرُ المسيحيُّ هنا – الوجودِ الشخصيِّ الفعليِّ والمحترَمِ لكلِّ إنسانٍ. وهذا على ما أظنُّ يتطلّبُ سلوكاً معيّناً للإنسانِ يستطيعُ من خلاله أنْ يؤسِّسَ رابطاً بين إيمانِهِ بالله والأخلاق. هل هناك بالضّرورةِ رابطٌ بين الإيمانِ بالله والأخلاق؟ ما هو هذا الرّابط؟ وبما أنّ الكنيسةَ لم تتمكّنْ على ما يبدو خلال الألفي سنة بأنْ تجعلَنا أشخاصاً جيّدين – في الواقع يمكنني القولُ بأنّ الأفكارَ العلمانيّةَ هي التي بذلت ما بوسعها لتطويرنا خلال المائتي سنة الماضية – هل بالإمكانِ القول بأنّ الكنيسةَ قد نجحت في هذه المهمّة؟ بمعنى آخر، كيف يمكن للأخلاقِ أن تأتي من إيماننا بالله؟ ولماذا فَشِلَتْ الكنيسةُ في جعلنا أناساً أخلاقيين؟

بلوم: أنا متأكّدٌ أنّ الأخلاقَ تأتي من إيماننا بالله، لأنّنا إنْ كنّا نرى أن العالَمَ مبنيٌّ على مجموعةٍ معينةٍ من المبادئ العظيمة، فهذا سيغيّرُ سلوكَنا...

لاسكي: وما هي هذه المبادئُ العظيمة؟

بلوم: الحبُّ مثلاً....الحبُّ، العدالة.

لاسكي: هل لأنّكَ تشعرُ بالحبِّ عندما تلتقي الله؟ هل لأنّ اللهَ يبدو مخلوقاً من الحبِّ والعدالة، أعني أين تكمنُ هذه الفضائلُ عند اللقاءِ بالله؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوه: دعيني أُحدِّدُ حديثي من خلالِ الإنجيلِ فسيكونُ أسهلَ من الدخولِ في مجالٍ أوسع. كلُّ تعاليم الإنجيلِ هي فعلاً حول المحبّة، وحقيقةُ كوننا مقصّرين فيها فهذا يدينُنا، ولكن لا يُقلّلُ من حقيقةِ إعلانِها. وأنا متأكّدٌ أنّنا، وعلى الصعيدين الشخصي والعام، مُقصِّرون جداً في ذلك. والذي يُثير تساؤلي أكثر هو ما قُلْتِهِ عن الأفكارِ العلمانية، لأنّ انطباعي هو أنّ هذه الأفكارَ العلمانيّةَ الآتيةَ من أوروبا الغربيّة، أو تلك التي تطوّرت من الثقافةِ الأوروبيّةِ الغربيّةِ وقد تمازَجَت مع الإنجيل؛ كمفهومِ أهميّةِ الإنسانِ الذي هو أمرٌ قد أدخله الإنجيلُ في المجتمعاتِ القديمةِ التي لم تكن تملِكُه، وهنالك العديدُ من المفاهيمِ التي أصبحت الآن قواعدَ عامةً مقبولةً عالمياً، والتي كانت غريبةً في زمنهم لكنها أصبحت الآن خميرةً للمجتمع.

لاسكي: أوافقكَ الرأيَ تماماً حول ذلك. أنا فقط أقولُ أنّه خلال المائتي عام الماضية منذ أواسطِ القرنِ الثامنِ عشر على الأقل، انتقلَتْ هذه المبادئ، التي تبدو لي أنّها تُشكِّلُ عظمةَ الحضارةِ الغربيّةِ بشكلٍ فعّالٍ إلى العلمانيين، وغادَرَتْ المتديّنين، إلى درجةِ أنّ قفزةً أخلاقيةً قد تحققت خلال تلك الحِقبَةِ. وأعتقدُ أنّ هناك أحدٌ ما صاحبُ الفضلِ في ذلك، وهو ليس الكنائسَ ولا المعابدَ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوم: هنالك شيئان أستغربُهما. الأولُ هو أنّ المؤمنين كان ولا يزال لديهم ولسوءِ الحظِ تلك الرغبـــةُ بأن يهربوا من الصّعوباتِ ومشـــاكلِ الحياةِ إلى (العبادةِ) إن جازَ التعبير.

لاسكي: نعم، يَسُرّني أنّكَ أَثَرْتَ هذا.

بلوم: هذا مؤكّدٌ تماماً. إنّه من الأسهلِ أنْ يلجأَ أحدُهم إلى غرفته ويقول: (يا إلهي أَطعِمْ الجائعين) من أنْ يفعلَ شـــيئاً حيـــال ذلك. عندما كنتُ في أمريكا وكان أحدُهم يلقي محاضرةً حول استعداده ليضحّي بحياته من أجل أولئك الذين يعيشون الفقرَ والجوع، فَسأَلْتُه لماذا أنتَ مُدخّنٌ ولم تُضَحِّ بعلبةِ سجائرك من أجل هذا؟!

لاسكي: يمكنني أنْ أعطيـــكَ مثالاً آخرَ. جميعُنا نحن الذين لدينا أطفالٌ ونلتقي بالعديد من الشبّانِ والشّـــاباتِ.... نلتقي بأناسٍ يبحَثون عن المزيدِ من الحبِّ في العالَم، ولكن يَجِدون أنّه من المستحيلِ أنْ يَهَبوه للجيل الأكبر.

بلوم: نعـــمْ هـــذا صحيحٌ أيضاً! لذلك فالموضوعُ محدَّدٌ جداً. إنّنا نهربُ إلى عالمٍ من الصّلاة اللامسؤولة، عِوَضاً عن التمييز بأنّنا لو قُلْنا لله (هناكَ حاجةٌ ما، نرجو المساعدة) عليّ أنْ أكونَ مُستعدّاً لسماعِ جوابِ الله في داخِلي دونَ انتظارِ الإشارةِ أو الإعلانِ (لقد رَأَيْتَ ذلك، فاذهبْ واعملْهُ). لذلك فإنّ هذه الطّريقة هي ســـببُ فَشَـــلِنا وأحدُ أســـباب اختيارنا الطريقَ الخطأ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لاسكي: أعتقد أنّكم أنتم والعلمانيّون أيضاً فَشَلْتُم بسبب رفض العالَم، وليسَ فقط كما تقول أنْ يذهبَ أحدُهم إلى غرفتِه ويَفْشَلَ في تحقيقِ الصَّلاحِ المطلوب. ولكنْ لشعورِهم بأنّ العالَمَ – وخاصةً العالَمَ المدني في أيامِنا هذه – هو بمثابةِ جحيمٍ، كطاحونةٍ شيطانيّةٍ، كمكانٍ يجبُ تجنُّبُه. ليس هناك بهجةٌ وفرحٌ في الدّين، فمثلاً، ليس هنالك أيُّ استمتاعٍ بمباهجِ الحياة، بالمسّراتِ التي نجدُها عادةً في المجتمع حتى ولو كنتَ من محبيّ امتلاكِ المقتنيات، والجلوسِ في قصورِنا الصّغيرة والمكيّفات من حولنا، وأولادُنا يلعبون بقربِنا. هذه بالنسبة لي مسّراتٌ جيّدةٌ ولكنّي أعتقدُ أن الناسَ الجدّيين، الناسَ المؤمنين وغيرَ المؤمنين الجدّيين اعتبروا دائماً هذه الأمورَ التي نستمتع بها بصدقٍ على أنّها مُعوِّقاتٌ لعيشِنا حياتَنا بشكلٍ صحيح.

بلوم: أعتقد أنّهم على حقٍّ إلى حدٍّ ما. أظنُّ أنّ الأمرَ يتطلّبُ قدرةً كبيرةً للسيطرة على النّفس حتّى لا ينسى أيُّ شخصٍ ما هي الأمورُ الأعمقُ وما هي الأمورُ الأكثرُ سطحيّةً؟ من السّهلِ أنْ تكونَ سطحيّاً على أنْ تكونَ عميقاً، وأنْ تكونَ عندَ ذلك المستوى منْ أنْ تُواجهَ الأمورَ التي قد تكون مأساويّةً. أنتِ ترين أنّ الصّعوبةَ تكمُنُ في أنّنا اتّخذنا موقفاً أخلاقيّاً مزيّفاً، الموقفُ الذي يقول إنْ كُنْتَ مسيحيّاً فعليكَ أنْ تكونَ صارماً، متشائماً، وألاّ تضحَكَ أبداً.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لاسكي: أو تكونَ بسيطاً جداً، ساذَجاً وبريئاً جداً بحيث لا تبدو لك حقائقُ الحياةِ ملائِمة.

بلوم: نعم، ولكنْ إنْ كُنتِ تُدركين فعلاً كمْ هي الحياةُ مأساويةً، فإذاً هنالك قيدٌ على فرحِكِ. الفرحُ هو شيءٌ آخر. يمكن للإنسان أنْ يمتلكَ شعوراً كبيراً من الفرحِ والابتهاج الداخلي، ولكنْ أنْ تتمتّعَ بمسرّاتِ الحياةِ بالرَّغمِ منْ إدراكِكَ بأنّ هنالك العديدَ من النّاسِ يُعانون ويَتعذَّبون، هو أمرٌ أَجِدُهُ صعباً للغاية. عندما كنتُ أعملُ بمهنتي، قرّرنا أنا وأميّ أنْ نعيشَ بما يؤمِّنُ لنا الحدّ الأدنى من المأوى والطّعام والحماية، لأنّنا اعتقَدْنا وما زِلْتُ أعتقدُ بأنّ كلَّ ما نُنفِقُه فوقَ ذلك سيكون مسروقاً من شخصٍ آخرَ يحتاجُ إليهِ بعكسكَ. إنّ هذا لا يجعلُكَ مُتشائِماً، بل يُعطيكَ الفَرحَ بالمشاركةِ، فرحَ العطاء والأخذ. ولكن بالفعل أشعر أنّه طالما هنالك شخصٌ جائعٌ، فإنّ السّعادةَ الزائدةَ والرّخاءَ الزائدَ هو سرقةٌ.

لاسكي: إنّ كلَّ شخصٍ لديه حالة ضَعْفٍ معيّنةٍ، كلُّ شخصٍ مُعرّضٌ لمواجهة مأساةٍ أو خطرٍ ما، ولكن عندما أرى أناساً أغنياءَ جداً على الشّاطئ ويستمتعون بوقتهم بشكلٍ كبيرٍ، أشعر بأنّ هذا هو الفرحُ والسعادةُ القليلةُ المختَزَنةُ وأوقاتُ البهجةِ والفرح، وهذا ليس بخطأٍ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوم: لم أقلْ بأنّ هذا خطأٌ. ولكن أعتقد بأنّ هذه السعادةَ يمكن أن تكون أعمقَ وتدوم أكثرَ. إحدى مشكلاتِ الإنسان العصريّ هي أنّه أصبح لديه الكثير، بحيث لم يعد يستمتع بالشّيءِ القليل. لِنَقُل، في الأعوام التي كانت فيها الحياةُ قاسيةً جدّاً، وبحسب خبرتي، كانت لحظات الفرحِ البسيطة بمثابة أعجوبة. الآن ارتفع مستوى تفكيري بمعنى الأعجوبةِ، وهو ما يتطلّبُ منّي جهدٌ أكبر لأعتبرَ الأشياءَ عجائبيةً.

لاسكي: أجل، ولكن هناك أناسٌ اكتشفوا البساطةَ من خلال المبالغة. أنا لا أختلف من حيث المبدأ مع ما تقول، ولكنّي أتساءلُ ما إذا كان هذا – لنأخُذَ بعين الاعتبار هذا المستوى الأخلاقي كما تفعلُ أنتَ – أمراً مُلزِماً لنا نحن غيرَ الملتزمين أنْ نشعرَ بالذّنب، وبالتّالي فإنها ستكون تهمةً عامّةً ليسَت موجّهةً ضدّك وحدَك.

بلوم: الشّعورُ بالذّنب هو دائماً أمرٌ خاطئٌ، وهو موقفٌ مَرَضيٌّ من الحياة. إنّه عديمُ الفائدة، مُدمِّرٌ، وهو يقتلُ الإحساس بأنّ كلَّ الأمورِ ممكنةٌ، ويمكن وضعُها بطريقةٍ صحيحةٍ. كلا، أعتقد أن الشّعورَ بالذّنب هو أمرٌ خاطئٌ وفي الوقت نفسه هو تحدٍّ لفرحٍ أكبر. فعلى سبيلِ المثال؛ إنْ قُلْتُ لن أقومَ بهذا الأمر لأنّه بإمكاني الحصول على فرحِ المشاركة، بدلاً من التّطفُّل بطريقةٍ غيرِ لائقةٍ، واغتصابِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأمرِ لنفسي فقط؛ فإنَّ هـــذا لن يُضيفَ أبعاداً لفرحي ولن يُشعرَني بالذّنب.

لاسكي: الشيءُ الوحيـــدُ الذي أودُّ قولَه هو أنّه إنْ كنتَ مخطئاً ومُذنباً وفعَلْتَ أمراً خاطِئاً، فمنَ الأفضلِ أنْ تتعامَلَ معه لوحدِكَ، بدلاً من أن تطلُبَ ذلك من أنـــاسٍ آخـــرين. ربّما من الضّروري أن تتحمّلَ أخطاءَك الشخصيّة وتعملَ على إصلاحِها.

بلوم: أعتقد أنّه من الأفضل أنْ نتركَ الشّعورَ بالذّنب لوحده ونفعلَ شيئاً ما.....

لاسكي: بالتأكيد أنْ تفعلَ شـــيئاً ما وليـــس أنْ تطلبَ ذلك من شخصٍ آخر.

بلوم: لا أرى أيّةَ فائدةٍ من طلبِ ذلك من أحـــدٍ ما، إلاّ إذا كان هذا الشخصُ مستعدّاً لذلك، بسبب التأثّرِ أو ربّما الصـــداقةِ أو الحبِّ أو لأيِّ سببٍ آخر، وهنا أعني علاقَتُهُ بكِ، الرّغبةُ بمشاركتِكِ مشكلتَكِ، ومأزقَكِ وليس شعورَكِ بالذّنب، ليس غرقكِ في هذه الحالة، وإنّما في كيفية إخراجكِ منها.

لاسكي: إنّني أُلِحُّ عليكَ بالسؤال وأنت كريمٌ جداً معي، ولكن هل أغفَلْتُ – وأعتقدُ ذلك – نقطةً هامّةً جداً وترغبُ أنْ أسألَك عنها؟ هل وفّرْتُ لكَ المســـاحةَ الكـــافيةَ لتقولَ ما هو الشيءُ المهمُّ حقيقةً بالنسبة لك؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوم: كلا، أعتقدُ أنّ الأمرَ كان ممتعاً كما هو. لن يكون بإمكاننا تغطيةُ كلَّ شيءٍ من مختلف النواحي. على أيّةِ حالٍ ما أشعر به ولأقُلْ باختصارٍ جملتين قصيرتين جدّاً حول (الله والدِّين) هو أنّ اللهَ بالنسبة لي ليس الشخصَ الذي أحتاجُ إليه حتّى يملأَ الفراغات. وإنّما أقبلُ اللهَ لأنّه ومن خلال خبرتي في الحياة أعلم بأنّه موجودٌ، وليس بإمكاني تجاهُلُ هذه الحقيقة. والأمرُ الثاني هو أنّ كافّةَ المبادئِ الأخلاقيّةِ المنبثقةِ من وجوده هي ليست جزءاً من الواجبِ تجاهَ اللهِ أو تجاهَ الناسِ. لا أُحِبُّ كلمةَ واجب، وإنّما هي نوعٌ من السعادةِ والامتنانِ للهِ والناسِ، وهذا يرتبطُ بالعبادةِ من حيثُ هي موقفُ التعبّدِ للهِ وللناسِ وللحياةِ. أعتقدُ أنّ شعورَ العبادةِ والفرحِ والتحدّي الذي يجعلني أنمو إلى ملءِ قامةِ المسيحِ هو فعلاً ما يهمُّ في الحياةِ العمليّةِ.

II

بلوم: الذي فاجأني في الحديث الذي أجريناه من قبل، هو أنّنا كلانا على نفسِ السويّة من الاقتناعِ والإيمان. لقد قلتُ أنّه لدي نوعٌ من البرهانِ أنّ اللهَ موجودٌ. ما هو إثباتكِ على أنّ اللهَ غيرُ موجودٍ؟ على ماذا تبنينَ إيمانَكِ النافي هذا؟

لاسكي: أعتقد بأنّ عليَّ أن أصفَ الأمرَ بطريقةٍ سلبيةٍ أكثر. لا أرى أيَّ برهانٍ على أنّ اللهَ موجودٌ. ولا أرى أنّ هناك سبباً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

للإيمان بذلك. ما اعتَبَرْتَه برهاناً أو دليلاً لا أَعتبِرُهُ بمثابةِ دليل، بل لا أراهُ دليلاً كافياً.

بلوم: هل تُسمِّينَ حالتي إيماناً أعمى؟

لاسكي: إيمانٌ أعمى؟ أودُّ القــولَ أنّه ومن دون أدنى شك، فإنّك والأشــخاصَ الذين مثلُك تعرفون بإحساسكم أنّ شيئاً ما من الممكن تســميتُه اللهَ يمكن أن يكــونَ موجوداً؛ ولكن يبدو لي أنّ هذا مجرّدُ إحساسٍ بشيءٍ ما، ربّما يكون من المفيد تسميتُه وجودَ الله، وليس دليلاً على وجودِ الله. فهو يبدو لي أنّه إحساسٌ أكثرَ منه دليلٌ حقيقي.

بلوم: كيف تفرّقين بين الدليل على وجود شيءٍ ما، وبين الأمرِ غيرِ العادي الذي ندعوه إيماناً أعمى؟ كيف تميّزين أحدَهُما عن الآخر؟

لاسكي: هذا ســؤالٌ صعبٌ، ولكنّي أفترض بأنّه إذا ما تمّ القَبولُ بالبرهان على أنّه حقيقةٌ، سيؤدّي ذلك إلى خَلْقِ فارقٍ في طريقة تفكيرِ الشّخصِ ككُلّ. وهذا أمرٌ يجب أخذُه بعينِ الاعتبار، وإنْ لم تأخذْهُ بعين الاعتبار، فإنّه سيُفسِدُ كلَّ صورةٍ سابقةٍ نحتفظُ بها عن كيفيّة خلقِ العالم وبنائه. أُفضّل القولَ أنّ الإيمانَ بوجودِ الله هو أمرٌ غيرُ ضروري. ألَمْ يَقُلْ (ويليام أوكام) بأنّه ليس عليك أنْ تُضاعِفَ الكينونات دون ضرورةٍ لذلك!! أنا لا أرى أيَّةَ حاجةٍ للإيمانِ بوجودِ الله، ولا أرى بأنّي إنْ فعَلْتُ ذلك فإنّ نظرتي للعالم قد تصبح أفضل. في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحقيقة، أعتقد أنّ نظرتي إلى العالم ستكونُ مزيفةً، لأنّني سأضَعُ حدوداً لتصوّراتي حول الأشياءِ إنْ آمَنْتُ بوجودِ الله، بدلاً من مواجهةِ صعوباتٍ أكبر، يبدو لي بأنّها ستكونُ موجودةً عندما لا أقبلُ بذلك.

بلوم: نعم، ولكن أليست التّجربةُ حقيقيّةً عندما نقول بأنّ الله موجود؟ هل يمكنك إبطالُ مفعولِ هذه العبارة؟

لاسكي: لا تبدو لي العِبارةُ حقيقيّةً على الإطلاق، لأنّي أستطيعُ إطلاقَ العديدِ من العباراتِ انطلاقاً من خبرتي. يمكن أنْ أقولَ في أوقات الحبِّ القصوى: (هذا هو الشخصُ الذي سأكون سعيدةً معه طوال حياتي. إنّه المخلوقُ الأكثرُ روعةً وجمالاً في العالم). ولكن عيناي مصابتان بالعمى؛ أو ربّما لديّ حمى وأهذي؛ أو ربّما أرى الأحوالَ مُشرِقَةً، وأكونُ في حالةٍ غير مناسبةٍ من التفاؤل! أو ربما أراها غير مشرقةٍ وأكون في حالةٍ غيرِ مناسبةٍ من التشاؤم. بالتأكيد يجب أنْ تتقوّى الخبرةُ بالإرادة تماماً، كما يجب أن تتقوّى الإرادةُ بالخبرة؛ ولكن الاعتمادَ على الخبرة فقط، سيكون ضَرْباً من الجُنون.

بلوم: هذه صفةٌ يُطلِقُها وبحريّةٍ الملحدُ على المؤمنِ وبالعكس، لذلك يمكننا أنْ نقبلَ كلانا هذا التصنيف. ولكن ما هو الفرقُ الأساسُ بين القولِ (أنا أعلمُ أنّ اللهَ موجودٌ) وبين القولِ (أنا أعلمُ أنّ الحبَّ موجودٌ)؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لاسكي: لا أعتقد بأنّي سأقول: (أعلمُ أنّ الحبَّ موجودٌ) لأنّني لا أودُّ استخدامَ مثلَ هذه الكلماتِ النّظريةِ المجرّدة. سأقول بأنّي أعرفُ أنواعاً عديدةً ومختلفةً من المشاعرِ التي تسمّى الحبَّ، وربّما من الأفضلِ باعتقادي أنْ نحدِّدَ الكلمةَ أكثرَ بقولنا بعضَ المشاعرِ وليس العديدُ من المشاعر. ولكن يمكنني أن أقول بالتّأكيد بأنّي أعرفُ مشاعرَ متنوعةً يدعوها الناس بالحبِّ، ربّما لا أعرف كلَّ الأنواع. فمثلاً، أنا لا أعرف إلى أيِّ مدى هو قويٌّ أو ناضِجٌ شعورُ الحبِّ الذي لديك تجاه الله.

بلوم: ماذا لو أنكرْتُ ببساطةٍ حقيقةَ أنّ الحبَّ موجودٌ وأنّ مثل هذا الإحساسِ غيرُ موجودٍ. مهما غيّرتِ فيه، أعتقد بأنكِ ستقولين بأنّ لدي نقصٌ ما؟

لاسكي: ولكن ألا تعتقد أنّكَ غيّرْتَ الفكرةَ قليلاً؟ أنا أقول بأنّي أعرف إحساساً من المنطقيّ أنْ ندعوَهُ حبّاً، بالضّبط كما أعرف الإحساس بأنْ أكونَ على حقٍّ أو على باطلٍ. ولكنّني، وربّما يكون ذلك مجرّدَ تلاعبٍ على الكلمات، لنْ أجدَ أنّه من المفيدِ القولُ أنّ الحبَّ موجودٌ، والحقَّ موجودٌ والباطلَ موجود. أعرف ما هو الإحساسُ بالحبِّ، ودعْني أقولُها بهذه الطريقة، أنا أعرف كيف يكون الأمرُ عندما يشعر الناسُ بالحبِّ تجاهي.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوم: نعم أنا أفهم ذلك، ولكنّه إحساسٌ لا عقلاني، شعورٌ نقيٌّ تقبلين به كتجـــربةٍ دون أن تفترضي بأنّه قد يوجد وراءَه شيءٌ مثل الحبِّ.

لاسكي: يبدو لي أنكَ تستخدم كلمةَ لا عقلاني هنا ككلمةٍ غيرِ لائقة.

بلوم: على العكس.

لاسكي: لكنّه شـــعورٌ فيه كلُّ المصداقيّة، أليس كذلك؟ أنا أعني مثلاً أنّه يمكنكَ أنْ تراقبَ سلوكي عندما أقول أنا أشعر بالحبِّ، وتقول (هل سلوكي منســـجمٌ مع ما يسمّى شعوري بالحبِّ؟) وإنْ قُلْتُ بأنّني أشعرُ بالحبِّ بينما في الحقيقةِ هنالك غشاوةٌ على عينيّ، ويديّ باردتان، وليس لديّ الطاقة، فستقول عندئذٍ وأنت راضٍ (حسناً، يُمكِنُها أنْ تسمّي ذلك حبّاً ولكنّني أعتقد أنّها مجنونة؟) هناك دلائلٌ للشعور بالحبِّ، أَلَيْس كذلك؟

بلوم: أجل فأنتِ قد انتقَلْتِ من أحدِ أشكالِ الإيمانِ الطّفوليِّ إلى عدم الإيمان..... أو هل ســـيكون هذا ســـؤالٌ شخصيٌّ جداً، كيف توجَّهْتِ لإنكار الله؟ ألأنّه ببساطةٍ لم تحصلي على دليلٍ يُرضي تفكيرَكِ الرّاشدَ؟

لاسكي: ألا توافقني الرأي بأنّ إيمانَ الأطفالِ بالحاجةِ إلى الله يختلف عن إيمانِ الرّاشدين به؟ باســـتثناء أنّه عندما يتوجّه الرّاشدُ إلى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الله، فإنّ ذلك يكون بمثابةِ اعترافٍ بالله. هكذا جعلوني أعرف اللهَ عندما كنت صغيرة، والآن أرى الأمرَ بوضوحٍ أكبر. كان ذلك صحيحاً؛ فاللهُ الذي عرفته وأحببته عندما كُنْتُ طفلةً، كان هو الله الذي قدّمه لي أهلي كصديقٍ خياليّ، كما لـــدى العديد من الأطفال. وأعتقدُ أنّه كان لي الإيمانُ نفسُه الذي هو في القصص الخياليّة، أو لِنَقُل كما في تصوّري عن وجود بلدٍ ما يدعى (الصّين). كلّ هذا انتقل لي كحقيقةٍ مُسلَّمٍ بها يجب أن يتمَّ اختبارُها فيما بعد.

بلوم: أيْ أنّه لم يكن هو اللهُ الـــذي قُلْتِ أنّكِ قابلْتِهِ وأقمْتِ معه علاقةً حميمةً، وإنّما كان اللهُ الذي عرَفَهُ شخصٌ آخر وأخبرَكِ عنه.

لاسكي: أكثر من ذلك بقليل، لأنّني أعتقدُ أنّه في مخيّلـــةِ كلِّ طفلٍ يوجدُ هذا الصديق، شخصٌ ما تقيم معه علاقةً شـــخصيّةً. وقد كنتُ مقتنعةً تماماً بأنّ هذا اللهَ الـــذي أُحبّه هو معي، يقف إلى جانبي. وحتّى عنـــدما كـــان والداي يقولان على أمرٍ ما بأنه صحيحٌ وأنا أظنّهُ خاطئاً، كان اللهُ إلى جانبي وليس إلى جانبهم.

بلوم: إذاً هل تجدين، ولنقل في العهد الجـــديد، وخاصةً الأناجيل الأربعة، نوعاً من الدليل الشِّـــعريّ ذي الطّـــابعِ العاطفي وليس دليلاً موضوعيّاً؟

لاسكي: لا يوجد دليـــلٌ مـــوضوعيٌ على وجودِ اللهِ وإنّما على الأسبابِ التي قادت الناسَ ليؤمنوا به، بالإضافةِ إلى مجموعةٍ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كبيرةٍ من الشّهاداتِ التي تؤكّد وجودَ الله، والتي من دونها ما استطَعْتَ العيش.

بلوم: ولكن هل تعتقــدين أنّه يمكن لأيِّ شخصٍ أنْ يقتنعَ بدليلٍ شِعريٍّ عاطفيٍّ مبنيٍّ على الهلوسة فقط، أو على الخيال، أو التّمنّي؟

لاسكي: لستَ مضطراً لاستخدام كلماتٍ غيرِ لائقةٍ، لأنّه يبدو لي أن الدِّينَ لم يكن من الممكنِ وجودُه في كلِّ مكانٍ نعرفه، لولا حاجةُ الناسِ الماسّةُ والتي لا يمكن تحقيقها بطرقٍ أخرى. وعندما نقول شِعريّ عاطفيّ فنحن في عصــرِ ما بعد النهضةِ نعتبرُ الشِّعر كشيءٍ ضئيلٍ نسبيّاً مقارنةً بالدِّين. ولكنّني أعتقد أنّ الدِّينَ كان تعبيراً عن شيءٍ ما لا يمكنُ التّعبيرُ عنه بوسائِلَ أخرى، شيئاً يتعلّق بتطوّرنا ونموِّنا كبَشَــرٍ. لذلك عندما أقول إنّني أقبل هذا كملحمةٍ شِعريةٍ ليس بغاية التّقليلِ من شأنِه، ولكن في الحقيقة، ســيكون نوعاً من الطّمــعِ والغيرةِ القولُ أنّي لن أتعلّمَ منه شيئاً، وأنّه لا يمكن للناس، من دون الأساطير، أنْ يستمرّوا بالتّطور في الحياة، التي هي استمراريّةٌ لها وليست انسلاخاً منها.

بلوم: عندما أفكّر بالشِّعر والعاطفة من منطلقِ الأحاسيسِ البشريّة فأنا أشعرُ دائماً بأنّ لها ثِقَلٌ ومعنى، لأنّها تعبيرٌ عن أمرٍ حقيقيٍّ عميق، وأنّها الوســيلةُ الوحيدةُ التي يمكن استخدامُها لنقل الخبرةِ أو

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المشاركةِ فيها، ولكن الذي يجعلها مُقنعةً جداً وفعّالةً جدّاً هو أنّها في عُمقِها تحوي الحقيقةَ، حقيقةَ الإنسان.

لاسكي: ولكنّنا نتّفقُ بهذه الفكرة مع أنّنا أوشَكْنا أنْ نَصِلَ إلى نقطةِ الخلاف من قبل.... إنْ كُنْتَ تقول أنّ الشّعر والعاطفةَ هما تعبيران عن عمقِ حقيقةِ الإنسان، فأنا لا أختلفُ معكَ إطلاقاً. ولكن عندما تقترح، إنْ كنتَ ستقترحُ ذلك، بأنّ هناك أمراً خارجيّاً غيرَ هذا، فإنّه من الممكنِ أنْ نختلفَ عليه. أعتقدُ بأنّه غالباً ما يكون موضوعَ الشّعر – وهنا أتحدّثُ عن الشّعر كجنسٍ أدبيٍّ – هو التّعبيرُ عن المشاعرِ العميقة جداً، تقترب إلى حدٍّ كبيرٍ من الخبرةِ الدينيّة، وهذا على الأغلبِ ما يدور حولَه الشّعر.

بلوم: أيْ أنّ التّجربةَ الإنسانيّةَ هي خِبرةٌ حقيقيةٌ، والطّريقةُ التي تُنقَلُ بها إليكِ تُشعِرُكِ كما لو أنّها أبعدُ من أيِّ دليلٍ، كما لو كانت الكلماتُ عاجزةً عن التّعبيرِ أو أنّ الأمرَ تصوّرٌ أو خيالٌ.

لاسكي: أبعدُ من أيِّ دليلٍ، ولا يكون لذلك أثراً سلبيّاً إذا تمكّن الإنسانُ من قَبولِ التّجربة على أنّها أسطوريّةٌ. لقد التقيْتُكَ على التّلفاز سابقاً، منذ سنة على ما أعتقد. وأذكرُ قولي لكَ بأنّني أفهَمُكَ، وما زلْتُ أقولُ ذلكَ لكَ. لِذا ما أحاولُ قولَهُ أنّ لا شيءَ مما تقولُ يبدو لي غريباً، وإنّما هو نوعٌ من الشّعر بأعمقِ معانيه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوم: وأنتِ ستَقبلينَ مثلاً نُصوصاً من الإنجيـــلِ، لو أخَذْنا الإنجيلَ على سبيلِ المثال، كحقيقةٍ إنســـانيّةٍ دون النّظرِ إلى أنّها تذهبُ ما وراءَ الحقيقةِ الإنسانيّةِ الموجودةِ فيها.

لاسكي: لنْ أقبلَ بها فقط، وإنّما سأبحثُ عنها وأستخدمُها.

بلوم: لأنّكِ ذَكَرْتِ الصّلاةَ الربّانيّة على سبيلِ المثال.... ماذا تعني هذه الصّلاة، هل هي منفصلةٌ عن الله الذي ندعوه "أبانا" في بدايتِها، أو حول مملكتِهِ وإرادتِهِ والأشياءَ الأخرى التي تتكلّمينَ عنها؟ هل تعتبرينها كتعويذة؟ وخاصّةً أنّكِ قلتِ بأنّكِ استَخْدَمْتِها.

لاسكي: أجلْ منَ الصّعبِ الجَزْمُ بذلك، لأنّ معناها يتغيّر بين تأمّلٍ وآخَر، وهذا ما يجبُ البحثُ فيه أيضاً. وعَدا عن استخدامِها كتعويذةٍ كما أفعلُ، فلا أظُنُّني ســـأَذكُرُها. وهنا أعني أنّني سأقبَلُ جزءاً من هذه الصّلاة وسأرفضُ بعضَها؛ مثلاً "لا تُدخِلْنا في تجربة" أَرفضُها لأنّها تبدو لي جُبْناً، ولكن من جهةٍ أخرى فإنّ تلكَ الأمنية التقيّة "ليأتِ ملكوتُكَ" تبدو لي كتعبيرٍ عن المجدِ، وهي رائعةٌ وتنبضُ بالحياة.

بلوم: الصّعوبةُ بالنسبة لي ليست العِبارة، ولكن حقيقةُ أنّ الصّلاةَ الربّانيّةَ موجّهةٌ لشـــخصٍ ما. فإنْ لم يكن هذا الشخصُ موجوداً على الإطلاق، فكيف أثَّرَتْ بكِ؟

لاسكي: لا أعرفُ الجـــوابَ على هذا، أعني ربّما لا يـــزالُ الأمرُ التجاءً طفوليّاً لذلك الشّـــخص. لا أعتقدُ أنّ هذا الأمرَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

صحيحٌ تماماً، وأظنّني أنظرُ للأمورِ من منظورِكَ. هل باستطاعتي الاستعانةُ بنصٍّ آخر ربّما أجدهُ أسهل؟ نصٌّ أفكّرُ به دائماً: "سأرفَعُ عينيّ إلى الجبالِ من حيثُ يأتي عَوْني" هذا يُعطي معنىً أكبرَ بالنسبة لي، لأنّ العونَ الذي يأتي من النَّظَرِ إلى الجبال بالنسبةِ للناس الذين مثلُنا، الذين يرتاحون بالنّظر إلى الجبال هو أمرٌ حقيقيٌّ. نحنُ لا نَدري، ولكن قد يكونُ الأمرُ كما يقولُ الآخرون، إنْ كانَ يتعلّقُ بشكلِ الجبال، ولن أكونَ بحاجةٍ للافتِراضِ بأنّ هناكَ شَيْئاً أو شَخْصاً ما يتحرَّكُ على الجبالِ. ولكنّني أَعرِفُ كإنسانةٍ، بأنَّ النَّظرَ إلى الجبالِ هو أمرٌ جيّدٌ للكثيرِ من الناسِ. إنَّهُ يُساعِد.

بلوم: لا أستطيعُ رؤيةَ ذلِكَ، مشكلتي هي أنَّ الصلاةَ موجَّهةٌ إلى شخصٍ ما أو إلى فراغ، وإنْ شَعَرْتُ أنَّها موجّهةٌ إلى فراغٍ فلن أستطيعَ استخدامَها.

لاسكي: في لحظاتِ الألمِ الشَّديدِ والكارثةِ حيثُ منَ الطَّبيعيِّ أنْ نُصلّيَ، عندها لا أستطيعُ أنْ أُصلّيَ. وهذه منَ الأمورِ التي لا نفعلُها نحنُ الملحِدون. أنا أجدُ أنَّ الأمرَ الأكثرَ قوّةً وراحةً عندما تشعرُ أنَّهُ بإمكانكَ توجيه صلاتِكَ إلى شـــخصٍ ما، وهذا ما أعتقدُ أنَّ المُصلّينَ يفعلونَه، ولكنّنا نحن لا نستطيعُ فِعْلَ ذَلِكَ.

بلوم: إنَّ شُعوري حولَ هذا الأمرِ ليس بأنّه يوجدُ هناك مَنْ يمكن أن أتوجَّهَ إليهِ بالصّلاة، وإنّما اللهُ الذي أؤمنُ أنّه موجودٌ هو

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الذي يُعطِي للأمرِ معنىً، وهو المفتاحُ الذي يُؤَمِّنُ الانسجامَ حتّى عندما تكونُ معزوفَةٌ موسيقيّةٌ ما بمجمَلِها غيرَ مُنْسجِمَةٍ. أينَ هو مفتاحُ انسجامِكَ؟ هل العالمُ كلُّهُ هُرَاءٌ لا معنى له؟

لاسكي: ربَّما ليسَ هناكَ انسجامٌ، ولكنّي على يقينٍ بأنَّ المحاولةَ لِفَرْضِ الانسجامِ تذهَبُ أبعدَ من أيِّ شيءٍ يحقُّ لنا فِعلَهُ. ولكن يمكننا البحثُ عن الانسجامِ في ذواتِنا، في محيطِنا، يمكننا أنْ نبحثَ عن الأمورِ التي تؤمِّنُ لنا الانسجامَ، وعلى ما أعتقد فإنَّ هذا هو واجبُنا. إنّ هذا أمرٌ مهمٌّ علينا أنْ نعمَلَه، ولكن لا يُمكنُنا القولَ بأنَّ هنالِكَ انسجامٌ كبيرٌ وكونيٌّ حول العالَمِ بأسرِهِ، أعتقدُ أنَّ هذا أمرٌ نفرِضُهُ نحنُ، وأنَّ اللهَ هو أحدُ الوسائِلِ التي نستخدِمُها لفَرْضِ ذَلِكَ.

بلوم: لا أقولُ بأنَّ هناكَ هذا النوعُ من الانسجامِ، ولكنّني أقولُ بأنَّنا في طريقِنا إلى المأساةِ وعدمِ الانسجامِ، والذي يَهْدِفُ إلى التفكُّكِ النهائي ويوجِّهُنا باتجاهِهِ. كيفَ نستطيعُ إضفاءَ معنىً على هذه القِطعَةِ منَ القِماش والتي هي الحياةُ اليوميّة؟

لاسكي: أولاً، لن أبحثَ في موضوعِ طبيعةِ الحلِّ النّهائيّ الذي يبدو لي هو التّلاشي والموت. الأمرُ الذي تَصِفُهُ أنتَ بأنّهُ الحركةُ باتجاهِ المأساةِ والفوضى، حركةٌ باتجاهِ الانسجامِ، إنّما هو حركةُ المدِّ والجَزْرِ من حيثُ يأتي الإبداعُ، ولكن المعنى ليس هو ما أودُّ البحثَ عنه مهما احتوى من أحاسيسَ، كلا ...، ولا أفهمُ ما معنى ذلك.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوم: بماذا تشعرين حول الحياة إذاً؟ أنتِ فقط موجودةٌ، تتصرّفين بحسب – لن أقول المبادئ – ولكن بما تتلقَيْنَهُ!...

لاسكي: أتعترفُ بالتّجربةِ والحُكمِ (الإرادةِ)؛ تجربَتي بأنقى صورةٍ ممكنةٍ، وأفضلُ حُكْمٍ يمكنني أنْ أَجدَه لكي أتمكَّنَ من خلالِهِ أن أكونَ مخلوقاً جيّداً، كائِناً بشريّاً جيّداً، بكلِّ ما أملكُ في المجتمع، متّخذةً كلَّ ما أشعرُ بوجودِهِ في داخلِي من خياراتٍ مُتاحَةٍ، وأنْ أتقبَّلَها وأُدرِّبَ نفسِي عليها عندما لا أستطيعُ أن أختار.

بلوم: وماذا عن معيارِ القِيَم؟ هل يوجدُ ما يُسمّى بمعيار القِيَمِ بينَ الأمور الجيّدة وتلك السيّئة، بين ما هو سيءٌ وما هو جيّد، بين القَباحةِ والجَمال؟ هل هناك قاعدةٌ يُمكِنُ للإنسانِ أنْ يستندَ إليها لوضعِ معيارٍ للقِيَم؟

لاسكي: إنّني أَتعامَلُ بكلِّ بســـاطةٍ مع هذا الأمـــرِ لأنّه في غايةِ البساطة. فما يُشعِرُني بأنّي أَفضلُ هو أمرٌ جيّدٌ، والذي يُشعِرُني بالسّوء فهو أمرٌ سيء. ولكن يجب أنْ يتدخّلَ الحُكْمُ ضابطاً لذلك، فمثلاً سأكون مجنونةً أو ساديّةً إنْ شَعَرْتُ بحالٍ أفضلَ عندَ ضَرْبي لطِفلٍ، عندها يجبُ اللجوءُ للحُكْمِ لأكتشفَ أنّ هنالك خطأً ما فيّ، وأنّه يجبُ أن أذهبَ إلى الطّبيب. ولكنْ ما يُشعِرُني بالتحسُّـــنِ في المجتمع كمخلوقٍ اجتماعيٍ، أنْ أتمكّنَ من اختبارِ الأمرِ بالحُكْم، وجزءٌ من هذا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحُكْمِ الذي بإمكاني استخدامُه هو بالتأكيد المرجعيةُ الدينيّة. إنَّ ما يخدمُ صحّتي الاجتماعيّةَ هو أمرٌ جيّدٌ، وأما العكس فهو أمرٌ سيء.

بلوم: نعم، ولكن الصّحةَ أو عدم الصّحةِ هما أمران نسبيّان.

لاسكي: أيجبُ أن يكونا كذلك؟ أنتَ، كما اعتَدْتَ أن تكون، كطبيبٍ يمكنُكَ أنْ تميّزَ بين الحالةِ الجسديّة الجيّدة أو السيّئة وبالطبع نحن نتوق للوصول إلى نقطةٍ بحيث يمكننا تمييزُ نوعٍ آخرٍ من الصّحة، الصّحةُ الاجتماعيّةُ على سبيل المثال للجماعة، والصّحةُ الجسديّةُ النفسانيّةُ للشخص والأشياءِ التي يجب أن نكونَ قادرين على صنعِها في ذواتِنا قياساً إلى إمكانياتِنا، وبأنْ نَعْلَمَ ما هو الجيّدُ وما هو السيئُ لنا، مع التأكيدِ على أهميّةِ كلمةِ جيّدٍ هُنا.

بلوم: ما يُقلِقُني هنا، مثلاً أنّه عندما تتحسنُ البنيةُ الجسديّةُ للناس سيَشعُرون بسَعادَةٍ أكبر، وأنا أشعرُ بالأسفِ تجاهَهم لأنّهم يَفتقِدون إلى شيءٍ أكثرَ أهميّة. إنّه من الأفضلِ لي أنْ أصبحَ أكثرَ بُؤساً وأنْ أكونَ حيّاً كما كُنْت، بدلاً من أنْ أصبحَ أكثرَ استقراراً، أكثرَ سعادةً، أكثرَ رِضىً، ولكن أقلَّ حياةً فعليّاً.

لاسكي: لا أعتقدُ أنّ هذا بعيداً عمّا قُلْتُه. هل تقول أنّه منَ الأفضلِ ألا يَرضى سُقراط على أن يرضى الخِنزير؟ أعتقدُ أنّ التّناقضَ بينَ السّعادةِ وعَدَمِ السّعادةِ، بينَ المرضِ والتّعافي، بينَ الرُّكودِ والحرَكَةِ، هو الذي يصنعُ الحركةَ والإبداع. وآخِرُ شيءٍ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أرغبُ في قولِهِ هو أنّني أرغبُ بالعيشِ بسعادةٍ لامتناهيّةٍ، لأنّ ذَلِكَ سَيُشْبِهُ الانسجامَ النّهائي الذي تقول عنه. أنتَ سَـــمِعْتَ بالشّاعرِ الملحِد (ويليام كوري)، الذي قال: (سمواتُكَ الباردة يمكنني أنْ أمتنعَ عنها، وكلُّ ما أعرِفُهُ هو هذا العالمُ الدافئ). والسمواتُ الباردةُ تبدو لي فعلاً منطقةً متجمّدةً وعديمةَ الحركةِ مثلَ البحرِ المتجمِّد.

بلوم: لا أعتقدُ أنّ الانســـجامَ يعني الرُّكودَ وعدمَ الحركةِ. فمثلاً، عندما تدورُ بسرعةٍ في أعلى قِمَّةٍ، فإنّ هناكَ لحظةٌ يجب أن تكون فيها حركتُكَ كاملةً ومشدودةً، بحيثُ تترافقُ مع توازنٍ تام.

لاسكي: ولكن موضوعَ الانسجامِ لديك – أنا أعني عندما نتكلّمُ عن الموسيقى – الانسجامِ الموسيقيّ يتمُّ باللّعبِ على أعصابِكَ، بتضخيمِ النّغماتِ المتنافِرة، وبأنّ ما تتوقَّعَه لم يُنجَز. لا يوجدُ ســـلامٌ في مثلِ هذا وإنّما هو القبرُ.

بلوم: هذا صحيحٌ، لا يوجدُ ســـلامٌ إلا في القبر، ولكنّني لا أرى الانسجامَ بمثابةِ قبرٍ. ماذا تعتقدين عن هؤلاء النّاس المتأكّدين من وجودِ آخرَ غيرَهم وهو ما يَدعونَهُ (الله)؟ كيف تأخذينَ بعين الاعتبارِ تجربتَهم، أو ما هم متأكّـــدونَ مِنْهُ؟ هل تعتقدينَ بأنّهم جميعاً مُخطِئُون بحكمِهم، وأنّهم يَهذون؟

لاسكي: أنتَ تقودُني إلى ارتكـــابِ الخطيئةِ الكُبرى للملحِدِ وهي التكبُّرُ والعَجرَفَةُ، لذلك عليّ القولُ أنا لا أعرف. أظنُّ بأنَّ هناكَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اختِلافاً كبيراً. فأنا أظنُّ بأنّه يجبُ أنْ يكونَ هناك اختلافٌ بين النّاس الذين يُفضّلون تجميعَ قطعٍ شديدةِ الصِّغَرِ مع بعضِها، على الرّغم من أنّهم لن يَصِلوا إلى صورةٍ كاملةٍ، وبينَ أشخاصٍ مثلَ أفلاطونَ كنموذجٍ، الذين رأَوا الكمالَ في المثاليّات. وعلى ما يبدو بالنسبة لي، فإنّ هنالك أشخاصاً يَتوقونَ لوجودٍ آخر، وأشخاصاً يَتوقونَ للحياةِ الحاضِرة. وهذا طبعاً ليس لمحاكمة أيٍّ منهم، ولكن للقول أنّه ربّما هناك ما يمكن أن تفعَلَهُ بالطريقةِ التي يعملُ بها دماغُك.

بلوم: نعم، ولكنّكِ تكلّمتِ عن الإرادة كإحدى قواعدِ اتّخاذِ القرارِ والتفكير. إنْ فكّرتِ بالإرادةِ الكليّة للجنسِ البشريّ، بحيث تشغلُ مكاناً يبدو غيرَ متوافِقٍ مع خطٍّ آخـــر، مع خطِّكِ، هل تَشـــعُرين بالحاجةِ لدمجِهما مع بعضٍ بطريقةٍ ما؟ أو أنّكِ ستقولين كما قالَ أحدُ الملحِدين مَرَّةً لي: إيمانُكَ يأتي إمّا منْ جهلِك الميؤوسِ منه، أو لأنّكَ معتوهٌ. إنْ لم تكن جاهِلاً – أو أنّه ظنَّ بأنّي يائِسٌ ولكنّه لم يفكِّر بأنّي جاهِلٌ – إذاً يجبُ أن تكونَ معتوهاً ويائِساً.

لاسكي: عندما قُلْتُ الإرادةَ،لم أفكِّرْ بها كأمرٍ هامٍ جداً، وإنّما كأمرٍ بسيطٍ. (القنفُذُ يعرفُ أمراً واحداً مهمّاً، والثّعلبُ يعرفُ أشياءَ عديدة) أنا الثّعلبُ وأنتَ القنفُذُ. فعندما أُشيرُ إلى الإرادةِ أودُّ أنْ أعرفَ ماذا تقولُ عن المحبّةِ، عن عملِ الخير، عن الزنى، عن الكَذِب وعن الغَضَب، ولكن ليس ما تقولُهُ عن الله. يبدو الأمرُ ببساطةٍ لي هو

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنّه عندما يتعلّقُ الأمرُ بكلِّ هذه الأمورِ البشـــريّة، أتســـاءَلُ ماذا أفعل؟ كيف أتصرّف؟ كيف أجدُ التعزية؟ آباءُ الكنيســـةِ وكهنـــةُ المعابد مرّوا بذلك ووجَدوا إجاباتٍ تُلائِمُ البَشَر، لذلك لا بُدَّ من وجودِ جوابٍ يلائمني. وهذا لا يُلزِمُني أنْ أتَّبِعَ نفسَ مصدرِ إجابتِهم، ولكن ربّما كانت إجابتُهم تتوافقُ مع حالتي.

بلوم: هذا يثيرُ اســـتِغرابي لأنّه، وخـــاصةً في وقتِنا الحاضر، الناسُ مهتمّون جدّاً باكتشـــافِ كـــلِّ ما هو موجود، يُسافِرون ويُشاهِدون، يَقرأون ويَسمَعُون ويُدرِكون ما هي الحقيقةُ بكاملِها. تساؤلي حول هذه الحقيقةِ هو، هل أشعرُ بأنّ اللهَ جزءٌ منها أم لا؟ الأمرُ الهامُّ هو أنْ تَعرِفي أنّ اللهَ موجودٌ أكثرَ من الاهتمامِ بوجودِ أمورٍ ماديّةٍ أخرى في العالم. إنّه هامٌّ ليس فقط بالنســـبةِ للعالم، ولكن بالنســـبةِ لاهتمامي العميق بكلِّ ما يوجَد.

لاسكي: لكنّني قلتُ بأنّي أعتقدُ أنّ اللهَ غيرُ موجودٍ. كيفَ ستتغيّرُ حياتي إنْ فكّرْتُ بغيرِ ذلك؟ كيفَ يُمكِنُ لصورةِ العالَمِ غيرِ الكاملةِ لديَّ بأنْ تصبحَ أكثرَ كمالاً؟ كيف يمكنُ لحياتي أنْ تصبحَ مختلفةً؟

بلوم: ما هـــو الفرقُ الذي حصـــلَ لحياتِـــكِ عندما عَلِمْتِ أنّ الموسيقى موجودةٌ؟ فأنتِ بإمكانكِ العيشَ بشـــكلٍ جيّـــدٍ دون اكتشافِ وجودِ الموسيقى. ربّما لم تُحسِّن من حياتِكِ أو تُسيءَ إليها،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولكنّها تُغنيها. إنّها جزءٌ من تجربةٍ حياتيّةٍ أوسعَ وحقيقيّةٍ أكثر، وضمن هذا الإطارِ أضعُ مسألةَ الله.

لاسكي: أُدرِكُ ذَلِك. ولكن بالتّأكيد اللهُ غيرُ موجودٍ ليُغني حياتي. أنتَ على الأغلب تَقترحُ بأنّ هناكَ فنٌّ آخر لم أُشِرْ إليه. أنا صمّاءُ تُجاه الله، وسأحصلُ على حياةٍ أغنى فقط إذا تمكّنْتُ من فَهْمِ فنٍّ آخَرَ لا أفهَمُه، ولكن يجبُ أن يكونَ اللهُ أكثرَ من ذلك.

بلوم: أيضاً، ومن خلال خِبرَتي، عندما قُلْتُ مرّةً في الماضي: (لا أجدُ فائدةً من الموسيقى، ولستُ مهتمّاً بها ولا أُحِبُّها)، قال الناس: يا لَهُ من مسكينٍ! أنتَ تخسَرُ الكثيرَ وتفقُدُ جُزءاً من الحياة.

لاسكي: ولكنّكَ على الأقل تعلَمُ أنّ الموسيقى موجودةٌ. يُمكنُكَ مراقَبَتُنا ونحنُ نُصغي، كما يُمكِنُكَ رؤيةُ أولئِكَ النّاسِ وهم يَذهَبُون بعيداً.....

بلوم: بالتّفكيرِ والتّأمُّل.... ولكن ماذا عنّا نحنُ الذين نذهبُ بعيداً؟ ماذا عن أولئِكَ العُظماءِ مثل القديسةِ تيريزا؟

لاسكي: أنا لا أؤمنُ كثيراً بالقدّيسةِ تيريزا، لأنّه يبدو لي أنّها عندما لم تجدِ الأشخاصَ الذين يتّفِقُونَ مع تفسيرِها لوجودِ الله كانَتْ تبحَثُ عن معلّمٍ آخر، لذلك فهي ليسَتْ قدّيسَتي المفضّلة. ولكنّني أعتقدُ بأنّها مثالٌ جيّدٌ لأنّها، أكثرَ من معظَمِ الناس، آمَنَتْ باللهِ وأدرَكَتْهُ، متجاوِزةً حدودَ ما تسمحُ بهِ المسيحيّة، في الحقيقةِ هي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لَمْ تقدِّم رؤيتَها تلك للسّلطةِ (للحُكْم). كما قُلْتُ، فإنّها غيّرَتْ تبعيتَها عندما لم تتوافقْ مع رؤيتِها.

بلوم: ولكن يوجدُ هنا امرأةٌ والعديدُ من النـــاس يملكـــون شيئاً يقولون بأنّه حقيقيٌّ، وأنتِ ترغبينَ بالذّهابِ بعيداً لاكتشـــافِ كاتِبٍ جديدٍ، فنّانٍ جديدٍ في الرّســـم والنّحت، عالَمٍ جديدٍ من الاستكشاف، وتقولين بأنّ هذا الأمر لا يستحقُّ البحثَ والتّحقيقَ والاكتشـــاف. إنّ هذا ما يشوِّشُني فعلاً.

لاسكي: لا أعتقدُ بأنّي أقولُ هذا. أنا متأكدةٌ أنّي مِنَ الجائزِ ألا أكونَ قد تحقَّقْتُ من الأمرِ كما تريد، وبالتّأكيد لا أرى أيّ بديلٍ عن عالِمِكَ. لأنّه منذ عصرِ النهضة على ســـبيل المثال، كانت هناك مظاهر محزنةٌ جداً. بحيث أنّه – وللأسف – لم يوجَدْ في كلِّ الفنون وَحْيٌ يمكنُ مقارنتُهُ بالوَحي الذي يُعطيه الدِّين. ولا يمكنُ مقارنةُ الموسيقى العِلمانيّة بتلك الموســـيقى الموجودة في الخدم الليتورجيّة (القـــدّاس). أنا أظنُّ بالتّأكيد أنَّ الإيمانَ بالله والأديانِ المنبَثِقةِ عن هذا الإيمان قد أعطَتْ فِعْلاً شكلاً ونموذجاً للحياةِ التي لا أرى بديلاً مُقنعاً لها، ولذلك أؤكّدُ لكَ بأنّ حياتي هزيلةٌ مقارنةً بتلك التي للمؤمن. ولكن تبريري لذلك، وأقول الأمرَ بتواضعٍ بقدر ما يمكن، هو أنها قائمةٌ على الحقيقة كما أراها، والحقيقةُ يجب أن تحرِّرني من الكمال، فأنا لَسْتُ مدعوّةً للوصولِ إليه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بلوم: أنا أشعرُ بسعادَةٍ فائِقَةٍ على ما قُلتِهِ، لأنّني أظنُّ أنّ أكثرَ ما يهمّ فعلاً هو الأمانةُ والحقيقة. وأنا متأكّدٌ بأنّه إنْ كانَ اللهُ موجوداً، وأنا أؤمنُ بذلِك، فإنَّهُ يشعُرُ بسعادةٍ أكبر حول صِدْقِ غيرِ المؤمِن من الإيمان المزيّف. الآن أعتقدُ بأنّه يجبُ أنْ أُعطيكِ الفُرصةَ التي أعطَيْتِني إيّاها لتقولي ما ترغبينَ بقولِهِ، إضافَةً لنقاشِنا هذا.

لاسكي: ربّما لم أُعطِ صورةً غنيّةً عن الإلحادِ والتي لا أعتقدُ بأنّها كذلك. وأنا أظنُّ بأنّه نوعٌ متزمّتٌ من الإيمان البروتستانتي، وإنّه يتّجه نحو التكبّر والعجرَفَة لأنّنا لا نملكُ الحُكْمَ. ولكن هناك شيءٌ أرغبُ بقولِهِ حولَ الإلحاد، كضدٍّ للدِّين. إنْ حاوَلْتَ ممارسَتَه فهو يُدرِّبُك على فضيلةٍ أُقدِّرُها جدّاً، وهي القُدرةُ على التّحمُّل من دونِ البُكاء، أو البحثِ عن مساعدةٍ ما، أنتَ تتوقّعُ الحصولَ عليها. ولكن يجبُ علينا نحنُ – أنا أقولُ (نحن)، وأنا لا أعلمُ مَن (نحن)، أنا لا أعلمُ مَن هم الملحِدون وهنا مَرَّةً أخرى يأتي التَّكبُّر – أنْ نعتمدَ بعُمقٍ أكبرَ على الدِّين، الذي يتضمَّنُ أموراً كثيرةً لا يمكنُ أنْ نحصلَ عليها؛ المذْهَبُ، الطَّقْسُ الدّيني، الليتورجيا، كلماتٌ أقوى من أيّةِ كلماتٍ لدينا. أنا أظنُّ أنَّه أحياناً يُمكِنُنا الحصولُ على مساعدةٍ أكبر.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الشَّكُّ

و

الحيَاةُ المسيحيّةُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الشّكُّ والحياةُ المسيحيّة†

لا أقصدُ هنا أن أُقدِّمَ عَرْضاً تفصيليّاً كامِلاً عن المسيحيّة، وإنّما أودُّ أنْ أُشيرَ إلى نقاطٍ محدّدةٍ أعتقدُ أنّ لها صِلةً وثيقةً بالمسيحيّ، والتي تهمُّ أيَّ شخصٍ يرغبُ أنْ يفهمَ نفسَهُ، ويفهمَ الوضعَ الذي نجدُ فيه أنفسَنا نحن كمسيحيين. ربّما عندما أقول (نحن كمسيحيين) أقصدُ أبعدَ ممّا أقولُهُ، ربَّما عليَّ أن أقولَ: (الطّريقةُ التي يمكنُ بها لأحدِ المسيحيين الذي ينتمي إلى الكنيسةِ الروسيّةِ أنْ يفهمَ ذلِكَ)، لأنّ هذا سيكونُ مساهمةً شخصيّةً. إنّني أعرِضُ هذا ليس كتعليمٍ، وإنّما لتنبيهِ الفِكر.

في كلِّ حُقْبَةٍ زمنيّةٍ، هنالك كلماتٌ تظهرُ لتُميِّز حالةً أو ظرفاً ما. عندما يستخدمُ أحدُهُم كلماتٍ مثل (مشكلة) أو (إشكاليّة)، فإنّه يقصِدُ أشياء تبدو أنّها كانَتْ واضحةً تماماً للجيلِ قَبْلاً، ولكنّها الآن تظهَرُ بطريقةٍ جديدةٍ، وتتطلَّبُ رؤيةً عميقةً وتفكيراً جديداً، وهو ما يجعلُنا غيرَ مكتفينَ بترداد الآراءِ التي تعودُ لجيلٍ سابقٍ. أنا أتحدَّثُ عن هذه الأشياء كمعنىً تاريخيٍّ للأحداثِ المأساويّة مثل الثّورةِ الروسيّة، المعاناة (العامّة والعائليّة) والمآسي الوطنيّة.

† إنّ فصولَ هذا الكتاب الثاني والثالث والخامس هي نصوصٌ تمّ تجميعها من أحاديثَ أُلقيت في جامعةِ برمنغهام في بريطانيا عام 1970.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يبدو في أيامِنا هذه أنّ الكلماتَ التي تَرِدُ بسهولَةٍ إلى عقولِنا هي (الارتباكُ) و(الحَيرَةُ)، وهي تؤثِّرُ على نشاط عقولِنا لأنّ المشكلةَ مع الكلماتِ هي أنّها تبدأُ بتحديدِ حالةٍ موجودةٍ، ومن ثمَّ تُحاوِلُ بلورتَها بوضعِ نوعٍ من التصوّرِ للعالم. الناسُ الذين يواجهون مشكلةً ما يقَعُون في حَيرةٍ. هم مَن يقولون ذَلِك، وهم على حقّ. ولكن فيما بعد، صارَ الناسُ يقَعُون في الحَيرَةِ قبلَ وقوعِ المشكلةِ، وهم يَعتقِدون بأنَّهم يُواكِبُون هذا العَصْر إنْ كانوا قد استجابوا بالوقوعِ في الحَيرَةِ، لكن ذلك لا يؤدّي دائماً إلى أيِّ حلٍّ.

لذلِكَ فإنَّه قبلَ البدءِ بذِكْرِ أيِّ شيءٍ أكثرَ تعمُّقاً بالنسبةِ لإيماننا أو نظرَتِنا إلى العالم، أودُّ أنْ أَلْفتَ الانتباهَ إلى موضوعِ (الحَيرَة) وإلى موضوعِ (الشّكِّ)، وذلك بُغيةَ إثارةِ التّفكيرِ حولَ بضعَةِ كلماتٍ مثلَ الإيمانِ، والشّكِّ، والواقعِ، والحقّ. أنا لستُ عالِماً لاهوتيّاً، أنا مجرّد عالِمٍ متدرِّبٍ وطبيبٍ، لذلِكَ لن تجدوا في كلماتي أيَّ عمقٍ فلسفيٍ يسبرُ الأشياءَ. أنا أكتبُ كأيِّ كائنٍ بشريٍّ عاديٍّ يُواجِهُ الحياةَ ومشاكِلَها.

أولاً فيما يتعلَّقُ بالإيمانِ كمُلاحَظةٍ تَمهيديّةٍ، فإنَّ الناسَ يَفهمونَ الإيمانَ غالِباً بأنَّه بمثابَةِ إلغاءٍ للعَقلِ. بكلماتٍ أخرى يبدأُ الإيمانُ عندما لا أعودُ قادِراً على التّفكيرِ بشكلٍ خَلاّق، عندما أَصرفُ ذِهني عن أيّةِ محاولةٍ للفهمِ بعقلانيّةٍ، وعندها أقولُ: (أنا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أؤمنُ). إنّه من السّـــذاجَةِ بمكانٍ أنْ تكونَ هذه هي الطَّريقةُ الوحيدةُ لمواجهةِ المشكلةِ التي أَتعرَّضُ لها.

ربّما يكونُ هذا سَـــذَاجَةً أو جُبْناً، وربّما يكونُ عَمَلاً تمهيديّاً مَليئاً بالحِكمَةِ والعَقلانيّةِ، الأمر الذي يُعلِّمُنا بأنْ لا نضعَ أو نتوصّلَ إلى خاتمةٍ قبلَ أنْ نَفهمَ. لكنْ هذا ليسَ هو الإيمانُ الذي فَهِمَهُ الرجالُ العُظَماءُ من جميعِ الأديانِ وخاصّةً الإيمانُ المســيحيّ. في الرّســالةِ إلى العِبْرانيين في الإصحاحِ الحادي عَشَر تمَّ تعريفُ الإيمانِ بأنّه "اليقينُ بأمورٍ لا منظورَةٍ". نحنُ عادةً نُشدِّدُ على الأمورِ اللامنظورةِ وننسى اليقينُ.

لذلك عندما نُفكِّرُ بالإيمانِ فنحنُ عادةً نُفــكِّرُ باللامنظورِ، ونَضَعُ عندها إشارةَ استفهامٍ عِوَضاً عن اليقينِ. ومِنْ ثَمَّ فإنّه لحلِّ المشكلةِ، نَقْبَلُ بطريقةٍ طفوليّةٍ، وغالباً بطريقةٍ لاعَقلانيّةٍ، ما يُخبِرُنا بهِ الآخرون. وعادةً نعودُ إلى كلامِ أجدادِنا منذُ ثلاثةِ أجيالٍ مَضَتْ، أو أيِّ شخصٍ آخر نختارُ أنْ نأخُذَ بكلامِهِ لأســبابٍ لا تكونُ دائماً منطقيّةً. ولكنَّكَ إنْ حاوَلْتَ معرفةَ طريقةِ نشوءِ الإيمانِ لَدى أُولئِكَ النّاس الذين كانوا أُناساً عُظماءَ في الإيمانِ، أبطالَ الإيمانَ، فأنتَ ستَرى بأنَّهُ دائماً ما نَشَأَ نتيجــةً للتجــربةِ التي جعلَتِ اللامنظــورَ يقيناً، والتي مكَّنَتْهُم بعدَ اكتشافِهِم بأنَّ اللامنظورَ هو حقيقيٌ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كـــالمنظورِ، ما جعلهـــم يبحَثُون أكثرَ عـــن اللامنظورِ باستخدامِهِم طُرُقَهم الخاصّة.

هنالِكَ نَصٌّ، على سبيلِ المثالِ، في أعمالِ مَكاريوس المصريّ الذي عاشَ في القرنِ الرابعِ يقولُ: (اختبارُ اللهِ ورؤيةُ العالَمِ في اللهِ هو شيءٌ يمكنُ أنْ يحدُثَ فقط في لحظاتٍ عندما تكونُ كلُّ أفكارِنا ومشاعِرِنا متوقفةً لدرجةٍ لا نعودُ فيها قادرينَ أنْ نكونَ ضِمْنَ هذهِ التّجربةِ ونَفْهَمَ الأشياءَ ونَخرُجَ من التّجربةِ ونُراقِبَ أنفسَنا ونحلِّلَ ما يَحدُث. اللحظةُ التي نحيا فيها التّجربةَ، هي اللحظةُ التي لا يُمكِنُنا مراقبةَ هذه التّجربة فيها). ويقولُ بأنّ هـــذا ســـيكونُ كافياً تماماً لشخصٍ قد اختبرَ اللهَ. ولا يرغبُ بالعودةِ إلى مرحلةٍ ســـابقةٍ. ولكنّه يقولُ أيضاً: (اللهُ يهتمُّ ليـــسَ فقط بالذين مَرُّوا بهذا الاختبارِ، ولكن أيضاً بأولَئِك الـــذين لم يَمرُّوا به. يهتمُّ أيضاً بأنّه كانَ لا بُدَّ أنْ يأتيَ إليهم أحدٌ ما كشاهِدٍ للأشياءِ اللامنظورةِ والذي اختَبَرها حقيقةً ثمَّ تراجَعَ عَنْها). في هذه اللحظةِ يَبدأُ، كما يقولُ مَكاريوس المصريّ، عالَمُ الإيمانِ، ويبقى اليقينُ حتّى ولو كانَتِ التّجربةُ من الماضي. اليقينُ موجودٌ لأنَّ ما حدَثَ لَهُ مؤكَّدٌ كما هي كلّ الأشياءِ المحيطةِ به، إنّه ملموسٌ ومرئيٌّ ومُدْرَكٌ بكلِّ الحواسِ، لذلِكَ تبدأُ لحظةُ الإيمانِ كنتيجةٍ لأوَّلِ احتِكاكٍ مع اللامنظورِ المكتشَفِ بطريقةٍ ما.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وهذا يعني بأنّ عَلَينا أنْ نكونَ صـــارِمين ومُتّزنين عندما نتكلَّمُ عن إيماننا، لأنّنا غالِباً ما نقـــولُ (أنا أؤمنُ بهذا وذاك). وعندما نأخُذُه عن أحدٍ آخر على أنّه صحيحٌ، فإنّنا لا نهتمُّ بالبحثِ في العُمقِ. وطالما أنّ هذهِ الحقيقةُ أو الحقيقةُ الوهميّةُ لم يتم إسقاطها فإنّنا نثقُ بها، وهذا نوعٌ سيءٌ من الإيمانِ. هذا ما سمّاه أحد اللاهوتيين الـــروس: (ذبيحَةٌ هَرِمَةٌ لإيمانٍ غيرِ فِكريٍّ).

ما عَلَينا فِعلُهُ في أيِّ وقتٍ نواجهُ فيه هذا النوعَ من الإيمانِ هو أنْ نُقابلَه بالتّجربةِ. نسألُ أنفسَنا إذا كنّا قد اختَبَرْناه. وإنْ لم نَكُن قد اختَبَرْناه فيجبُ أنْ يبقى ذلك مجالاً للبحثِ والتّدقيقِ، وأنْ يبقى أمراً نَقَلَهُ إلينا شَخْصٌ يَعرِفُه ولكنّنا نحن لا نَعرِفُه. إنّه أمرٌ واعدٌ، ولكن علينا العمل على التأكّد منه. لا يمكننا القول: (أنا أعرفُ، أنا على يقينٍ، أنا أفهمُ الأمرَ بالتّجربةِ).

هذا النوعُ من الإيمانِ؛ إيمانُ شخصٍ يثقُ بالأمورِ بكلِّ بساطَةٍ، وهو عاجلاً أمْ آجلاً، ســـيتعثَّرُ بسببِ الحياةِ ومشاكِلِها، وسيتعرَّضُ للشَّكِّ بالحقائِقِ. وبتعبيرٍ آخرٍ، إنْ شِئتُم سيُصابُ بالحَيرَةِ. ما يحدثُ غالِباً مع النـــّاسِ أنّهم عندما يكونون صِغـــاراً، فَهُم يَتوارَثُون عدداً من الأمورِ المؤكَّدةِ ويَقبَلونَها بِثِقَةٍ من والِدَيْهِم، من معلِّمِيهِم، من المحيطينَ بِهِم، ومن الوَسَطِ الذي يعيشُونَ فيه. فيما بعد سيَحتَفِظُونَ بالحَدِّ الأدنى من هذا الإيمانِ ليكونَ بمثابَةِ كترٍ. إنّنا نتطوَّرُ بكافَّةِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الوسائلِ الممكنةِ، ولكنْ دونَ نموٍّ وتطوّرٍ لإدراكِنا للعالَمِ اللامنظورِ، واليقينِ اللازمِ بكلِّ ما يَجري من حولِنا. ثمَّ تأتي تلكَ اللحظةُ، ففي سِنٍّ يُقارِبُ الـ 18 عاماً، ربّما قَبْلُ أو بَعْدُ، عندما يُواجِهُ الطّفلُ الموجودُ في داخِلِنا – الطِّفلُ الذي بدأ من عُمرِ 8 سنواتٍ، والذي جَمَعَ كلَّ ما استطاعَهُ من الإيمانِ وكوَّنَ نَظْرَةً طُفوليَّةً عنِ العالَمِ – العدوَّ والمقاوِمَ الذي بداخلِهِ. فتاةٌ أو شابٌّ بعُمرِ الـ (18–20) أو 25 عاماً يقولونَ: (هذا هُرَاءٌ، لا يُمكِنُنا الإيمانَ بذلك). ثمّ تبدأُ عمليةُ الجَدَلِ، والتي ستُؤدّي إلى هزيمةِ الإيمانِ. لأنّها ببساطةٍ تتمُّ بينَ طفلٍ صغيرٍ بقلبٍ نقيٍّ وتفكيرٍ صافٍ، وشخصٍ ما يُجابِهُ تِلكَ الطبيعةِ الطفوليّةِ بمشاكلِ جيلٍ آخر، ومستوى آخر للفَهمِ وإدراكِ العالم.

بعُمْرِ 8 سنوات يمكنُ الوثوق بالعالم، ولكن بعُمرِ 18–25 عاماً لا يُمكنُ ذلك، وفي بعضِ الحالات فإنّ هنالك أمورٌ لا يمكن الوثوق بها مطلقاً. لنأخذَ على سبيلِ المثال سرّ الإفخارستيا الذي هو النّواة الرئيسة للعبادة المسيحيّة، وهو يتمركَزُ في فعلِ الشُّكرِ الذي نقولُ فيه لله: (نَشكُرُكَ على كلِّ شيءٍ). الآنَ، هل بإمكاننا القول وبصدقٍ (نشكرُكَ على كلِّ شيءٍ) في مواجهةِ كلِّ مآسي هذا العالم، ما لم تكن لدينا محاكمةٌ عقليةٌ لنرى – وراء هذه المأساة – الحلَّ والمعنى الكامنَ فيها؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ليسَ الشَّـــكُّ ببساطةٍ عمليةَ إنكارٍ. الشَّكُّ هو لحظةُ الانقسامِ التي تحدثُ في عقولِنا؛ اللحظةُ التي – وإنْ كان الذي يليها طريقٌ مستقيمٌ – نَصِلُ فيها إلى مُفترَق طرقٍ ونسألُ أنفسَنا: (هل أذهبُ في هذا الطّريقِ أم في ذاك؟). ربّما يكونُ أحدُهُما مُقنعاً جدّاً، وربّما الآخر فيه إغراءٌ أكبر. فأيٌّ منهما أختار؟ إنّها حالةُ شخصٍ ما تعامَلَ مع مشاكلِ الحياةِ بطريقةٍ بسيطةٍ، وفجأةً يكتشف بأنّ هناك توازناً أكثر دقةً بين الأشياء، وأنّ الحلَّ البسيطَ ليس هو بحلٍّ على الإطلاق. ماذا سنفعلُ عندئذٍ؟

هنالك موقفان مختلفان تماماً من الشَّـــكِّ في العقلِ؛ موقِفُ العالِم، وموقِفُ المؤمِن. بالنسبة للعالِم، الشَّكُّ هو قنبلةٌ موقوتةٌ، إنّه نوعٌ من المـــَرَح. أمّا بالنّسبةِ للمؤمِن عندما يأخذُ الموقفَ الخاطئ من الشَّكِّ ومما يواجهه من مشاكل، فهذا يكونُ هو وقتُ الشّعورِ بالألمِ والاضطراب. ما يحدثُ عادةً للمؤمِن أنّه قد آمَنَ – وبكلِّ بَساطةٍ – بأنَّ كلَّ شيءٍ واضحٌ وبسيطٌ ومستقيمٌ، وفجأةً يكتشـــِفُ أنّ الحياةَ قد تُكَذِّبُ كلَّ ما أعتقدَ بأنّه صحيحٌ. ومن ثَمَّ يصبحُ جوابَه: (ليسَ لدي ولاءٌ لفِكري، لإيماني، لكنيسَتي، ولا لله). هذه المشكلة لا تتعلّقُ فقط بالمسلَّمات، وإنّما تتعلّقُ بأشياءَ أساسيّةٍ حولَ الله نفسه، وحولَ الكنيسةِ، وحول ما هو نواة حياة المؤمِن. ثمّ يشعرُ أنّ ما هو على المحكّ انسحاقٌ، تدميرٌ واختفاءٌ للإيمان. لقد صارَ وجودُ اللهِ موضِعاً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

للتساؤلِ الآن. القيمُ والمبادئُ التي كانت أساسيّةً وجوهريّةً بالنسبةِ لَهُ، أصبَحَتْ موضِعاً للتّساؤل، وبالتالي تصبحُ كينونَتَهُ مشكلةً، تبدو أنّه من غيرِ الممكنِ التَّغَلُّب عليها.

عندما يكونُ العالِمُ منهمكاً في بحثِهِ، يقومُ بتجميعِ كلِّ الحقائِقِ القادِرِ على تجميعِها، ومن ثمّ يَضَعُها مع بعضِها البعض. وبعدَ الانتهاءِ من تجميعِها بطريقةٍ تُمكِّنُه من استخدامِ مُجمَلِ هذه الحقائِق ليَبنيَ فرضيةً أو نظريةً أو نموذجاً أو رَسْماً لبناءٍ معماريّ، يُصبحُ قادراً على وضعِ كلِّ الحقائِقِ معاً. إنْ كانَتْ غايةُ العالِمِ من البحث أنْ يصنعَ اسماً له، فهو سيُحاولُ حمايةَ نتاجِهِ من الانتقادِ ومن أيّ شكٍّ وأيّ تساؤل، بغَضِّ النّظَر عن الأمانة. ولكن إن كان كإنسانٍ عالِمٍ يبحث ليكتشفَ ما هي حقيقةُ الأشياء، فإنّ عملَه الأول سيَدورُ ويَدورُ حولَ نموذَجِهِ في كلِّ الاتجاهات، فيَفحصُهُ ويُحاولُ إيجادَ مواقِعَ الخطأ فيه. ما هي المشكلات الكامِنة فيه؟ يبحثُ عن النّظريةِ التي يُقدّمُها، الفرضيّةُ التي يَعرِضُها الآن لتَحظى باهتمامِ الآخرين. وإنْ لم يجِدْ خَطأً، فسوفَ يحاولُ من خلالِ البحثِ أنْ يتعمَّقَ أكثرَ لكي يكتشفَ حقائقَ لا تتناسَبُ مع نظريّتِهِ أو نموذجِه، لأنّه عندها سيَجِدُ حقيقةً، قد تنقُضُ نموذَجَه، وتجعلُ نظريّتَهُ قابلةً للتّساؤل، وبذلك فإنّه سيكونُ قد فتحَ نافذةً جديدةً على الحقيقة. من هنا فإنّ غايةَ بحثِ العالِمِ الجيد هي أنْ يضعَ نماذِجَ نظرياتٍ أو فرضيّاتٍ تكونُ بمثابَةِ مدخلٍ للتّســـاؤل،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

واكتشاف شيءٍ ما سيقوم بتقويضِها بُغيةَ خَلْقِ نموذجٍ جديدٍ قابلٍ للشَّكِّ كسابِقِهِ، ولكنَّهُ يُتيحُ له أنْ يقومَ بتجميعِ الحقائِق معاً بطريقةٍ مُنسَّقَةٍ.

في عُمقِ نشاطِ العالِم يوجدُ يقينٌ بأنَّ ما يشُكُّ فيه ويناقِشُهُ هو النموذج الذي أوجَدَهُ؛ الطّريقةُ التي أَسقَطَ بوساطتِها أفكارَهُ العقلانيّة على العالَمِ من حولِهِ وعلى الحقائقِ، هي الطريقةُ التي جَمَعَ فيها الأشياءَ سويّةً بعقلانيّة. ولكن الشيء المؤكّد بالنسبة له، أنّ الحقيقةَ – التي تتجاوزُ نموذَجَه الذي أعدَّهُ – ليست في خطرٍ في حالِ تداعي وانهيارِ نموذجه. الحقيقةُ ثابتةٌ وهي موجودةٌ، والنموذج المعدُّ ليس التعبيرُ المناسب عنها، وبالتالي لا تتأثّرُ الحقيقة بسبب اهتزاز النموذج.

يمكن استبدال كلمة (النموذج) بكلمةٍ أخرى عندما لا يتمُّ استخدامها لغايةٍ علميّةٍ؛ يمكن استبدالها بكلمةِ (الحقّ). الحقّ هو نوعٌ من التّعبير عن الحقيقة، وله معنيان: الأول، أنّه بالإمكانِ إدراكُ الحقيقةِ حولَنا (ولكن بشكلٍ غير كامل). ثانياً، أنّه يمكن التّعبير عنها (أيضاً بشكلٍ غير كاملٍ بسبب عدمِ قدرتِنا على استخدام كلماتٍ وتعابيرَ مطابقةٍ للمعنى). هنالك حدثٌ واحدٌ في التاريخ البشريّ تطابقَ فيه الحقُّ مع الحقيقة. لقد تَمَّ ذلك بسرٍّ تجسُّد السيد المسيح؛ لأنّه هو الله، الكمال، تَمامُ الخَلْق، وبنفسِ الوقتِ هو

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التّعبيرُ التّامُ عنه. ومن ثمَّ لا يُعدُّ (الحقّ) جواباً للسؤال: (ماذا؟) بل جوابٌ للسؤال: (مَن؟) وعندما سأل بيلاطس (ما هو الحقّ؟) لم يُجبْهُ المسيحُ لسببٍ بسيطٍ، هو أنّه لو أجابَهُ بما قالَهُ لتلاميذِه (أنا هو الحقّ)، فإنّ إدراك بيلاطس للمعنى سيكون أقلّ ممّا كان عند التّلاميذِ، الذين لم يَفهَمُوا مع ذلك أيّ شيءٍ في تلك اللحظة.

التّعبيرُ عن (الحقّ) مُصَمّمٌ ليتمّ باستخدامِ كلماتٍ بَشَرِيّةٍ، بلغةِ الأممِ والقبائل، بلغة العصر وما إلى ذلك. من الواضح أنّه محدودٌ، ولكن له صفةٌ أخرى: يمكن للحقِّ أن يكون إمّا ساكناً أو ديناميكياً. ويمكنك أنْ تعبّر عن الحقِّ بطريقتين: أنْ تتمَّ إصابة المعنى بسرعةٍ وبشكلٍ مباشر، وهذا أمرٌ صحيحٌ ولكن تَشوبُ صِحَّتَه في الوقت نفسه عدم دقّةٍ في هذه الصِّحة. لا بُدّ أنّنا جميعاً اختبرنا ذلك في كلام الواعِظين، أو المحاضِرين، أو السياسيين أثناءَ خُطَبِهم. وذلكَ في تلك اللحظة عندما يتوقفُ الكلام وتبقى أفواهُ الناس مفتوحةً مشـــدوهةً. على كـــلِّ حالٍ إصابةُ الهدف بســـرعةٍ هو أمرٌ صحيحٌ تماماً، ولكنّه يتمُّ للحظـــاتٍ خاطفةٍ ويُعطيكَ صورةً سخيفةً عن شيءٍ ما، ربّما كان الناس يتناقَلونه في ذلك الوقت.

إنّه شيءٌ لا حَرَاكَ فيهِ، جامِدٌ، هو نوعٌ من تجميدٍ لشيءٍ متحرِّكٍ، إنّه صحيحٌ ولكنّه لا يُعبِّرُ عن الحقّ، لأنّ الحقّ كان في تلك اللحظة هو الانفعـــال. عنـــدما تَرغَبُ بالتّعبير عن الحقِّ – أي الواقعيّة –

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بشكلٍ ديناميكي، تكتشفُ أنّ الحقَّ قد أصبحَ مشكلةً من نوعٍ مختلفٍ تماماً. وسأورد مثالاً أو مثالين يَشرَحان قَصدي.

هنالك لوحةٌ لرسّامٍ فرنسيٍّ اسمه (جيريكولت) تدعى *The Derby at Epsom* أي (سباقُ الخيلِ في مدينة إيبسوم)، إنْ نظَرْتَ إلى اللوحةِ ستَرى الأحصنةَ تَجري مُتراقِصَةً فَرَحاً، ولكنْ إنْ كُنْتَ مُهتمّاً بعِلْمِ الحيوانِ أو بآليّةِ الحركةِ وأَمعَنْتَ النَّظَرَ في سَيرِ الأحصنةِ، فستَكتَشِفُ بأنّه لا يوجدُ حصانٌ يستطيعُ أنْ يجريَ بهذه الطّريقة. بعضُ هذه الأحصنة قوائِمها متباعدةٌ بعضها عن بعض، بطريقةٍ لو استمرّتْ بذلكَ فستَقعُ على بطونِها. والأحصنة الأخرى تقفُ بقوائِمِها الأربعة مجتمعةً سويةً ولا يُمكنُها القَفز من أماكنها المحددة في اللوحة. ماذا كان هدفُ (جيريكولت)؟ كان يَهدِفُ أنْ يبيّنَ عمليةَ الرّقصِ وليس رَسْمَ الأحصنةِ. الاهتمامُ كان في التّعبير عن الحركةِ وليس بعِلمِ التّشريحِ أو بعِلْمِ وظائف الأعضاء. وقد اختارَ عن عَمْدٍ (لأنّه يعرفُ تماماً كيفَ يَرسُمُ حِصاناً) أنْ يُعبِّرَ عن الأشياءِ هكذا على خِلافِ الواقع، لأنّها الطّريقةُ الوحيدةُ لإقناعِ النّاظِرِ بأنّها تتحرَّكُ.

هذا ما نَفعلُهُ دائماً في عِلْمِ اللاهوتِ أو الفلسفةِ. فنحنُ نُزيّفُ الأشياءَ عندما نُريدُ التّعبير عن لحظةٍ متحركةٍ، ولكن غالباً ما يَعتبرها القارئ بمثابة صورةٍ ملائمةٍ حول ماهيّة الحقيقة. وهذا يصحّ مثلاً عندما يتعلّق الأمر بمفهوم الثالوث القدوس.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هنالك مثلٌ آخرٌ أرغبُ بإعطائه حول الحقيقةِ، وهو الأسنانُ الزّائفةُ. عندما تقول بأنّ هذه أسنانٌ زائفةٌ، فأنتَ تَحكُمُ على المدلولِ وليس على الحقيقة. نبدأُ بافتراضٍ شائعٍ بأنّ الأسنانَ الحقيقيّة تنمو تلقائيّاً في فمِ الإنسانِ، وهذا حُكْمٌ حقيقيٌّ. ومن هذا المنطلق فإنّ الأسنانَ التي بإمكاننا أنْ ننتزعَها من فمِنا في المساء، ونُنظِّفَ ما حولَها، ونَحتفظَ بها في كأسٍ زجاجيٍّ، هي أسنانٌ مزيّفةٌ. ولكنّها برأيِّ طبيبِ الأسنان هي أسنانٌ حقيقيّةٌ تماماً. يبدو هذا مِثْلَ دُعابةٍ، ولكن هذا نوعٌ من الخطأ نقوم به بشكلٍ متكرر. لا نلاحظ ذلك، ولكنّنا نبدأ بالحديث عن شيءٍ ما من زاويةٍ، ثمّ ننتقل إلى زاويةٍ أخرى ونكتشف أنّ كِلتَا الزاويتين غيرُ متطابقتين سويّةً.

كلا، الحقيقةُ موجودةٌ في داخلِنا، والتي هي الكلّ المتكامل الذي يتضمّن الله وكلّ الأشياء المنظورة واللامنظورة. هذا ما نعنيه عندما نعبِّر عن الأشياء بالرموز حين نتحدّث عن الحقيقة. قد تكون هذه الرموز مُناسبةً، ولكنّها لن تكونَ متطابقةً مع موضوعِها. من الممكن في مجال الأدب اكتشاف أشياء مهمّةً في أعمال بعض الرّسّامين القُدامى، وخاصّةً الرّسّام الروسيّ (Rublev)[1] الذي عاش منذ 600 عاماً. لقد تدرَّب هذا الرّسّامُ على يَدِ إنسانٍ لديه سرّ رسم اللوحات بالأبعاد الثلاثيّة، ولكن أمراً غريباً ظهر، وهو أنّ مُعظمَ

1- أندره روبلييف، رسامٌ روسيٌّ شهيرٌ، من أهم أيقوناته الثالوث القدوس، وقد أعلنت الكنيسة قداسته.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لوحاتِهِ كانَتْ ثنائيّةَ الأبعادِ فقط. قامَ أحدُ مؤرّخي الأعمال الأدبية السوفييت بدراسة هذه المسألة، وتبيّن له أنّ (Rublev) يعبِّرُ عن كلِّ الأحداث التاريخيّة بلوحاتٍ ثلاثيّةِ الأبعاد، لأنّ فيها سَماكَةً، ولأنّها محدودةٌ بالزّمان والمكان. ولكن عندما يتعلّقُ رَسْمُهُ بالأبديّة فإنّه يعبِّر عنها بلوحاتٍ ثنائيّةِ الأبعادِ، لأنّها لا تملك سَماكةً، ولأنّها غيرُ محدودةٍ بمكانٍ أو زمان. عندما تنظر من النافذة في ليلةٍ رعديّةٍ عاصفةٍ فإنّك ترى كلَّ شيءٍ يَلمَعُ ويَتوهَّجُ، ولكن ما يظهر يختفي بسرعةٍ خاطفةٍ، بحيث لا يمكنُكَ أنْ تُفرِّقَ شجرةً من أخرى، وإنْ كانَتْ المشاهَدَاتُ بعيدةً أمْ قريبةً، ولا تُمكِّنُكَ السُّرعةُ من رؤيةِ أيِّ شيءٍ بالتّفصيل. هكذا هي الحقيقةُ في ظهورِها كافيةً وغير كافية. نقولُ غير كافية، لأنّ عقلَنا وفلسفتَنا ولاهوتَنا ومقياسَنا العلميّ هي أمورٌ لن تكونَ كافيةً لتثبيتِ صورةِ الحقيقة، إنّها تعني بكلِّ بساطةٍ أنّنا نقول: (يا للعَجَب! لقد وَصَلْتُ إلى درجةٍ أستطيعُ أنْ أتجاوزَ الحدودَ التي أعيشُ فيها، وبإمكاني أنْ أنتقلَ إلى رؤيةٍ للأشياءِ أوسَعَ وأعمَقَ وأجملَ ممّا هي عليه).

إنْ كُنّا نُفكِّرُ بالعالِم والمؤمِن، فإنّنا سنرى بأنّ شكَّ العالِمِ هو شكٌّ منظَّمٌ أكاديميٌّ، هو شكٌّ طموحٌ ممتلئٌ بالأملِ وبالفرحِ، شكٌّ يمتلك أنْ يحطِّمَ بنفسه كلّ ما توصَّلَ إليه، لأنّه يُؤمنُ بالحقيقة الموجودةِ وراءَ الأشياءِ التي يُنجِزُها، وليس فيها. هذا ما يجبُ أنَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نتعلَّمَه كمؤمنين فيما يتعلّقُ بحياتِنا الـــروحيةِ، ســـاعِينَ إلى الوصولِ إلى أقصى رؤيةٍ لاهوتيّةٍ بأبسَطِ خِبْرَةٍ ممكنةٍ كمسيحيين.

كلّما واجَهْنا مفتـــرقَ طُرُقٍ، وكلّما كُنّا في شـــكٍّ، وكلّما كان هنالك خياراتٍ أمامَنا، يجب أنْ نســـتبدلَ هذا القول الشّـــائع: (يا الله اجعلْني أعمى، يا الله ساعِدْني حتّى لا أرى، يا الله أَعطِني أنْ أثقَ بالذي أَعرِفه الآن بأنّه غير صحيح)، بالقول الذي يتطابق مع يقيننا: (الله يُرسِلُ شُعاعاً من نورٍ هو شُعاعُ الحقيقة على ما أعرفه برؤيتي البسيطة. لقد وصلتُ إلى درجةٍ بإمكاني فيها أنْ أرى أكثرَ وأعمقَ، الشُّكرُ لله). هذه ليســـتْ حَيْرَةً، وهذا ليس ارتباكاً، إنّه ليس شَكّاً مؤلِماً بالنسبة للمؤمن، على عكسِ ذلك الذي يُخفي رأسَهُ، ويأمَل أنْ يتمكّنَ من العودة إلى عمر الثماني سنوات.

إنّ هذا هامٌّ جداً، لأنّك ما لم تكن قادراً على رؤية الحقيقة، وأنْ تتمعّنَ في أفكارِكَ الخاصّةِ، وتســـتمعَ إلى أفكار الآخرين الذين يَملِكُون نفسَ الاهتمام بشجاعةٍ وبيقين، فإنّك لن تســـتطيعَ أنْ تتجنّبَ أخيراً الوقوعَ بالشَّـــكِّ، أو الحَيرةِ أو الارتبـــاكِ، وأنْ تَحوزَ حـــالةً هي هذا الاكتشـــاف، الذي يَجعلُ تَدَيُّنَكَ بعيـــداً عن أنْ يكونَ إضاعةً للوقتِ سُدىً. وإنْ لم تكنْ كذلك، فإنّكَ ستموتُ بالطّريقة نفسِها التي تُخبرُنا عنها الأساطيرُ القديمةُ: من أنّ حماراً وقف

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين دلو ماءٍ وبعضَ التّبن، ولم يكن بإمكانهِ أنْ يُقرّرَ ما إذا كان جوعُهُ أكثرَ من عطشِهِ، أم كان عطشاناً أكثرَ من أن يكونَ جائعاً.

أودّ أنْ أتحدّثَ الآن عن وضعِكَ في أن تكونَ مسيحيّاً في العالم. وأودُّ أنْ أبدأَ مُلاحظاتي بالقول بأنَّ هُنالِكَ مُبالَغَةً فيما يتعلّقُ بتعبيرِنا الذي نستخدمه (العالَمُ المُعاصِرُ). العالَمُ دائِماً مُعاصِرٌ لشخصٍ ما، في كلِّ لحظةٍ سيكون مُعاصِراً لجيلٍ من النّاس. إنّني أعتقد أنّ هناك أُسُسَاً عامةً بشريّةً وتاريخيّةً، من الممكن أن تكونَ بمثابةِ أساسٍ لحُكْمِنا وعَمَلِنا. الشيءُ الآخرُ الذي أودُّ الإشارةَ إليه، هو حقيقةُ أنّ الله معاصرٌ دائماً في كلِّ الأزمنة. وهذا غالباً ما ننساه محاولين بكلِّ جهودِنا اللاهوتيّةِ أنْ نجعلَهُ مُعاصِراً لزمننا. فاللهُ متماشٍ مع العصور تماماً ودائماً، وليس بحاجةٍ ليُغيِّرَ نفسَهُ ليكونَ مُعاصِراً.

سأوردُ الآن قصّتين معروفتين من الإنجيل، وبإمكاني أنْ أتحدّثَ عنهما بالتّفصيل. والقصّتان عن (العاصفةِ على بحيرةِ الجليل)، والمخطّط العام لكلا القصّتين متطابقٌ عملياً.

يَترُكُ التّلاميذُ الشاطئَ ثمّ يَعلَقُونَ في العاصِفةِ، وهُم يُواجِهون ما لا يتوقّعونَه في شخصِ معلّمِهم وربِّهم يسوع المسيح.

في القصّة الأولى (راجع مت14:24-33) غادَرَ التّلاميذُ الشاطئَ، ثمّ أدرَكَتْهُمُ العاصِفةُ وهم لوحدهمْ في القارب. بَقيَ يسوعُ خلفَهُمْ يُفرِّقُ الحشودَ المجتمِعةَ بعدَ أُعجوبةِ تكثيرِ الخبزِ والسّمكِ. حمايتُهُمْ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الوحيدةُ ضِدَّ العاصفـــةِ كان شراعَ قاربِهِمْ. لقد قاوَمُوا بكلِّ قوَّتِهم وطاقتِهم وبكلِّ ما يملكون من مهـــارةٍ وشـــجاعةٍ، لكنّ الموتَ كان يُحيطُ بهم من كلِّ جانبٍ؛ يضغطُ عليهِمْ بقوةٍ، ويُعرِّضُ سلامتَهم للأهوالِ والمخاطِر. وفي لحظةٍ معيّنةٍ رأوا المســـيحَ نفسَهُ، يمشي في وسط العاصفـــةِ على المياهِ والريـــاحُ تَعصِفُ به. نَظَروا ورأَوْا وصَرَخُـــوا بخـــوفٍ، لأنّ يَقيناً – لا يتطابقُ مع الحقيقة غَلَبَ عليهم – وهو أنّه لا يمكنُ أنْ يكونَ هذا هو المســـيحُ، لقـــد ظنّوا بأنّه خَيالٌ. لماذا؟ لأنّهم يَعرِفون أنّ غايةَ اللهِ إلهِهم وسيّدِهِم ومعلّمِهم هي التناغمُ والسّلامُ والخلاصُ والحياةُ. لقد كانَ في وَسَـــطِ العاصِفةِ التي تَجلِبُ الموتَ وعدمَ الاســـتقرارِ والرُّعب، ولهذا لا يمكنُ أنْ يكونَ هو اللهُ، لأنّ حضورَ اللهِ لا يُمكِنُ أنْ ينسجمَ مع ما يحصل.

وهذه هي غالبـــاً ردّةُ فِعلِنا، فنتصرّفُ خطأً عندما تواجهُنا المآسِيْ في حياتِنـــا كما تصرّفَ التّلاميذُ. ســـواءٌ كانَ ذلك في مصائِبِ الحياةِ العامّةِ والكبيرةِ كالحروب والزلازل، أو ضمنَ عالِمَنا الصغيرِ الذي نعيش فيه – كما هي شـــؤونُ حياتِنَا الخـــاصّةِ، في عائلتِنا، في عقيدتِنا، في مجتمعِنا. إنْ كُنّا نُحِسُّ بحضورِ الله ولكنَّ ذلك لا يَقترِنُ بالتّناغمِ المباشَرِ، وبحلولِ السّلامِ والخلاصِ والشِّفاءِ من الألمِ والهَمِّ، فإنّنا نَصرُخُ بأنَّ كلَّ ما آمنّا بهِ وَهْمٌ، ولا يُمكنُ أنْ يكونَ اللهُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

موجوداً. ننسى بأنّ اللهَ هو سيّدُ العواصِفِ، كما هو سيّدُ الهدوءِ والصّفاءِ والاستقرارِ.

سَأترُكُ القِصّةَ عندَ هذهِ النُّقطة وأنتقلُ إلى القصّة الأخرى، ثمّ أعودُ لأَجمَعَهُما معاً. في القصّة الثانية (راجع مت8:23-27) نقرأُ بأنّ يسوع غادرَ الشاطئَ مع تلاميذِه. إنّه نائمٌ في مقدِّمةِ القارب، نائمٌ بعمقٍ، يُريحُ رأسَهُ على الوِسادة. العاصِفةُ تَشتدُّ والموتُ موجودٌ خارجاً، والخوفُ يتسلّلُ ويستقرُّ في قلوبِ التّلاميذِ. يُقاوِمون مرّةً أخرى بوساطَةِ أداةِ حمايتِهم الوحيدة، والتي هي شراعُ القارب، ولكنّهم يَشعُرُون بالهزيمة. فيَلتَفِتونَ إلى السيّدِ الذي هو خلاصُهُم، أو أنّه يجبُ أنْ يكونَ كَذلِك. ولكنهم يَرَونَه بشكلٍ مختلفٍ تماماً ليَقينِهم، بحيث لا يبدو لهم أنّه خلاصُهُم؛ ينامُ ويَستريحُ، وعَلاوةً على ذلك فإنّه لم يكن نائِماً فقط، وإنّما هو يُريحُ رأسَهُ على وِسادة!

هذا ما نَلومُ اللهَ عليه دائماً، ولا نَنفَكُّ نَلومُهُ على ذلك. نحنُ نُقاومُ الموتَ، والهمومُ تُقلِقُ حياتَنا، والخوفُ يَجعلُ حياتَنا غيرَ محتملَةٍ، والموتُ بانتظارِنا، والمعاناةُ تَقتُلُنا، واللهُ ليس فقط غيرُ موجودٍ، وإنّما هو مُرْتاحٌ تماماً لأنّه فوقَ كلِّ هذه الأشياء. هل نحنُ عادِلون، وهل نحنُ على حقٍّ؟ سأحاولُ الإجابةَ عن هذا السؤالِ بعدَ قليلٍ. لكنْ بعدَ أنْ نعودَ إلى تفاصيلَ أخرى للقصّةِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في القصّةِ الأُولى عندما صَرَخَ التّلاميذُ بخوفٍ سَمِعُوا السـيّدَ يقولُ: "لا تخافوا، أنا هو". لقد سَمِعُوا صوتاً غريباً، ولكنّه مألوفٌ، إنّه كصَوْتِ سـيّدِهِم المحبوب. وتصرّفَ بطرسُ بسـرعةٍ مرةً أخرى قبلَ أنْ يُفكّرَ، وقالَ له: "إنْ كُنْتَ أنتَ هو، فَمُرْنِي أنْ آتيَ إليكَ ماشـياً على المياه". ومِنْ ثَمَّ يَقولُ له المسيح: "نَعَمْ أنا هو، تَعال". يَتخلّى بطرسُ فجأةً عن الحمايةِ في القاربِ، ويمشي بالفعلِ على الماءِ، لأنّه عَرَفَهُ بأنّه هو الحياةُ، هو المعنى، هو الاستقرارُ في داخلِهِ. وطالما أنّه كانَ يَنظُرُ إلى المسيحِ، وأنَّ رغبتَهُ الوحيدة بأنْ يكونَ مَعَهُ؛ تمكّنَ من المشيِ. وفجأةً يتذكّرُ نفسَهُ، يتذكّرُ بأنّه إنسانٌ من لحمٍ ودمٍ، وبأنّ هناك جاذبيةٌ أرضيّةٌ، وبأنّه لم يمشِ أبداً على المياه من قَبْلُ. ولذلك لن يَصمُدَ يوماً أمام الأمواجِ المتلاطِمة، وشعرَ بأنّه سيَغرَق. وفي اللحظة التي أشاحَ فيها بنظرِهِ عن المسيح، وغيَّر رغبتَهُ، وأصبحَ اهتمامُهُ بنفسهِ، بدأَ فِعْلاً بالغَرَقِ لأنّه لا يَزال في وسط العاصفة حيث الموتُ يُحيطُ به.

في القصّةِ الثّانيةِ، يَشعُرُ التّلاميذُ بالهزيمةِ لأنّ الموتَ يَتربَّصُهم. لم تَعُدْ لديهم قوةٌ، ولا رجاءٌ لهم، ولم يَعُدْ هناك سلامٌ بمنظورِهم. سَيْطَرَ عليهم الاضطرابُ كليّاً، فنَظَروا إلى السيّد وأَيقَظُوه – ربّما بقَسوةٍ – وكانَت كلماتُهُم قاسـيةً: "بحـقِّ أثمنِ ما لديك، إنّنا نَموت" هذه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ترجمةُ النَّصِّ بحسب (موفات)[2]. إنّهم لم يقولوا له: "أنتَ هو الرَّبُّ، كَلِمَةٌ مِنْكَ تَكفينا حتّى نَخْلُصَ"، كلاَّ لقد انهَزَموا وتَقَبّلوا قَساوةَ ولا مُبالاةَ اللهِ ولم يَستَنجِدوا به، ما الذي يُريدونَه من هذا الله الذي أصبحَ إنساناً، والذي أثبتَ عَدَمَ قدرتِه على مساعدتِهم وخلاصِهم. إنْ لم يكن بإمكانِهِ أنْ يفعلَ شَيئاً أفضلَ مِمّا فَعَلَهُ، وذلكَ بأنْ يكونَ معهم في هذا الكَرْبِ واليأسِ، وأنْ يدفعَ عنهم الموتَ حتى لا يَغرَقُوا، بينما هو نائمٌ وغيرُ واعٍ لهزيمةِ الحياة على يدِ الموت. فتحوَّلَ عنهم يسوع وانتهَرَهم قائلاً: "إلى متى أكون معكم، يا قليلي الإيمان؟"، ثمّ قامَ وانتهرَ الرّياحَ والبحرَ، ساكِباً سلامَه وثباتَه واستقرارَه عليها وعلى كلِّ ما حوله. في حالة بطرس كما هو الأمر في بقيّة التّلاميذ، فقد سَمَحُوا للعاصفة التي ثارت من حولهم أنْ تدخلَ إلى أعماقِهم. لقد أصبحَتِ العاصفةُ تجربتَهم الداخليّةَ، لقد هَزَمَتْهم. بالنّسبةِ للمسيحِ فالعاصفةُ تبقَى خارجيّةً، ويبقَى هو المنتصِرُ. في مقطعٍ من إنجيلِ القديسِ يوحنا، يقولُ الرّبُّ: "ليس لدى أميرِ هذا العالمِ ما يمكنُ أن يستخدمَهُ ليَقتُلَ" (راجع يو16). إنّها ليست كلماتهُ، وإنّ ما يقصده هو أنّه حرٌّ. لقد غَلَبَ العالَمَ، ويُمكنه أنْ يُنْشِئَ فيه الأبديّةَ والاستقرارَ والسّلامَ والخلاصَ والطمأنينة. ليستِ

2- جيمس موفات (1870-1944) هو لاهوتيٌّ من أكسفورد وغلاسكو. نشر عام 1926 ترجمة موفات الحديثة للكتاب المقدس هادفاً إلى تقديم العهدين القديم والجديد في لغةٍ إنكليزيةٍ مؤثّرةٍ ومفهومةٍ، وقد حاول بأقصى ما يستطيع أن يكون دقيقاً وملتزماً بالمصطلحات الكتابية.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الطمأنينةُ المحفوفةُ بالمخاطرِ والمضّطربةُ كما هي الحالُ في القاربِ، ولكِنَّها أمانٌ من نوعٍ آخر؛ إنّها ليستْ ذلك السّلامَ البسيطَ في قلوبِ أولئك الذين يقولون: (لنْ يحدثَ لي ذلك)، أو يُعزُّون آخرين بقولِهم: (لا تقلقوا لن يَحْدُثَ ذلك لكُمْ)، وإنّما هو السّلامُ في قلبِ مَن يقول: (يمكن أن يحدثَ وسيَحدثَ وقد حدثَ، ولأنّي خَسِرْتُ الرّجاءَ من البشرِ، فسأقِفُ ثابتاً غير مهتزٍّ، معتمِداً على الرّجاء الإلهي).

لقد قلتُ بأنّ المسيحَ وصَلَ إلى نقطةٍ معينةٍ وسْطَ العاصفةِ، هذه النقطةُ هي التي يجبُ أنْ نَصِلَ إليها لنكونَ مع اللهِ في وسطِ العاصفةِ. لقد أوشك بطرسُ على الغرقِ لأنّه لم يَصِلْ إلى هذه النقطةِ. ولكن أين هي هذه النقطةُ؟ إنّها ليست في عدمِ وجودِ عاصفةٍ، بل هي قِمّةُ حدوثِها، وهو ما يسـمّيها أحدهم (عينُ الإعصار). إنّها النقطةُ التي تلتقي بها كلُّ الصّراعات، حيث يتمُّ الوصولُ إلى توازنٍ لعدمِ وجودِ عُنفٍ؛ ليس لأنّه لا يوجدُ توتّرٌ أو مأسـاةٌ، ولكن لأنّ كلَّ عناصرِ الصّراعِ وصلتْ إلى نقطةٍ من العنفِ بحيث يوازنُ أحدُهَا الآخرَ، إنّهما في نقطة الانهيار. هذه هي النقطة التي يقف الله فيها. وعندما نفكّرُ بالله؛ إلهِ التاريخِ، إلهِ الحياةِ البشريّةِ، اللهِ الذي نلومُهُ دائماً، والذي نُعطيه أحياناً، ومن وقتٍ لآخر، فرصةً بقولنا: (يجب أن يكون على حقٍّ لأنه هو الله). هذا هو اللهُ الذي اختارَ أنْ يقفَ في نقطةِ الانهيارِ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولذلكَ فهو يَستحِقُّ أنْ نحترمَهُ ونتعاملَ معهُ باهتمامٍ، ونؤمِنَ به ولا نَرفُضَه.

الآن، أين هي هذه النقطة؟ منذ زمنٍ بعيدٍ وَقَعَ شخصٌ بكَرْبٍ ويأسٍ أمام وجه الله وأمام حُكْمِ أصدقائِه، كان اسمُهُ أيوب. لقد أُصيبَ بكلِّ ما يمكن أن يُصيبَ إنساناً من الحرمان، وخسارةِ كلِّ ما يَملك، وفِقدانِ أعزّ ما لديه. ولكن الأمر الأكثر مأساويةً كان فقدانه للفَهْمِ، إنّه لم يَعدْ بإمكانِهِ أنْ يفهمَ الله. لم يَعُدْ لحياتِهِ معنىً، وفي جدالِهِ مع اللهِ ومع أصدقائِهِ، بحثَ عن المعنى ورفضَ التّعزيةَ؛ رفضَ الخروجَ من ألمه وحزنه بالتّعزيةِ واسترضاءِ الخواطرِ، ورفضَ أن يقبلَ تزييفَ صورةِ الله وطرقِهِ. لقد آمنَ بالفعلِ. إنّه يعرفُ اللهَ الحيَّ، لكن لم يعدْ بمقدوره أنْ يفهمَ. وفي لحظةٍ معيّنةٍ يقولُ: "أينَ هو ذاك الإنسانُ الذي سيَقِفُ بيني وبين قاضيَّ، من سيَضَعُ يدُه على كتفي وعلى كتفِ قاضيَّ؟ أين هو ذاك الذي سيتدخّلُ بالأمرِ ويأخذ مكانَهُ في قلبِ هذا الصّراعِ، في نقطةِ الانهيارِ، الذي سيقفُ بين الاثنين بُغيةَ أنْ يجمعَهُما ويجعلَهُما واحداً؟". كان لديه إحساسٌ بأنَّ هذا هو الحلُّ الوحيدُ لمشكلتِه. إنّه الحلُّ الفعليُّ لمعنى هذه المأساةِ، ولمعنى هذا التاريخ. كان لديه شعوراً داخلياً بأنّ ذلك هو الصحيحُ فقط، وبالفعل فقد حدث ذلك. لقد حصلَ هذا عندما أصبحَ ابنُ اللهِ هو ابنُ الإنسانِ، عندما أصبحَ كلمةُ اللهِ جسداً، عندما أتى يسوعُ إلى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

العالمِ، وأصبحَ إنساناً حقيقياً بإمكانه أنْ يضعَ يدَهُ على كتفِ الإنسانِ دون أن تُحرِقَه اللّمسةُ الإلهيّةُ، والذي بإمكانه – ودون تدنيسٍ أو تجديفٍ – أن يضعَ يدَهُ على كتفِ اللهِ دون أن يحترقَ.

هذا بالفعلِ ما نعنيهِ بالشّفاعةِ. المسيحيون يَقضُون حياتَهمْ طالبين الشّفاعةَ. وعندما أستمعُ إلى تلك الطلباتِ أشعرُ بالخوف، لأنّ الشّفاعةَ بالنسبةِ لي هي عملٌ متشابكٌ يمكنُ أن يقضيَ عليهم بالموتِ. وأشعرُ بالخوفِ عندما أسمعُ حَشْداً من النّاس يَطلبون الشّفاعةَ من أجل حاجةٍ تِلوَ الأخرى، حاملينَ على عاتِقِهم كلَّ احتياجاتِ العالمِ، وذلك حتّى انتهاءِ صلاةِ المساء. وبعد ذلك يُلقونَها كلّها على عاتِقِ اللهِ ويخرجون بنشاطٍ وبشعورٍ جديد.

منذ حوالي عشرةِ سنواتٍ وبعد عودتي من الهند، طُلِبَ إليَّ أنْ أتحدَّثَ في اجتماعٍ ضَخْمٍ نوعاً ما في لندن عن الجوعِ. تَحدَّثْتُ عمّا رَأَيْتُهُ، والذي أثَّرَ فيَّ بالعُمْقِ. تَكَلَّمْتُ بكُلِّ ما كانَ لَدَيَّ من قُوَّةٍ وانفِعالٍ. وجَلَسَ النّاسُ يُصْغُونَ، وعندما خَرَجْنا وَقَفْتُ في البابِ الغَربيِّ أُصافِحُهم بالأيدي، فَدَنَتْ سَيّدةٌ منّي وقالَتْ: (أَشْكُرُكَ على هذهِ الأمسيةِ الممتعةِ). هذا هو في الغالِبِ معنى الشّفاعةِ بداخلِنا. لقدْ حَصَلْنا من خلالِ ذِكْرِها على حاجةٍ ما، أَصبَحْنا على عِلمٍ بالمأساةِ. ومن ثمّ امتلَكْنا الطّمأنينةَ التي نحتاجها في حياتِنا وعملِنا، ثمّ نَلْتَفِتُ ونقولُ لله: (آهٍ يارَبُّ! ألم تُلاحِظْ ذلك؟ ما

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الذي يجبُ عليكَ فِعْلَهُ بهذا الخصوصِ؟ بتِلك المسألةِ؟ ألم تنسَ واجباتِكَ تجاهَ الجنسِ البشريِّ؟). هذه لَيْسَتْ شفاعةً. الشّفاعةُ – وهي كلمةٌ لاتينيةٌ في الأصل – تعني أنْ تَخطُوَ خُطْوةً ثابتةً وحاسمةً، تأخذُكَ إلى مركزِ الصِّراع. وبصورةِ المسيحِ وبشَخْصِهِ. بالنّسبةِ لنا فإنّ الشّفاعةَ تعني أنْ نخطُوَ خطْوةً مؤكَّدةً، ولمرةٍ واحدةٍ وإلى الأبد. لقد أصبحَ اللهُ إنساناً، وهذا طَبْعاً ليسَ لبُرْهَةٍ منَ الزّمنِ فقط. وهو بهذا لم يُصبِحْ مُجرَّدَ مُحامٍ يُدافِعُ أو يَتوسَّطُ بين طَرَفين، ويحاولُ إيجادَ صيغةِ اتفاقٍ بينَ كِلَيْهما. لقد وقفَ ابنُ الإنسانِ بالكُلّيّةِ، ووحَّدَ بين الإنسانِ واللهِ؛ توجَّهَ إلى اللهِ ووقفَ أمامَه كإنسانٍ مُدانٍ، واتّجهَ إلى الإنسانِ ووقفَ إلى جانبِهِ وهو مرفوضٌ ومَرذولٌ. وبالرَّغمِ من كونِهِ اللهَ كانَ يجبُ أنْ يموتَ. وهذه الوحدانيّةُ بين اللهِ والإنسانِ لم تَكُنْ لأولئكَ الذين عَرَفوه أو آمنوا به فقط. كلا، بلْ كانَتْ تَخصُّ كلَّ النّاس. إنّه ليسَ إلهَ الخيرِ ضدَّ الشَّرِّ، أو إلهَ المؤمنين ضدَّ غيرِ المؤمنين، أو لعقيدةٍ أو جنسٍ أو أمَّةٍ أو مُجتَمعٍ ما، لقد تجسَّدَ من أجلِ الجميعِ. نحنُ، كمجموعةٍ من الرُّوسِ المنفيين، قد اكتشَفْنا في الأيّامِ الأولى للتّهجيرِ، عندما خَسِرْنا كلَّ شيءٍ ولم يَبْقَ لنا أيَّ شيءٍ، عندما كُنّا مجموعةً غيرَ مَرْغوبٍ بها، مرفوضَةً ومُحتَقَرةً وبلا أملٍ، ومُعرَّضين للهجومِ بأَقْسى ما يمكنُ. اكتشَفْنا حينَذاك أنّنا خَسِرْنا اللهَ الموجودَ في تلك الكاتدرائيّاتِ الضَّخمَةِ، اللهَ الموجودَ في تِلكَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الطُّقوسِ الاحتفاليَّةِ الجميلةِ. أينَ يجبُ أنْ نَقِفَ؟ عندما نَظَرْنا إلى أنفسنا اكتشَفْنا أنّنا فَقَدْنا الثِّقةَ واحترامَنا لذواتِنا. وهذا ما دَفَعَنا لأنْ نكتشِفَ اللهَ بطريقةٍ جديدةٍ.

اكتشَفْنا أنَّهُ بالمسيحِ أَعلَنَ اللهُ عن ذاتِهِ كإنسانٍ مُعرَّضٍ للانتقادِ، لا حَوْلَ لَهُ ولا قوّةَ، جديرٍ بالازدراء، ومهزومٍ، ومُداسٍ بالأرجُلِ ومرفوضٍ. واكتشَفْنا بأنَّنا حَصَلْنا بذلِكَ على اللهِ الذي لا يَخْجَلُ بنا، لأنّه وحَّدَ ذاتَه معنا؛ كما نحنُ في بؤسِنا وشقائِنا وفي رفضِنا. وأيضاً نحنُ لم يَكُنْ لَدَيْنا سَبَبٌ لنَخْجَلَ باللهِ، الذي عَرَفَ كيفَ يُحِبُّ حتّى امتلكَ أنْ يكونَ مُستَعِدّاً ليُصبحَ واحِداً مِنّا، ولِيُبيّنَ أنّ إيمانَهُ بنا كانَ ثابتاً، وأنَّ احترامَهُ للكرامةِ البشريَّةِ كانَ كُلِّيّاً.

هذا هو اللهُ الذي يَقِفُ في وَسَطِ التّاريخ. إنّه اللهُ الذي يَقِفُ في نقطةِ الانهيارِ وسْطَ العاصِفة، وهو يَدعُونا للوقوفِ حيثُ يَقِف؛ أنْ نتشارَكَ مَعَهُ، أنْ نلتَزِمَ بالحياةِ والموتِ وسطَ العاصِفة، وألا نقبلَ بالفكرةِ الخاطئةِ عن ظهور ذلك الخيالِ في العاصفة بَدَلاً من اللهِ، أو أنْ نقولَ للهِ: (إنْ لم يكنْ بإمكانكَ أنْ تفعلَ أكثرَ، على الأقلِ كُنْ مَعَنا بالألمِ واليأسِ). يُريدُنا أنْ نتَّخِذَ خُطوةً، أنْ نكونَ في العالمِ في نقطةٍ أُسمِّيها (عينُ الإعصارِ)، ولكن على ألاّ نكونَ من العالَمِ لأنّنا متحرِّرون من عدمِ اليقينِ، من الخوفِ، ومن أنانيّتِنا كبُطرسَ الذي فكَّرَ بنفسِهِ، عندما كانَ البحرُ بأكمَلِهِ يعني الموتَ والخَطَرَ للتّلاميذِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الآخرين ولكلِّ القوارب المحيطةِ، بينما غَفِلَ عن الله الذي وَقَفَ هناكَ كمفتاحٍ للسَّكينَةِ والهدوءِ، وهو الشيءُ الذي لم يَكُن ما يتوقَّعَهُ.

أَودُّ أنْ أوردَ مِثالاً حَوْلَ مَعنى طَلَبِ الشّفاعةِ، وأينَ يجبُ أنْ يكونَ مكانُنا؟ إنّها قِصّةُ امرأةٍ لا نعرفُ عَنْها سِوى اسمها وهو (نَتالي). أَخبرَني القِصّةَ أُناسٌ كانَ لهم دورٌ فيها. في عام 1919م في وقتٍ كانَتِ الحربُ الأهليّةُ تَثورُ كالعاصِفةِ على روسيا، عندما كانَتْ مُدُنُنا تسقطُ ضحيّةً بيَدِ الجيوش التي تتداولُها بينَها. في تِلكَ الأثناءِ كانَتْ تعيشُ في المدينةِ التي سَقَطَتْ بيَدِ الجَيْشِ الأحمَرِ امرأةٌ مع طِفْلَيْها، وكانَ زوجُها ضابطاً في الجيشِ الأبيضِ. وبُغيةَ إنقاذِ حياتِها وحياةِ طِفْلَيْها اختَبَأَتْ في بَيْتٍ صَغيرٍ في ضواحي المدينةِ. أرادَتْ أنْ تنتظرَ حتّى يُصبحَ بإمكانِها الهَرَب. في مساءِ اليومِ التّالي طَرَقَ أَحَدُهُم بابَها، فَتَحَتْهُ بخوفٍ ورَأَتْ امرأةً بنفسِ عُمْرِها تقريباً. قالَتْ لها تِلكَ المرأةُ: (يَجبُ أنْ تَهرُبي في الحالِ لأنَّكِ قدْ تعرَّضْتِ للخيانَةِ وتمّ اكتشافُ مكانَكِ، سَيَرْمونَكِ بالرَّصاصِ هذهِ الليلة). فقالَتِ المرأةُ الأمُّ وأولادُها واقفونَ مَعَها: (كيفَ يُمكِنُنا فِعْلُ ذلك؟ سيَتِمُّ اكتشافُنا في الحالِ وأولادي لا يَستطيعون الابتعادَ كثيراً)، المرأةُ الشّابةُ التي كانَتْ جارَتُها والتي تسكنُ في بيتٍ مجاورٍ لبيتِها، أصبَحَتْ ذاكَ الشـــيءَ العظيمَ الذي نُسمِّيهِ في الإنجيلِ (جَارٌ) بالفعل. لقد سَمَتْ إلى مُستوى إنجيلِ الله، إلى مستوى الكرامةِ والرَّحمةِ الإنسانيّةِ، وقالَتْ: (لنْ يَبْحَثُوا عَنْكِ، لأنّي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سـأبقى أنا هُنا) فقالَت الأمُّ: (لكنَّهُم سـيَقتُلونَكِ)، أجابَتِ المرأة: (نَعَمْ ولكنْ ليـسَ لديَّ أطفالٌ، يجبُ أنْ تَذهَبي) ومَضَتِ الأمُّ.

ليسَ هَذا سَهْلاً. وأَودُّ القولَ أنَّهُ سـيكونُ بمثابَةِ محاولَةٍ لانتهاكِ قداسةِ الحَدَثِ، إنْ حاوَلْنا أنْ نتخيَّلَ ما قدْ حَدَثَ في قلبِ وعقلِ تِلكَ المرأة قبلَ ساعاتٍ من موتِها. ولكنْ بإمكاننا العودةُ إلى الإنجيلِ لنَرى ما حَصَلَ مع أولَئِكَ الذين كانوا هُمْ النّموذجَ الأصليَّ لهذهِ المرأةِ القدّيسةِ والعظيمةِ.

قَبْلَ حَوالي 2000 عاماً، إنسـانٌ فَتِيٌّ يُقارِبُ (نتالي) في العُمْرِ كانَ يَنتظِرُ موتَهُ، كانَ اسمُهُ يسوعُ. كانَ في البُستانِ يَلُفُّهُ ظلامُ الليلِ. لم يَكُنْ يَجدُ سَبَباً لموتِهِ. كانَ شابّاً موفورَ الصِّحّةِ ولَمْ يفعلْ أيَّ شيءٍ خاطئ. كانَ يَنتَظِرُ الموتَ مُضحّياً بنفسهِ نيابَةً عن موتِ النّاسِ. كانَ ينتظِرُ في ظُلمةِ الليلِ، والموتُ كانَ سيَأتِيْ ليقتُلَ الحياةَ الأبديَّةَ ذاتَها. لقد تَوَجَّهَ ثلاثَ مراتٍ نحوَ تلاميذِهِ آمِلاً بأنْ يَسمعَ منهُمْ كَلِمَةً تُقوّي قلبَهُ، وتُشعِرَه بالرِّفقَةِ. ليسَ من أجلِ تحريرِهِ أو تخليصِهِ من الموتِ القادِمِ، ولكن ليَشعُرَ بالحضورِ البشريِّ والرأفةِ والحُبِّ والرَّهبةِ. لكنَّ التّلاميذَ كانوا نياماً، ولم يحصَلْ على مُبتَغاه.

(نَتالي) في تِلكَ الليلةِ، وفي الظّلامِ الحالِكِ، وفي البرْدِ الذي يُحيطُ بها من كلِّ الجوانبِ، لم يكنْ لَدَيْها مكانٌ أو أَحَدٌ تَلجَأُ إليهِ. كانَتْ لوحدِها تُواجِهُ مصيرَ الموتِ للمرأةِ الأمِّ القادِمِ إليها، والذي سيَتَدَخَّلُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بحياتِها وقَدَرِها. كانَ بإمكانِها الهربَ، وفي اللحظةِ التي تُغادِرُ فيها عَتَبَةَ البابِ ستكونُ بمأمَنٍ من أن تكونَ الأمَّ، وبالتالي لن تنزلَ بها عقوبةُ القتلِ.

قبلَ 2000 سنة، وفي ظروفِ تِلكَ الليلةِ الباردةِ ذاتِها، عندما تعرَّضَ المسيحُ للخيانةِ وسُلِّمَ لأيدي قاتِليه، فإنَّ أقوى وأجرأَ تلميذٍ من تلاميذِهِ قد سُئِلَ ثلاثَ مرّاتٍ؛ مَرَّتين من قِبَلِ خادِمةٍ صغيرةٍ في ساحةِ الولايةِ، ومَرَّةً من قِبَلِ الواقِفينَ حَوْلَ النّارِ، لَمْ يَسأَلُوه: "هَلْ أنتَ يسوعُ المسيحُ؟" وإنّما قالوا له: "لقد كُنْتَ مَعَهُ!" وأجابَ ثلاثَ مَرّاتٍ: "كَلاَّ" ثُمَّ غادرَ السّاحةَ. (إلى ماذا؟) إلى الأمانِ. التَفَتَ حَولَهُ والتَقَتْ عيناهُ بعينيِّ المسيحِ، وتذكَّرَ وبَكَى بُكاءً مُرّاً. ولكنَّه كان قد ذَهَبَ، ولكن (نَتالي) لم تَذْهَبْ، وإنّما بَقَيَتْ. لا بُدَّ أنّها فَكَّرَتْ أكثرَ من مَرّةٍ (هَلْ هُناكَ أيُّ أملٍ بأنَّ تضحيتي ستكونُ ذاتَ فائِدةٍ؟).

حالةٌ أخرى ومنذُ حَوالي 2000 عام؛ كانَ إنسانٌ يَنتَظِرُ الموتَ، إنّه يوحنّا المعمدان. وقبلَ موتِهِ، وعِندَما أَدرَكَ بأنّ الموتَ محتومٌ، أرسَلَ اثنانِ من تلاميذِهِ إلى المسيحِ سائِلاً إيّاهُ: "أنتَ هوَ الآتي، أمْ نَنتَظِرُ آخرَ؟" هذا يعني: "إنْ كُنْتَ أنتَ المسيح، فإنَّ تَنسُّكي ووِحدَتي ومَواعِظي وسِجْني ومَوْتي وكُلَّ مَآسِي حَياتي قد أَصبحَ لها مَعنىً، وإنْ لم تَكُنْ أَنْتَ المسيحَ، فقدْ خَدَعَني اللهُ والإنسانُ، خَدَعَني إلهامِي الخاصّ وضَعفُ اللهِ الحيِّ. "هل أنتَ هوَ؟" المسيحُ لم يُعطِهِ جَوَاباً مُباشَراً،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإنَّما أَجابَهُ كما يُجيبُ نَبيًّا: "اِذهَبا وأَخبِرا يوحنّا بما تَسمَعَانِ وتَنظُرانِ؛ العُميُ يُبصِرون، والعُرْجُ يَمشُون... والمساكينُ يُبَشَّرونَ باللهِ الإنسان" تَواضُعُ الخالِقِ وعَظَمَةُ المخلوقِ.

(نَتالي) رُبَّما سَأَلَتْ نفسَها السؤالَ نفسَهُ، هل سيكونُ موتُها دونَ جَدوى؟ لم يكنْ لَدَيْها جواب. مرورُ السّاعاتِ فقط، وصولاً إلى ساعاتِ الصّباحِ الباردةِ التي حَمَلَتْ معها الموت. فُتحَ البابُ بعَنْفٍ ولم يَتَكَبَّدوا حتّى عناءَ جَرِّها خارِجاً. لقد أَطلَقُوا عليها الرصاصَ حيثُ هي.

هذا هو الجوابُ الذي بإمكانِ المسيحيّ أنْ يستخلصَه لمأساةِ البشريّة. المكانُ حيثُ يجبُ أنْ نَقِفَ. وقَفَتْ (نَتالي) حيثُ وَقَفَ المسيحُ، وحيثُ يَقِفُ المسيحُ فِعلاً الآن، القائِمُ من بينِ الأمواتِ، الذي صَعَدَ إلى السّماءِ ويَدَاهُ مَرفوعَتان، والمساميرُ فيها، وجَنْبُهُ مطعونٌ. إنّه يَقِفُ في عُمْقِ التّاريخِ البشريّ والمعاناةِ البشريّةِ والموتِ البشريّ، وفي عُمقِ الألمِ البشريّ. ولكنّه يَقِفُ كصَخرَةٍ؛ يَقِفُ ثابتاً مُتحَمِّلاً كلَّ شيءٍ، كلَّ معاناةِ البشرِ بالفكرِ وبالجَسَدِ. وقد قالَ لنا نحنُ المسيحيين: (هنا حيثُ يجبُ أنْ تَقِفوا، ليسَ في أرضِ أحلامِ الإيمانِ التي تُوهِمُكُم بأنَّكم في السّماء مُسبَقاً، بينما لم تكونوا موجودين حتّى على الأرض). كلاَّ! إنّه أتى من عُمقِ المعاناةِ البشريّة ومأساتِها بإيمانٍ ثابتٍ وبيقينٍ، إنّه هو الذي تَوقَّعَ أيوب قدومَه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبوقوفِنا هناك، نحن ربَّما نَختَبِرُ كلَّ ما وَعَدَنا به. يجبُ أنْ نتذكَّرَ النصَّ القائِل: "هلْ أنتُما مُستعِدّان وقادِران على أنْ تَشرَبا من الكأسِ التي سأَشْرَبُ مِنْها، وأنْ تُقاسِيا ما سوفَ أَمُرُّ به"، "نَعَمْ" قالَ تِلميذاه.

يجبُ أنْ تكونَ هذه هي إجابتُنا، وعندما تُواجِهُنا المآسي يجبُ أنْ نُجيبَها أيضاً كما قالَ أشعياءُ النبيّ: "مَن سأُرسِل؟" قالَ الرّبُّ. "ها أَنَذا، أرسِلْني". وكَشَاةٍ بينَ الذِّئاب، كابنِ اللهِ بينَ البَشَر.

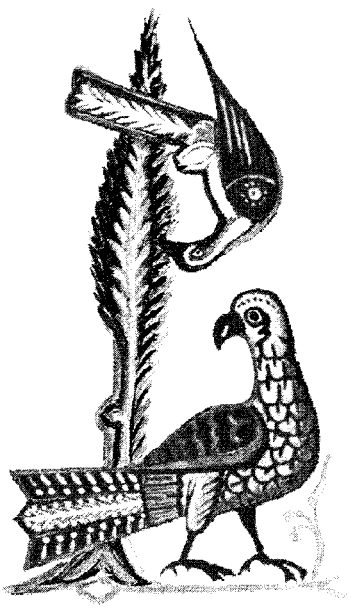

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الإنسانُ واللهُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الإنسانُ واللهُ

كانَ الاهتمامُ في القَرْنَين الثّامنَ عَشَرَ والتّاسِعَ عَشَرَ مُركَّزاً بشكلٍ رئيسٍ على الأفكارِ والمِثاليَّاتِ، والإنسانُ كانَ المادّةَ الدَّاعِمَةَ لمثلِ هذهِ المبادِئِ والأفكارِ. لقد كانَ شِـــبهُ خادمٍ لها، حيثُ كانَ منَ المفترضِ أنْ يخدِمَها ويعيشَ من أجلِها، بل حتّى أنْ يموتَ من أجلِها. كانَ هنالِكَ عَظَمةٌ لهذا المفهوم، وإنْ نَسَيْنا أهميّتَهُ فإنّنا بالتّأكيدِ سنَخسَرَ بُعْداً هامًّا جدًّا للحياةِ البشريّةِ.

أنا أعتقدُ أنّ عَظَمَةَ الإنسانِ لا تُقاسُ بمَدَى فَعاليَّتِهِ ونشاطِهِ وحَيويَّتِهِ فقط، ولكن أيضاً بقدرتِهِ على العيشِ والموتِ من أجلِ أشياءَ هي برأيه أَعظمُ منه. لكنّنا نَعلَمُ أيضاً بأنّهُ عندما تَتطَلَّبُ هذه الأفكارُ والمثاليّاتُ مثلَ هذه الاستقلاليّة، بحيث تُسيطِرُ على عقولِ النّاسِ وحياتِهم، وعِندَما لا يعودُ النّاسُ أحراراً بالشَّكلِ الكافي لانتقادِها، لأنّهم مُجبَرون على عيشِها من جانبٍ واحدٍ يتضمَّنُ الحياةَ والموتَ بعيداً عن إرادتِهم الخاصّة، يحدثُ عندَ ذَلِكَ خَطأٌ ما. ولهذا ليـــسَ من المدهِشِ أنَّه في هذه الأيّام، وكَثورَةٍ ضِدَّ ما كانَ يحدثُ منذُ بدايةِ الحربِ العالميّةِ الأولى، قد أَدرَكْنا قيمةَ وأهميَّةَ الإنسانِ بضَعْفِهِ وبمستقبلِهِ وببحثِهِ، وأيضاً بإنجازاتِهِ، وبالخِدمةِ التي يستطيعُ تقديمَها لما هو أَعظم.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ الإنســـانَ في أيامِنا هذه هو نقطـــةُ الالتِقاءِ لكلٍّ أولئكَ الذينَ يَبحَثون عن الحقيقةِ، وعن كُلِّ ما هو صحيحٌ. فلو عادَ بولـــس الرسول الآن إلى عالِمنا ورأى ذَلِكَ المذبَحَ المكرَّسَ لإلهٍ مجهولٍ، لكانَ لسانُ حالِهِ سيقول: "أنا أعرفُ اسمَ هذا الإله، إنّه الإنسانُ". وربَّما عندئذٍ لن يلتقيَ فقط بالمؤمنين، وإنّما بأولئكَ الذين نَدعوهُم بغيرِ المؤمنين. سأَعتمِدُ في جزءٍ من هذا القسم على نظريَّتين: الأولى تخصُّ (كارل ماركـــس)، والثانيّةُ تخصُّ (القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم). إنّهما قُطْبان.

كارل ماركس يقولُ بما معناه: (إنَّ مجتمعَ العمّالِ ليسَ بحاجةٍ لإلهٍ لأنّ الإنسانَ نفسَهُ قد أصبحَ إلهَهُ). والقدّيسُ يوحنّا الذهبيّ الفم يقولُ في واحدةٍ من عظاتِهِ العديدة: (بأنّه إنْ أَرَدْنا أنْ نُدرِكَ عَظَمَةَ الإنسانِ، يجبُ ألا نَتوجَّهَ بنَظَرِنا إلى عروشِ الملوكِ وقُصورِ العُظماءِ وإنّما إلى العرشِ الإلهي، وسنَرى حينَها ابنُ الإنســـانِ جالِساً على يمينِ المجد). وفي كلّتا الحالتين إنّه الإنســـانُ الذي هو المنتهى وهو الصّورةُ الأعظمُ والأهميّةُ القُصوى.

لا أَودُّ الآنَ أنْ أتحدَّثَ عن هـــاتين النظـــريّتَين وإنَّما عن رؤيتِهما للإنسانِ، لكي نرى إنْ كانَ لَدى غيرِ المؤمِنين والملحِـــدين والمادِّيين والمسيحيين ما يقولونه حَولَه. إنْ كُنْتَ تُفكِّرُ بالإنسانِ من وجهةِ نَظَرٍ إلحاديّة – أنا لا أستخدمُ الآنَ كلمةَ (إلحادي) لأُشيرَ إلى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

معانَدَةِ اللهِ، ولكنْ إلى موقِفِ العقلِ والفِكْرِ حيثُ لا وجودَ للهِ فيهما – فسوفَ تَرى أنَّ الإنسانَ يَظهَرُ بأشكالٍ مختلفةٍ.

الإنســـانُ (المـــادّيُّ) و(العمليُّ) **empirical** ليسَ هو موضوعَ التّجربةِ والاختبار، الإنســـانُ المادّيُّ هو مادَّةٌ خَامٌ، وهذه المادّةُ الخامُ هي قَيْدُ النُّشوءِ. ومن وِجهَةِ نَظَرِ العِلْمِ تُدعى هذه نظريّةُ النُّشوءِ والتّطورِ، ولكنْ من وجهةِ نَظَرِ العِلمِ الاجتماعيِّ يُمكِنُنا أنْ نتحدَّثَ عن هذهِ النّظريّة، ولكنّ الإنسانَ العمليَّ ليسَ هو (الحقيقةَ) التي يَهتمُّ بها المُلحِدُ. إنّه موجودٌ كمادّةٍ خامٍ، ولكنْ سيُعادُ تشكيلُهُ انطلاقاً من رؤيةٍ جديدةٍ، أولُّها يُمكِنُ أنْ يكونَ حولَ إنسانِ المستَقْبَلِ، الإنسان كما يجبُ أنْ يكونَ عندما يُصبِحُ ما هو عَلَيْه. أتَذكَّرُ مُناقَشةً جَرَتْ في الطّائرةِ المُتَّجهةِ من موسكو إلى جنوبِ روسيا مع مُلحِدٍ حيثُ قالَ لي: (يجبُ ألا نَحكُمَ على نجاحٍ أو فَشَلِ الثّورةِ الروسيّةِ بما تَمَّ أو لم يَتِمَّ إنجازُه، لأنّ نتائجَ الثّورةِ ستَظهَرُ عِندما يتحوَّل الإنسانُ إلى إنسانٍ حقيقيٍّ). بمعنىً آخَرَ، دائِماً ما نَنظرُ للإنسانِ على أنَّهُ شيءٌ أعلى مِنَّا، وهو ما نَسْعى إليهِ في المستَقْبَلِ. وهذهِ المادّةُ الخامُ العمليَّةُ التي هي نحنُ، يجبُ أنْ يَتِمَّ العملُ عَلَيْها وتحويلُها وتَغييرُها وانصهارُها. وفي هذا المجالِ وكما تُبيِّنُ الخِبرةُ والتّجربةُ عَبْرَ القُرون، فإنَّ هُناكَ العَديدُ مِنَ العِظامِ التي تتكسَّرُ، وأنَّ هنالِكَ الكثيرَ من الأشياءِ التي يجبُ أنْ يَتِمَّ تغييرُها باستخدامِ القوَّةِ بل العُنفِ أَحياناً.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الوجْهُ الثّاني للإنسانِ هو (المُجتَمَع)، المجتمَعُ الحاليُّ يُمثِّلُ رؤيةً جامِعَةً للإنسانِ، وما أُجبِرَ الإنسانُ العمليُّ على العيشِ فيهِ، أو تَمَّ إقناعُهُ بهِ، ليُصبِحَ جُزءاً لا يَتجزّأ من هذا المجتمع ويَتِمَّ انسجامُهُ فيه. ويُمكِنُ تقييمُ مُستوى هذا التغييرِ بطُرُقٍ مختلفةٍ. يُمكِننا التَّفكيرُ بأنَّ المجتمعَ الذي يَنتمي إليه هذا الإنسانُ هو مجتمَعٌ بَعيدٌ عن مستوى الكفاءَةِ والجَوْدةِ، وبنَفسِ الوَقتِ، هو بَعيدٌ عن مستوى كفاءَةِ أفرادِهِ. ولكنَّهُ مُجتَمَعٌ يَتوجَّبُ فيه على الإنسانِ (الاجتماعيِّ) والإنسانِ (الفَردي) أن يَجِدا مكانَهما فيه، كالقِطعَةِ الصّغيرةِ في لَوْحَةِ موزاييك كبيرةٍ. وفي هذهِ الحالةِ، يَجبُ أنْ يَتِمَّ إعادةُ ضَبْطِ الإنسانِ وتشكيلِهِ من جَديدٍ.

الموقفُ الآخرُ لِسُلوكِ غيرِ المؤمنين نحوَ الإنسانِ، هي أنّ الإنسانَ (العمليَّ) يَملكُ الحقَّ بأنْ يكونَ كما هو، وأنْ يُصبِحَ على ما يُصبِحُ عليه. يأخذُنا ذلك، عندما نُفكِّر فيه بشكلٍ مُطلَقٍ، إلى نَظْرَةٍ أو رؤيةٍ مُشابهةٍ لنَظرةِ الإنسانِ الثائرِ، بأنَّ لكلِّ إنسانٍ الحقَّ بأنْ يكونَ على ما هو عليه، وإلى تِلكَ الفِكرة المثاليّة بأنّه إنْ أمكنَ لكلِّ إنسانٍ أن يكونَ نفسَه ولا شيءَ آخرَ بدون أيّ تشويشٍ، فإنّ النتيجةَ النهائيّةَ ستكونُ هي التّناغمَ التّامِّ.

أيضاً يقودُنا هذا إلى فكرةِ قُبولِ الإنسانِ كما هو، ليسَ بسيِّئاتِهِ فَقَط وبما سيُصبِحُ عليه، وإنّما أيضاً بحقِّهِ بأنْ يكونَ مُشكِلةً بالنّسبةِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لجارِهِ، أنْ يكونَ شِبْهُ خادمٍ لأهوائِهِ وضَعَفاتِهِ، وأنْ يَرفُضَ أيَّ مِثاليّةٍ وأيَّ رَغبةٍ في التّغيير؛ أيْ أنْ يكونَ كما هو، مهما كانَ المستوى الذي سيُصبِحُ عليه مُتَدنيّاً. بالطَّبْعِ أنا لا أتكلّمُ هنا عن ارتفاعٍ أو انخفاضِ مُستَوى المعيشَةِ، وهوَ ليسَ ما يَبحَثُ عنهُ الإنسانُ العمليُّ، وإنّما عن قبولِهِ لنفسِهِ بكَسَلِهِ وبفُقدانِهِ للمثاليّةِ، وبرفضِهِ أنْ يكونَ جزءاً من الكيانِ الشّاملِ الأعظمِ منهُ، وكلَّ ما إلى ذلك.

في حالةِ المجتمعِ الذي يُوضِّحُ منْ هو الإنسان، أو في حالةِ الإنسانِ المثاليِّ المجرَّدِ الذي يَتِمُّ إعادةُ تشكيلِهِ، بحيث يكونُ نَموذَجاً لما سيُصبِحُ عليهِ الإنسانُ في المستَقْبَلِ، دائماً ما نَراه، مهما كانَتِ الحالةُ ومهما كانَ نوعُ الديكتاتوريّةِ المفروضَةِ على الناس، كما كَتَبَ الكاتِبُ الرّوسي (سولزينتسين) في كتابِهِ ***Cancer Ward*** عن الإنسانِ. حيثُ سيَتِمُّ التعرّفَ عليه من خلالِ ما يليْ، كما تقولُ عنه إحدى الشخصيّاتِ المحوَريةِ في الكِتاب: (إنّه يَملِكُ أكثرَ ما يُمكنُ امتلاكُهُ من الحبِّ والاهتمامِ الكَبيرَين بالجنسِ البشريِّ، ولِذلكَ هو يَكرهُ بِشدّةٍ كلَّ كائنٍ بشريٍّ يُشوِّهُ هذهِ النّظرةِ المثاليّةِ بِشكلٍ مُرعِبٍ). هذا بالضَّبط ما يحدثُ عندما لا يكونُ لدينا أيَّ مقياسٍ آخرَ أو مرجعيةٍ أُخرى، سوى تلك المثاليّة التي نَبني عليها تصوّراتِنا بحسبِ رغبتِنا، أو عِندما يكونُ المقصودُ هو المجتمعُ، فتكونُ هناكَ تِلكَ القاعدةُ الماديّةُ المجرَّدةُ المحيطةُ بِنا، والتي تُحدِّدُ كيفَ يجبُ أنْ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يكونَ كلُّ فردٍ من أفرادِ هذه المجموعة. إنّ الإنسانَ الذي يُواجهُ الفِكرةَ المثاليّةَ عن الإنسانِ المادّيّ، أو عن مجتمعٍ حقيقيٍ مادّيٍّ يَتشبَّثُ بحقوقِهِ الديكتاتوريّةِ، يجبُ إعادة صياغَتِه (أيّ الإنسان)، يجبُ أن يُكسَرَ ويَتِمَّ تغييرُه، بحيث يَصِـــلُ – وغـــالباً بذبيحَةٍ دمويّةٍ – إلى هذه المثاليّة المادّيّة، أو أنْ يُواجهَ الهلاكَ بســـببِ عدمِ قُدرَتِهِ على التّأقلُمِ مع هذهِ القاعِدة، التي هي المجتمعُ المادّيُّ والغابَةُ التي يعيشُ فيها.

المسيحيّة أيضاً تَنظُرُ إلى الإنسانِ كقيمةٍ نهائيّةٍ، ولكن ليسَ بشكلٍ مثاليٍّ أو مادّيٍّ. نحنُ وَضَعْنا على المذبحِ إنساناً حقيقياً (يسوعَ الناصرّي) ويجبُ أنْ نعلمَ ماذا يَعني هذا. إنّنا نقرأُ في قانونِ الإيمانِ أنّ المسيحَ هو إنسانٌ حقيقيٌّ وإلهٌ حقيقيّ. وعندما نقولُ أنّه إنسانٌ حقيقيٌّ فإنّنا نعني بذلك أَمرين: حقيقةَ أنّه هو الله الذي لم يجعلْ نفسَه إنساناً غَريباً عنّا أو إنساناً مُختَلِفاً عنَّا، حيثُ أخذَ الهيئةَ البشريّةَ نفسَها فقط والاسمَ نفسَهُ، بينما هو في الواقعِ ليسَ مِثْلَنا على الإطلاق. ومن جهةٍ أخرى، نحنُ نُعلِنُ أنّه لكونِهِ إنساناً حقيقياً فإنّ هذا يعني أنّه صورةٌ عن الإنسانِ بكمالِهِ، وكما هو مدعوٌّ لأنْ يكونَ، وأنَّه بالمســـيحِ نَجدُ الصّورةَ بشكلٍ مادّيٍّ وكحقيقةٍ تاريخيّةٍ، لما نحنُ مـــدعوون لأنْ نكونَ عليه في حقيقتِنا وفي تاريخِنا وفي مستقبلِنا. لذلكَ عندما نقولُ إنّ المسيحَ هو إنسانٌ حقيقيٌّ، فإنّنا نُؤكّدُ أنّ اتحادَنا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مع الله لا يَعني تَلاشي أو انحلال طبيعتِنا البشريّة، ولكنْ بهِ فَقَط يَستطيعُ الإنسانُ أنْ يَتَّحِدَ بالطَّبيعةِ الإلهيةِ، وأنْ يكونَ هذا الإنسانَ الذي يَتِمُّ الكَشفُ عنه بكلِّ احتمالاتِ وجودِهِ، كتِصنيفٍ طبيعيٍّ تاريخيٍّ للبشرِ ليس هو نفسُه الإنسانُ بالصّفاتِ البشريّةِ الذي نعتقدُ أنّه يجبُ أنْ يكونَ. لا يُمكِنُ لإنسانٍ أنْ يَصِلَ إلى كمالِ بَشَرِيّتِه إلا باتحادِهِ العميقِ والقَوي وغيرِ المنفصِلِ مع الطّبيعةِ الإلهيّة، بحيث أنّ كمالَ الأُلوهَةِ يَتغَلغلُ في اللحمِ. إنّني أَستخدِمُ هنا تعابيرَ من الكتابِ المقدّسِ تخصُّ المسيح، والتي أعتقدُ أنّها قَابِلَةٌ للتَّطبيقِ على الإنسانِ أيضاً. فإذا أَخَذْنا على سبيلِ المثالِ كلماتِ الرّسولِ بطرسَ في رسالتِه بأنّنا مَدعوُّون لأن نُصبِحَ مُشارِكين في الطّبيعةِ الإلهيّةِ؛ أي أنْ نُصبِحَ شُركاءَ مع الله، ولَسْنا فقط عِبارةً عن مخلوقاتٍ بشريّةٍ تابعَةٍ لإلهٍ، هو دائماً خارجَ حياتِهم.

هذا الكلامُ يعني رؤيةً مختلفةً تماماً للإنسانِ، وهو يعني أيضاً أمراً أعتقدُ أنّه مُهِمٌ، وهو رؤيةٌ مختلفةٌ تماماً للكنيسة.

غالباً ما نُفكِّرُ بالكنيسة كمؤسَّسةٍ اجتماعيةٍ؛ أي أنّها عبارةٌ عن جماعةٍ من الناس تلتفُّ حولَ تعليمٍ أو شخصٍ، أو وسائلَ وأهدافٍ وغاياتٍ محدودةٍ، أو عباداتٍ وطقوسٍ معيّنةٍ، أو تُقيمُ بعضَ الأفعالِ الإلهيّةِ كالأسرارِ المقدّسةِ، ولكنّها تنتمي دائماً إلى مجتمعٍ بَشَريٍّ يَتطلَّعُ إلى الله. إنّ هذه رؤيةٌ ضعيفةٌ وغيرُ كافيةٍ عن الكنيسة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبالنّظرِ إليها من هذه الزاويةِ فقط، فإنّ الكنيسةَ لا تكونُ إلا مُجرَّدَ مادّةٍ لدراسةٍ تاريخيّةٍ؛ إنّها لَيسَتْ موضوعَ إيمانٍ حيث لا يوجَدُ أيُّ بُعدٍ عميقٍ لا منظورٍ في هذه النّظرةِ إلى الكنيسة! وهذا الشيءُ غيرُ المنظورِ موجودٌ في الكنيسةِ، لأنّ يسوعَ هو المؤسسُ لها، وهو العضوُ الأولُ فيها؛ والذي هو في كِلْتا النّظرَتَين يَسموْ على المعنى التّاريخيِّ، والعمليِّ التجريبيِّ للكنيسة، والتي يُمكِنُنا أنْ نتعرَّفَ عليها من خلالِ كلماتِ القدّيسِ أفرامَ السريانيِّ على أنّها ليسَتْ مكاناً للتجمُّعِ فقط، وإنّما هي (جماعةٌ منَ الخطأةِ التّائبين والباحِثين عن الحياةِ الأبدية). المسيحُ يَسموْ على هذه الجماعةِ البشريّةِ والتاريخيّةِ والعمليّةِ التجريبيةِ، من حيثُ كونه إنساناً، فإنَّ طبيعتَهُ البشريّةَ الكامِلةَ تَجعَلُهُ تماماً كما نحن، ولكنّنا لا نزالُ نَشُكُّ بضَعْفِنا وبانفصالِنا عن الله وعن بعضِنا البعض. والخطيئةُ تعني بشكلٍ أساسيٍّ الانفصالَ والشَّرْخَ الداخليَّ، وهو نوعٌ من الفِصَامِ بحيث نبدوْ عندما نَرى بعضَنا، نعلمُ أننا لا نُشكِّلُ أجزاءَ مُتَّحدةً في شخصٍ واحدٍ، وإنّما كأعضاءٍ وجزيئاتٍ مُتفرِّقة.

كذلكَ المسيحُ يسمو من منظورٍ آخرَ على الحقيقةِ الاجتماعيةِ للكنيسة أيضاً. فهو عندما كانَ موجوداً ببشريّتِه في التّاريخ، فإنّه كانَ يَنتمي في الوقتِ نفسه إلى كمالِ الأبديّة لأنّه اللهُ، ليسَ بحسبِ طبيعتِهِ الإلهيّةِ فقط، ولكنْ لأنّ بَشَريَّتَه نفسَها تُحوِّلُ الحياةَ – المحدودةَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الزمنيّـــةَ كما نَعلَمُها ونَحياها – إلى حياةٍ أبديةٍ مســـتقرةٍ وثابتةٍ ومُنتَصِرة.

الكنيسةُ هي أيضاً مكانٌ لحُضُورِ الروحِ القُدُس الموجود في داخِلِنا، والذي يَجعل كلَّ واحدٍ مِنَّا هيكلاً للحضورِ الإلهي. ومن خلالِ الروحِ القُدسِ نحنُ نتَّحِدُ بحياةٍ واحدةٍ وبحقيقةٍ واحدةٍ مع ابنِ الله جَسَدِيّاً وروحيّاً، ونُصبِحُ بمشاركتِنا والتزامِنا أبناء الله.

تتكوَّنُ الكنيسةُ من عُضوَيْن مُتَناغِمَين؛ إلهيٌّ وبَشَريٌّ. فتحتوي على كَمَالِ الله، وكَمَالِ الإنســـانِ. ولكنَّ كَمَالَ الإنسانِ يَحتوي على دناءَةٍ وضَعَفَاتٍ كثيرةٍ. ومن هذا المفهوم فإنّ الكنيســـةَ موجودةٌ مُسبَقاً في البيتِ، وفي نفسِ الوَقتِ موجودةٌ في مُسْـــتقبلِنا. ولذلكَ ففي وُجُودِها مُسبَقاً في البيتِ في إطارِ علاقتِنا مع الله، تَعني أنْ نكونَ مُتَّحِدين مع الله الآنَ وفي المستقبلِ أيضاً، لأنَّنا لم نتمكَّن بَعْدُ من الوصولِ إلى الكَمالِ المدْعُوِّينَ من أجلِهِ. وفي هذا الإطارِ فالكنيسةُ تُشارِكُ في سُمُوِّ المسيحِ وتاريخيَّتِه أيضاً. نَعَمْ تاريخياً، وهو بُعْدٌ تاريخيٌّ غيرُ محدودٍ بالزّمانِ والمكانِ؛ إنّه البُعدُ اللامحدودُ الأبديُّ والخالِدُ، حيثُ تكونُ مُشارِكةً في هذه الصِّفاتِ التي هي صفات الله نفسه.

الآنَ أَرغَبُ بالحديثِ عن المسيحِ، وبشكلٍ بسيطٍ عن (بَشريَّتِه). نحنُ نقرأُ بأنّه إنسانٌ حقيقيٌّ، وعندما نُحاوِلُ أنْ نَرى ما هو الشيءُ المشـــتَرَكُ مَعَهُ، فإنّنا نَرى أنّه وُلِدَ وعَـــاشَ ومَـــاتَ. وعندما نُفكِّرُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بـــالطّريقةِ التي يُشارِكُنا بها حياتَنا، فإنّنا نَرى أنّه ليسَ جزءاً من الأمجادِ البشريّةِ فقط، بل هو في الواقع قد شَارَكَنا حياتَنا في كلِّ شيءٍ عَدَا الأمجادِ البشريّةِ. لقد تجسَّدَ وأَخلَى ذاتَه، ليسَ من أجلِ أولَئِكَ الذين في المجدِ فقط، ومن أجلِ القدِّيسين والأَبرار، والذين لَيْسُوا بحاجةٍ للخلاصِ والمساعدة، وإنّما لكلِّ شخصٍ في العالم. يجبُ ألا نَنسى أيضاً أنّ الأثرياءَ والأغنياءَ والأقوياءَ يَملُكـــون روحاً خالِدةً، وقَدَراً أَبَديّاً، وهوَ ما يَفرُضُ عَلَينا أنْ نَتذكَّرَ أنَّ إيصالَ الإنجيلِ إلى الفقراءِ والمنبوذين هي نصفُ مهمتِنا فقط. أخشى أنْ تكونَ الكنيسةُ قد نَسيَتْ ذَلِكَ، وأنّها لِعِدَّةِ قُرونٍ قَدْ عَلَّمَتِ الصّبرَ للآخرين دونَ إعطائِهم العدالةَ والإنصاف.

لكنّ الحقيقةَ الباقيةَ هي أنّ المسيحَ بقبولِهِ للهيئةِ البشريّةِ قد أَخلى ذاتَه فينا، ليسَ باستقرارِنا فقط، ولكن أيضاً ببؤسِنا وضَعَفَاتِنا. نَعَمْ لقد جاعَ معَنا، لقد وُلِدَ، نُبذَ، ولم يكن لَدَيهِ أيَّ مكانةٍ اجتماعيّةٍ. كانَ مُحاطاً بالقَتَلةِ منذُ اليوم الأول لولادتِه. لقد كانَ مُتَعَباً ومَنبوذاً ووحيداً ومَكروهاً وإلى ما هنالك، وكلُّ ذلك حقيقيّ. لقد قَبِلَ بمرافقةِ أُناسٍ نَبَذَهم المجتمع (الخطأةِ والمنبوذين) وهذا أيضاً حقيقيٌّ. ولكنْ هناكَ شيءٌ آخرَ حولَ الطّريقةِ التي قَبِلَ بها أن يُشارِكَنا طبيعَتَنا البشريّةَ وهو الشيءُ الأكثرُ أهميّةً، لقد قَبِلَ أن يتَّحِدَ بنا بالموت. أَحَدُهُم يقولُ وبشـــكلٍ طبيعيٍ جداً لقد اختارَ أن يُصبِحَ إنساناً،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فَعَلَيْهِ أنْ يموتَ من أجلِ اختيارِه هذا! كلا، لم يَفعلِ المسيحُ ذلك، وهنا تَكمُنُ القضيّةُ بأكملِها! بعضُ الكُتّابِ وَضّحوا حقيقةً أنّ الموتَ يُمكِنُ أنْ يَحدُثَ بالانفصالِ عن مصدرِ الحياةِ فقط. لا يُمكنُ وفقَ ذلك أنْ يموتَ مـــانحُ الحياةِ الأبديّةِ. يُركِّزُ القدّيسُ مكسيموسُ المعترفُ على حقيقةِ أنّه في لحظةِ الحَبَلِ بِهِ، وفي لحظةِ وِلادَتِهِ، وفي تَجَسُّدِهِ، لم يكن المســـيحُ مَشارِكاً في الموتِ، لأنّ تجسُّدَه كانَ جُزْءاً لا يَتجزّأُ من طبيعتِهِ الإلهيّةِ، فما كانَ من الممكنِ أنْ يموت. لكنّ هذا الموتَ لم يكن رمزياً أو شكلياً عندما نُرتِّلُ في الكنيسةِ الأرثوذكسيّةِ في يوم الخميسِ من الأسبوعِ العظيمِ المقدّسِ: "أيُّها الحياةُ الأبديّةُ كيفَ مُتَّ، أيُّها النّورُ كيفَ يُمكِنُ أنْ تنطفئَ؟".

أعتقدُ أنّ هذا أمرٌ يجبُ أَخذَه بعينِ الاعتبار.

لقد ماتَ على الصَّليبِ، وقالَ كذلك بعضَ الكلماتِ التي كانَ لها أكبرَ تأثيرٍ في التّاريخِ؛ وهي أنّه ابنُ الله. وهذا ما جَعَلَهُ قد قَبِلَ إخلاءَ الذّاتِ غيرِ المحدودِ والكاملِ والنِّهائيّ مع الإنسانِ بكافةِ أحوالِهِ، ورَغْمَ عدمِ اشتراكِهِ مَعَهُ بالشَّرِّ، إلا أنّه قَبِلَ بكلِّ عواقِبِ ذلك الشّرِّ؛ لقد سُمِّرَ على الصّليبِ، وكانَ يَصرُخُ باكياً على الإنسانيّةِ المتروكَةِ "إلهي إلهي لماذا تَرَكْتَني؟".

وقد فسّر المختَصُّونَ ذلك بأنّه كانَ يُردِّدُ آيةً من المزامير (مز22). لأنّكَ إذا رَأَيْتَ أيَّ شخصٍ وهو يموتُ بشـــكلٍ عنيفٍ، لا يُمكِنُكَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنْ تتخيَّلَهُ في تِلكَ اللحظةِ إلا وهو يُردِّدُ صَلاةً تَعَلَّمَها عندما كانَ صبيّاً صَغيراً! عَلاوةً على ذلك فقد كانَ هناكَ خطأٌ في الرّؤية، لأنّ النبوءَةَ هي التي تَمَّتْ، ولكنّها لم تَتِمّ بسبب ترددِ هذهِ الكلماتِ. كلاَّ، كانَ هذا الحدثُ حقيقياً. عندما قالَ المسيح: "إلهي إلهي لماذا تركْتَني؟" كان يَصرُخُ ويَبكي على البشريَّةِ التي خَسِرَتِ اللهَ، وكان يُشارِكُ بالشيءِ الأكثرَ مأساويةً في الحياةِ البشريّةِ، وكلُّ ما حَدَثَ بعدَ ذلك كانَ نتيجةً لهذا الموت. خسارةُ اللهِ هي الموتُ، إنّها التَّغرُّبُ، إنّها الجوعُ، إنّها الانفصالُ. كلُّ مأساةِ الإنســـانِ هي في كلمةٍ واحدةٍ (فُقدانُ اللهِ)، وقد شارَكَنا المسيحُ أيضاً في خسارتِنا للهِ، ليسَ بالطّريقةِ التي رَفَضْنا فيها اللهَ، أو بعدمِ معرفتِنا إيّاه، ولكن بالطّريقةِ الأكثرَ مأساويّةً، بالطّريقةِ التي يُمكِن لأيِّ أحدٍ أنْ يفقُدَ أَغلى وأَقدَسَ وأَثمَنَ ما لَدَيْه، وهو المُستَكِنُّ في عُمقِ روح وحياة الإنسان. وعندما نُردِّد في قانون الرسل (لقد نَزَلَ إلى الجحيم)، فإنّنا غالباً ما نظنّ بأنّ هذه إحدى المصطلحات، ونتذكّر (دانتي) والمكان الذي يَتِمُّ فيه تعذيبُ المساكينَ بابتكارٍ من الله!

لكنْ مفهومُ الجحيمِ في العهدِ القديم يختلفُ تماماً عمَّا هو عليه في الأدبِ المسيحيّ. فجحيمُ العهدِ القديمِ هو أكثرُ رُعباً وخَوفاً؛ إنّه المكانُ حيث لا وجودَ للهِ فيه، إنّه مكانُ التّخلّي النّهـــائي، حيث الخلودُ لكن دونَ وجودٍ لمعنى الحياةِ. فعندما نقولُ بأنّه نزلَ إلى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الجحيم، فنعني بذلك بأنّه قد قَبِلَ خسارةَ الله ليكونَ واحِداً مِنّا، مُشارِكاً لنا في الأمرِ الأكثرِ مأساويّةً. لقد قَبِلَ نتائجَ ذلك، وذهبَ إلى مكانٍ حيث لا وجودَ لله فيهِ، إلى مكانِ التّخلّي النّهائي. وهناك كما تقولُ إحدى الترانيمِ القديمةِ، أنّ بوابةَ الجحيمِ قد فُتِحَتْ لاستقبالِ الذي لم يُغلَبْ في العالم، ولكنّه غُلِبَ الآنَ لأجلِنا وأصبحَ سَجيناً، واستقبلوا هذا الإنسان الذي قَبِلَ الموتَ نيابةً عن البشـــريّةِ الخـــاطِئةِ، وقَبِلَ فقدانَ الله دونَ خطيئةٍ. فانذَهَلوا بالحضورِ الإلهيِّ لأنّه هو الإنسانُ وهو الإلهُ. وهكذا سُحِقَت الجحيمُ، ولم يبقَ أيُّ مكانٍ لا وجودَ لله فيه. لقد تَمَّتِ النبوءةُ القديمةُ "إلى أينَ سَأَهرُبُ من وجهِكَ، في السّماءِ حيث عرشك، في الجحيمِ، (بالعبريّة يُعرف الجحيـــم بالمكـــان الذي لا وجـــود لله فيه) أنتَ هناك أيضاً" (مز139:7–8) هذا هو مِقْياسُ تَوَحُّدِ المسيحِ معنا، بقبولِهِ أنْ يتجسَّدَ فينا؛ ليس فقط ببؤسِنا، ولكن بخسارتِنا لله أيضاً. إنْ كنتَ تُفكِّر بذلك فسوف تُدرِكُ بأنّه لا وجودَ لأيِّ مُلحِدٍ على الأرض، قَبِلَ بعمقٍ خَسارةَ الله مثلما فعلَ ابنُ الله الذي أصبحَ ابنَ الإنسان. إنّه الوحيدُ الذي يعرفُ ماذا يعني أن تكونَ من دونِ الله، وأن تموتَ بسببِ ذلك.

وهذا له نتائج في مواقِفِنا تجاهَ النّاسِ المحيطين بنا. إنْ كانَ ما قُلْتُهُ صحيحاً، وأنا أؤمنُ أنّه كذلك وألتزمُ به بالكامل، فهذا يعني أنّه لا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يوجدُ أيُّ شيءٍ بشريٍّ، بما في ذلك فقدانُ الله والموتُ والآلامُ الفظيعة في حديقة الجسمانية، والتي سبَّبَتْ حدوثَ ما هو أفظعُ من الرُّعب، كلُّ تلكَ الأمورِ الغريبة عن يسوعَ، والتي هي بعيدةٌ عنهُ وخارجَ سرِّه تماماً.

ومن ثمَّ ما هو موقِفُنَا كمسيحيين تجاهَ أولئكِ الذين همْ أعداءُ المسيحِ، والذين يَكرهونَه ويَرفضونَه ولا يُؤمِنون بوجودِ الله، ليسَ بسببِ عدمِ التقائِهِمْ بالله فقط، ولكن لأنَّهم قابلوه بِتلكَ الصّورة الكاريكاتوريّة التي قدَّمناها لهم، باسمِ الله نفسه؟ عندها يجبُ أنْ نُدرِكَ بأنَّنا سَنُدانُ بسببِ هذا الموقف، حيثُ المسيح ليس غريباً عنهمْ، وهمْ ليسُوا خارجاً أو غرباءَ عنه. سِرُّ الخلاصِ هنا أكبرُ من مفهومِنَا الضيِّقِ للكنيسةِ ومن تجربَتِنا، ويفوقُ مُستوى إدراكِنا.

ما قُلْتُهُ عن المسيحِ لم يكن عن إلهِ السّماءِ الذي أصبحَ إنساناً فقط، وإنّما عن الإنســـانِ، يســـوعَ أيضاً، الذي آمَنَ بنا كُلَّنا، حيث قَبلَ أن يُصبحَ مِثلَنا تماماً، بما في ذلك خسارتُنا لله وموتُنا. لقد آمَنَ بنَا وأظهرَ عَظَمَةَ الإنســـانِ عندما أخَذَ صورَتَنا. لأنَّ عَظَمَةَ الإنسانِ تَظهَرُ عِندما يَتَّحِدُ اللهُ معه، فيبقى محافِظاً على طبيعتِهِ البشريّة كاملةً، إلا أنّه عِوَضَ أنْ يكونَ ذو شأنٍ صغيرٍ، فإنّه يُصبحُ ما أرادَهُ اللهُ أنْ يكونَ عَلَيْه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سادَ مفهومٌ عامَ 1969 في بحثٍ مُقدَّمٍ في جامعة أوكسفورد تَقَدَّم به أسقفُ (دورهام) (إيان رامزي)، ولكن مضمونَه لم يتحقَّقْ فهمُهُ للوهلةِ الأولى لدى العديدِ من الناس، الذين أَدرَكُوا فيمَا بعدُ عُمْقَ معناه، مِمَّا أدَّى إلى تقديمِ خدمةٍ مفيدةٍ جداً لهم. هذا المفهومُ هو (الانفتاحُ الكونيُّ)، والذي يعني للأُسْقُفِ وللجميعِ بأنّ هناك أوقاتاً تحتاجُ إلى عُمقٍ في التّفكيرِ، عندما يُحيطُ بنا كأشخاصٍ ظروفٌ غامضةٌ، ولكنّها تُصبحُ فجأةً واضِحَةً وجَلِيَّةً كما كانَتْ، وتَسمَحُ لنا برؤيتِها بمنظارٍ جديدٍ، وكما قُلْتُ سابقاً بعُمْقٍ أكبرَ. أقربُ مثالٍ على الانفتاحِ الكونيّ الذي يُمكِنُ أنْ أُقدِّمَهُ معروفٌ لدى الجميعِ. ألا وهو أنّني عندما كُنْتُ صغيراً كُنْتُ ألعبُ بلُعْبَةِ المتاهَةِ، وكان موضوعُ هذه اللُعْبةِ هو وجودُ صيَّادٍ في غابةٍ يَبحثُ فيها عن الأرنبِ الذي يَنتظِرُ من اللاعبِ أنْ يَجِدَهُ. وما إنْ تبدأ بالبحثِ عن طريقٍ يُوصِلُكَ إليهِ، حتّى تَرى فجأةً ذلك الأرنبَ أمامَكَ، ولكنَّكَ لا تستطيع أن تفهمَ لماذا لم تتمكَّنْ من رؤيتِهِ قَبْلاً!

موضوعُ هذه اللُعْبةِ هو صورةٌ حقيقيّةٌ عن كلِّ ما يَجري في حياتِنا. إنّنا نعيشُ في ظُروفٍ مع أُناسٍ آخرين، ونُواجِهُ الظُّروفَ كما هي، ونَرى النّاسَ كما يَظهَرون لنا من الخارج، وفجأةً نرى حقيقتَهم الداخليّة، وعندها يبدو لنا الأمرُ كم هو عظيمٌ ومُهِمٌّ. وهذا يحدثُ على سبيلِ المثالِ عندما ننظُرُ إلى مَشْهَدٍ مألوفٍ جداً ومفهومٍ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لنا، ونستطيعُ رؤيتَهُ بوضوحٍ، وأنّه بإمكاننا أنْ نتجـــاوبَ معه. إنّنا ننظرُ إلى شيءٍ عاديٍّ ومألوفٍ، وفجأةً يَستوقِفُنا جمالُ ومعنى هذا الأمر بشيءٍ ما في داخِلِنَا، وعندها نستطيعُ أن نرى هذه الأمورَ بشفافيةٍ أكبرَ وبعمقٍ، حتى نَصِلَ إلى مَلءِ معناها العميق.

يحدثُ الشيءُ نفسُهُ مع كلِّ الناس الذين نعيشُ معهم وبينَهم. الناسُ يَذهبون ويَجيئون بينَ الحَشْـــدِ، وتتحرَّكُ وجوهُهم. ولكـــن هناك دائماً يَظهَرُ وجهٌ ما، وجهٌ نراهُ بشكلٍ دائمٍ حتى يُصبِحَ مألوفاً لنا، وهو ما يجعلُنا لا ننظُرُ إليه، لأننا نُدْرِكُ من اللَّمحةِ الأولى من هو صـــاحبُ أو صاحبةُ هذا الوجه. وفجأةً نَقِفُ لننظُرَ، أو ربّما لأنّ شيئاً خاصّاً في عينيهِ قد استوقَفَنا ولَفَتَ انتباهَنا، ويظهرُ هذا الوجه وكأنّنا نَراهُ للمرَّةِ الأولى، ويُعطينا معنىً عميقاً، ويَجعَلنا نُعيرُهُ اهتماماً أكبرَ. هذا الشَّخصُ الذي كانَ جُزْءاً من الحَشْدِ، قد أصبحَ شخصاً فريداً ولا يُمكِنُ استبدالُه بأيِّ شخصٍ آخر، فقد أصبحَ بالنسبةِ لنا شخصاً واضحاً. وببساطةٍ أكثرَ إنّه هو هو، أو هي هي.

وكما تقولُ الأسطورةُ اليونانيّة: (إنّه عندما لا يكونُ لَديكَ شخصٌ مُمَيَّزٌ تُحبُّه، تَجِدُ نفسَكَ، عندما تُحاطُ بالعديدِ من الناسِ رِجالاً ونِساءً، غيرَ قادرٍ على أنْ تُميِّزَ بينَهم. ولكنْ عندما تُحبُّ وتُميّز شـــخصاً ما من بينهم، فعندها لا تَعودُ تَرى سوى ذلك الشّخصِ فقطْ، ويُصبِحُ باقي الناس مُشكِّلين للجزءِ المحيطِ به فقط).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هذه هي الطّريقةُ التي من خلالِها يُمكِنُ تمييزُ شيءٍ ما، حتى نراهُ على حقيقتِهِ وبعمقٍ كبيرٍ. وهذا الشيءُ الذي نَراهُ يكونُ مُزيَّناً بالمجدِ. لأنَّ كلَّ الأشياءِ الميِّتةِ في تلكَ اللَّحظاتِ، والتي تكونُ من دونِ لونٍ، تُصبحُ ملوّنةً وجميلةً وتَنبُضُ بالحياةِ وتَمتلِئُ بالمعاني. وهذه اللَّحظاتُ هي التي يَدعوها الأسقفُ (إيان رامزي) في حال حدوثِها بـ (الكَشْـفِ الكَونيِّ). هذا النوعُ من الكَشْفِ الكونيِّ الذي عِشْناهُ جميعُنا. وإذا ما كُنَّا صادِقين مع أنفسِنا، فسوفَ نتذكَّرُ هذه اللحظاتِ والأوقاتِ عندما نكتشفُ فجأةً من بين الناسِ الذين نَعرِفُهم جيداً شخصاً ما في أعماقِ قلبِنا، برؤيةٍ وإحساسٍ لم نَختبِرَهُما من قبلُ. الفكرةُ التي كانَتْ تَتكرَّرُ لنا باستمرارٍ على شكلِ آيةٍ من الإنجيلِ أو عباراتٍ من الأدبِ، والتي كانَتْ تَتطلَّبُ تَدقيقاً لفهمِ معناها العميق، لم تَعُدْ بالكَشفِ الكوني مُجرَّدَ كلامٍ موجودٍ في الكتبِ المقدَّسةِ، أو عبارةٍ من أدبِ شكسبير. إنّما تُصبحُ هي الحقيقةُ نفسُها، التي وُضِعَتْ في كلماتٍ مُهمَّةٍ وفعَّالةٍ جداً.

هذا النوعُ من الخِبرةِ يُماثِلُ خِبرَتَنا التي نَحياها مع اللهِ، لأنّ اللهَ هو شخصٌ يُمكِنُنا أنْ نَكتَشِفَهُ بخِبرَةِ الكَشْـفِ الكَوني. أنا أُصِرُّ على كلمةِ (كَوْني) هذه المرّة، لأنّ اللهَ هو من ضِمنِ الحقيقةِ التي نَعيشُها. وأكثرُ من ذلك طالما أنّنا لم نَكتَشِفْهُ، ولم نكتشِفْ عالَمَهُ غيرَ المرئيّ، فنحنُ لا نزالُ عُمياناً عن غِنى الحقيقةِ الكاملَةِ. لذا مِنَ المهمّ، من

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وجهةِ نَظري، أنْ نكتشفَ الله. وبطريقةٍ أخرى أودُّ القولَ إنّ هذا الكلامَ خَطِرٌ، وهو يُسبِّبُ الإزعاجَ دائِماً. حيث يُمكِنُ للإنسانِ أنْ يعيشَ من دونِ الله بشكلٍ جيدٍ وبمشاكلَ أقلَّ، على أنْ يعيشَ مَعَهُ. وخاصّةً لأنّ التّجربةَ مع الله الذي قَبِلَ التجسُّدَ حتّى الموت، وأحبَّ حتّى أنّه نَسِيَ نفسَه. بل بلغَ به الأمرُ أكثرَ من ذلك، فقد انتُقِدَ وحُقِّرَ وأصبحَ إنساناً مُهاناً مُحتَمِلاً الضَّربَ من أجلِنا، وكأنّما يقولُ اللهُ لنا، هذا هو المثالُ الذي أُعطيكُم إياه فاتَّبَعُوه. أو يقولُ لنا هذه هي التطويبات: سَتَجوعون وتَعطَشون وستُضْرَبون وتُنْبَذون وتُضْطَهَدُون، وهذا أفضلُ ما يمكنُ أنْ يحدثَ لكم. هذا النوعُ من الاكتشافِ لله ليسَ سَهْلاً في حياتِنا، فالنّقطةُ الهامّةُ ليستْ أنْ يكونَ اللهُ مفيداً، لكن أنْ يكونَ موجوداً وحقيقيّاً.

الآنَ، هل بإمكان أيِّ شخصٍ أنْ يُضيفَ أيَّةَ حقيقةٍ فكريّةٍ أو شرعيَّةٍ إلى هذا النوعِ من الكَشْفِ الكَوْني (المعرفَة الشّامِلَة)، الذي يتضمَّنُ الجمالَ، الحُبَّ، العلاقاتِ الإنسانيّةَ، وجودَ الله، والرؤيةَ الجديدةَ للعالَمِ؟ ما هي شرعيّةُ هذه الخِبرَة؟ هناك وُجْهةُ نَظَرٍ عِلميَّة، والتي أَعتمِدُها أنا خاصَّةً، وهي تقولُ أنَّ الخِبرَةَ ممكنٌ إثباتُها بالطُّرقِ العلميّةِ الطبيعيّةِ، أو باستخدامِ طُرُقٍ علميَّةٍ خاصّةٍ مِثْلَ الفيزياءِ والكيمياءِ وعِلْمِ الأحياء. وهذا أعتقدُ أنّه أمرٌ خاطئٌ. لأنّه لا يُمكِنُ حَصْرُ هذه الخِبرَة وتحجيمُها في هذا النّوعِ من العِلم. هناك

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عالَمٌ غيرُ منطقيٍّ، وهو بنفس الوقتِ منطقيٌّ! فعِندَما كُنْتُ طالِباً أَدرُسُ الفيزياءَ، كانَ عليَّ أنْ أخضعَ لامتحانٍ في علمِ الأصواتِ. كُنْتُ غيرَ مُهتَمٍّ البتّةَ بالموسيقى، وغيرَ قادرٍ على تَحمُّلِ سماعِها. بالنّسبةِ لي كانَتِ الموسيقى هي عِبارَةٌ عن مجموعةٍ منَ الأصواتِ. تَعَلَّمْتُ كلَّ شيءٍ عن الموسيقى التي تتعلَّقُ بالصّوتِ وبالفيزياءِ؛ لكي أتمتَّعَ بها، ولم أَشعُرْ بهذا الاستمتاعِ على الإطلاق. لقد قابَلْتُ رَجُلاً كانَ لَدَيْهِ المنهَجُ نفسُه في الأدب، رَجُلاً مُهمَّاً جداً قابَلْتُه في ايرلندا وكان كاهِناً، وكان الإنسانَ الأكثرَ خَجَلاً وتَحفُّظاً الذي قابَلْتُهُ في حياتي. لقد وجَدَ أنّ الأدبَ الإنكليزيّ شيءٌ غيرُ عاديٍّ وغيرُ مُحتَمَلٍ، لدَرجةٍ أنّه لم يَعُدْ يحتملُ البقاءَ في بريطانيا لقَضاءِ أيِّ عُطلةٍ، لأنّه كانَ يعودُ مُنهَكاً من العطلةِ. في إحدى المرّاتِ سألَني إنْ كُنْتُ أَعرِفُ دوستويفسكي! وقد استَغرَبْتُ أنّه كانَ مُهتمّاً بهِ، فسأَلْتُه: (هل قَرأْتَ له؟ هل أعجَبَتْكَ رواياتُهُ؟) نظرَ إليّ وقالَ: (رواياتٍ؟ لم أظنْ أنّه قد كَتَبَ رواياتٍ). قُلْتُ له، ماذا قَرأْتَ له إذاً؟ فذَكَرَ كافّةَ كُتُبَ دوستويفسكي المعروفةِ والمشهورة جيداً. فسأَلْتُه: عَمَّ تَبحَثُ في دوستويفسكي إذاً؟ على ما يَبدو أنّه كانَ يَحتَفِظُ ويَجمَعُ فهرساً حولَ المتدّينين الرّوس، وقد قَرَأَ كُلَّ أعمالِ دوستويفسكي، ولم يُلاحِظْ أنّه كانَ كاتِباً.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هناكَ بعضُ الأشياءِ غيرُ المنطقيّة، والتي لا يُمكِنُ أنْ تُصبحَ منطقيّةً أو أنْ تخضَعَ للمنطِق. فنحنُ نَعلَمُ الآنَ بوجودِ أشياءَ غيرِ منطقيَّةٍ في داخِلِنا، وهي لا تَمُتُّ بأيَّةِ صِلَةٍ إلى العقلِ، ومع ذَلِكَ هي موجودَةٌ، ولها قُدرَةٌ فَعَّالَةٌ فينا. عندما نُعالِجُ مشاكِلَنا العاطفيّةِ غيرَ المنطقيّةِ بطريقةٍ خياليّةٍ يُصبِحُ لها تأثيرٌ أكبرَ على اتّزاننا بكامِلِهِ، أكثرَ من تأثيرِ وجهات نظرِنا المنطقيّة وآرائِنا. وهناك شيءٌ آخرَ حولَ هذه الخِبرَةِ يظهرُ عندما يُؤكِّدُ الناسُ قائِلين، إنّ هذا أمرٌ موثوقٌ به وقد تحقَّقْنا منه بحواسِّنا الخمس، مع أنَّ حواسَنا الخمسَ لا يُوثَقُ بها أكثر من إحساسِنا الداخلي. عندما تنظُرُ إلى شيءٍ ما وتقول: أنا متأكِّدٌ أنّه هناك، إنَّ عينيَّ قد أثبَتَتْ لي ذلك. عندما أُصغي إلى شيءٍ ما وأقول: أنا متأكّدٌ أنّه موجودٌ لأنّ أُذنيّ قد مَنَحَتاني الإثباتَ. لكن ما هو الإثباتُ؟ أنا أتذكَّرُ جيِّداً أنّني عندما ذهَبْتُ لزيارةِ إحدى المريضاتِ، جَلَسَتْ بالقُرب مِنّي وبَدَأْنا الحديثَ. ولكن فجأةً بَدَأَتْ بالصَّفيرِ، سَأَلْتُها ما هذا؟ فأجابَتْ هذه السيّدةُ الطيِّبةُ إنّه زئيرُ الأسدِ. إنّني أحيا في جسدٍ وهميٍّ وهو ليسَ ماديّاً أبداً، ولديَّ أسدٌ صغيرٌ لطيفٌ يأتي ويَمكُث بجواري. هذه السيّدةُ الطيِّبةُ كانَتْ تتلمَّسُ فَروةَ الأسدِ تحتَ يدِها. لقد تمكَّنَتْ من رؤيةِ الأسدِ، كانَتْ تُدرِكُ وجودَ الأسدِ بطُرُقٍ مختلفةٍ، أنا لم أتمكَّن من ذلك للأسف. الآنَ، ومن وُجْهةِ نظري أنّ هذا الإدراكَ الحسيَّ للأسدِ كانَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هَلوَسَةً، وأما من وُجْهةِ نظرِها فكان نقصاً في إدراكي وقِلَّةً في بَصيرَتي! مع كلِّ ما نراهُ، نحنُ نفترِضُ أولاً أنّ التّجاربَ السابقةَ هي دليلٌ على أنّها حقيقيّةٌ وثابتةٌ، ومن ثمّ نقومُ بالتقييمِ بأنّ هذه ليستْ هَلوَسَةً ولكنّها حقيقةٌ. من وجهة النّظَرِ الطبيعيّةِ، ربّما تكـــونُ على حقٍّ أو على ضَلالٍ، ولكن من وجهةِ النَّظَرِ النفســـيّةِ أنا لديَّ الحقَّ بأنْ أتحدّى وأشـــكَّ بأيِّ خبرةٍ مرئيّةٍ حســـيّةٍ ومسموعةٍ، لأنّ عينَيْكَ ليستا هما الجزءُ الذي تُؤكِّدُ به إنْ كانَ ما تَراهُ أَسَداً أمْ ساعَةً. إنّها محاكمتُكَ العقليّةُ التي تقولُ هذا. وهكذا نرى وجودَ سلسلةٍ طويلةٍ ومُنسَّقةٍ بينَ الأسدِ الذي يَربُضُ هنا، وبينَ عينيكَ اللتين تتوهَّمان وجودَه، وبينَ جهازِكَ العصبيّ الذي يُحضِرُ هذه الإشارةَ إلى دماغِكَ، وبدورِهِ يتلقَّى هذه الإشارةَ. وإنَّ محاكمتَكَ العقليّةَ هي التي تقولُ إنّ هذا أسدٌ حقيقيٌّ وليسَ مجرَّدَ خيالٍ. وهذه السلسلةُ يُمكِنُ أنْ أشكَّ في مصداقيّتِها في أكثرَ من نقطةٍ واحدةٍ.

يُمكِن للإنسانِ أنْ يُوضِّحَ بخبرتِهِ أنَّ أكثرَ الأشياءِ التي نفترِضُها سهلةً جداً، من الممكِنُ الشَّـــكُّ فيها أكثرَ مما نتخيَّل. لـــذلِكَ ما لم نكنْ مُستعدِّينَ كفلاسفةٍ وعلماءَ أنْ نكون دائِمي الشّكِّ بأيِّ خبرةٍ لدينا، فلا يوجدُ أيُّ ســـببٍ منطقيٍّ للتَّســـاؤلِ حولَ قَبولِ أو رَفضِ أيَّةِ خِبرةٍ أو تشكُّلِ حِجَّةٍ دامِغةٍ ضدها، وخاصَّةً عندما لا تَمتُّ هذه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخِبرةُ إلى شخصٍ بمفردِهِ، بل تكونُ خبرةً ومعرفةً عمليّةً لمجموعةٍ من الأشخاص.

إنّ حقيقةَ أنّه لا يمكنُ نقلُ الخبرةِ بشكلٍ مباشرٍ، وأنّه لا يُمكنُ إثباتُها باستخدامِ طرقٍ موضوعيّةٍ، إنّما يُشكّلُ دليلاً على أنّها لا شيء. لأنّ الموضوعيّةَ والذاتيّةَ يجبُ أنْ تُعالَجا باهتمامٍ أكبر. الحُكْمُ الموضوعيُّ عادَةً يعني إصدارَ حُكمٍ بحياديَّةٍ كبيرةٍ دونَ أيَّ أحكامٍ مُسبَقةٍ، وهذا ما عَنَيْتُه عمليّاً. وإذا أَرَدْنا أن نُكوِّن رؤيةً موضوعيّةً عن أمرٍ ما، وأعني بذلك أنّنا يجبُ أنْ نُدرِكَ الشيءَ كما هو مُدرَكٌ بذاتِهِ دونَ تدخُّلٍ، من الواضح أنّنا سنجدُ أنّ تحقيقَه غيرُ ممكنٍ، بل هو مستحيلٌ تماماً. فكيفَ لا يُمكِنُ أنْ أُدرِك الكرسيَّ بالتّماهِي معه. ولكنّي أستطيعُ أن أُدرِكَ شيئاً عندما يحدثُ معي. لذلك طالما أنّها تبقى موضوعاً فقطْ ولا تخصُّني، فليس هناك ما يُسمى إدراكاً على الإطلاق. ولا يُمكنُ اعتبارُها بمثابةِ نوعٍ من الخبرة. أعتقدُ أنّه يجبُ أخذ ذلك بعينِ الاعتبارِ، ذلك أنّه لا يوجدُ موضوعيّةٌ بمَعزلٍ عن الذات؛ لا في علمٍ من العلوم كالموسيقى والفيزياء، أو في أيِّ نوعٍ من العلوم المنطقيّة. وإذا كان ذلك صحيحاً، فإنّ تلك الخِبْراتِ المعقَّدةَ المتعلِّقةَ بالجمالِ والحبِّ والنقدِ والتقديرِ، وتقييمِ الأحكامِ والثّباتِ الداخليّ الذي فيها، تَكمُنُ أهميّةٌ موضوعيّةٌ لشخصٍ آخر هي صحيحةٌ تماماً.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الآنَ هذه هي مُقدّمةٌ هامّةٌ، لأنّنا إذا لم نفهم ذلك، فعلينا أن نُنكِر بشكلٍ منظَّمٍ كلَّ خبرةٍ ليستْ ملموسةً، كما أنّه بإمكانِنا أن نَشُكَّ بأيّ خبرةٍ ملموسةٍ، ما لم نُسلِّم كُليّاً بالقوانين السّائدة في العالم الخارجي وفي الطّبيعة.

هناكَ مُشكِلةٌ أخرى في التّداخلِ بين الذاتيّةِ والموضوعيّةِ، فهناك في الأساسِ شَيئانِ، أولاً خبرتي الشخصيّة التي يجبُ أنْ أفحَصَها وأُعبِّرَ عنها، ومن جهةٍ أخرى فإنّ الناسَ من حولي يجب أن يكونوا قادرين على تلقّي هذه الخبرة، وأن يُدرِكوا الغايةَ المرجَّوةَ منها. هناك أكثرُ من طريقةٍ لِنَقْلِ الخِبرة، ولكن أكثرَ الطُّرقِ المعتادةِ هي بالكلامِ عنها بشكلٍ مُعبِّرٍ، موازياً في الوقتِ نفسهِ مُستوى الخبرةِ الموضوعيّةِ التي امتَلَكْتُها، وأيضاً على مستوى شيءٍ معروفٍ للسّامعِ الذي يحتلُّ مكانَ المقياسِ الذي يُحدِّدُ قُدْرةَ فَهمِ ما نتكلّمُ عنه. لذلك فعندما نتكلّمُ مثلاً عن الحبِّ؛ فإنّ هناك حبُّ الأمِّ لابنِها، والابن لأمِّه. وهما ليسا حبَّ الأصدقاء أو الحبَّ المتبادلَ بين شخصين؛ كحبِّ الزوجِ والزوجة، وأنواعَ أخرى من الحبِّ، والتي تختلفُ عن بعضِها، وتختلفُ من شخصٍ إلى آخرَ. وهذه كُلُّها لا يُمكِنُكَ أن تفهمَها ما لم تَمُرَّ بها. فلا تستطيعُ فتاةٌ صغيرةٌ في السّابعةِ من عمرِها أنْ تفهمَ الحبَّ العميقَ الذي تحسُّ به أختُها ذاتُ السبعةَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عشرَ ربيعاً. فهناك نوعٌ من التّشابهِ بين هذه الأنواع من الحبِّ، ولكنْ ليس تطابقاً بينَها، وبالتالي هناك طرقٌ متعددةٌ لإيصالِ الأشياء.

خُذْ رَجُلاً كإرميا. لقد أَراهُ الله يوماً غصنَ شجرةِ لَوزٍ، وكلَّمَهُ اللهُ بنفسِ الوقتِ قائلاً: "ماذا تَرى؟" فكانَ الجوابُ "إنّ اللهَ هو حارسُ إسرائيل". إنّ هذا التّشبيهَ هو تشبيهٌ مجازيٌّ، وفيهِ تَلاعُبٌ لَفظيٌّ على اللغةِ العبريّةِ، ولا علاقةَ له بما نحتاجُهُ الآنَ. ولكن هلْ من الممكنِ أن تتصوّرَ الحالةَ التي كان فيها إرمياءُ؟ لقد رأى شجرةَ اللَّوزِ، وفجأةً غُمِرَ بالحضورِ الإلهيِّ. ألا تظنُّ أنّه كُلَّما أمسكَ بين يديهِ بعدَ ذلك بغُصْنٍ من شجرةِ لوزٍ، سوفَ تعودُ بهِ الذاكرةُ إلى ذلك الحدثِ أكثرَ من تَذَكُّرِهِ لأمورٍ لاهوتيّةٍ أُخْرى؟ ألا تَعلمُ ما يحدثُ لك أثناءَ وجودِكَ في مكانٍ كُنْتَ فيه حزيناً أو سعيداً وتعودُ إليهِ بعدَ عشرِ سنواتٍ، وفجأةً ترى نفسَ الحالة في نفسِ البيت، فتعودُ إليكَ فجأةً كلَّ تلك المشاعر التي راوَدَتْكَ منذُ عشرِ سنواتٍ، والتي لا يمكنُ استحضارُها باستخدامِكَ لحيلٍ عقلانيّة؟

هذه هي الطّريقةُ الأُولى، والتي تُصبحُ فيها الخبرةُ الحقيقيّةُ من الماضي، والتي جَعَلَتْني أكونُ في الوضعِ الذي تَحَدَّثْتُ عنه في القِسمِ الأولِ. حيثُ أكونُ مُتأكّداً من شيءٍ ما، وأنّه أصبحَ مرئيّاً بالنسبة لي، عندها يُمكنُني الاحتفاظُ به في الذاكرةِ واستعادَتُهُ. وربَّما فيما بعدُ أريدُ أنْ أقولَ شيئاً حولَه. وفي هذه الحالةِ سأستخدمُ إمَّا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كلماتٍ شعريَّةً أو طرقاً موسيقيّةً بحيث تكونُ مفهومةً للسّامعِ، لأنّه ربّما أمتلِكُ خِبرةً مُسبَقَةً مما يمكّنُه من أن يفهمَها من خلالِ نظرتِهِ السّابقة لهذا الأمر. هذا ما يحدثُ على سبيلِ المثالِ لنا، عندما نخضَعُ لمعاناةٍ حقيقيّةٍ، أو نشعرُ بسعادةٍ حقيقيّةٍ. يمكِنُنا أن نَفهمَ فرحَ ومعاناةَ الآخرين، ليس بأنْ نعانيَ معاناتِهم أو أن نعيشَ فَرَحَهُم، ولكن بأن نتشارَكَ معهم، وأن نفهَمَهم جيّداً دون عيش ذلك.

الرّواةُ والأنبياءُ والناسُ الذين اختَبَروا الأشياءَ غيرَ المنظورةِ وعاشوها كأمورٍ مؤكّدةٍ، هم عادةً يُعبِّرون عنها باستخدام كلماتٍ مألوفةٍ وعاديةٍ لِنَقْلِها، بحيث يكونُ لها معنىً وفائدةٌ مرجوّةٌ.

خُذْ على سبيلِ المثالِ الشيخَ نيقوديموس، الذي أتى ذاتَ ليلةٍ إلى أورشليم ليرى السيّدَ. يمكنُكَ أن تتخيّلَ المشهدَ؛ إنّهما ربّما كانا يَقِفان في فُسحَةِ البيتِ يتحدّثان في مساءٍ تهبُّ فيه نسماتٌ عليلةٌ من الرّياح، عِوَضاً عن الجلوسِ في حرِّ الغرفة. كانا يتحدّثان عن الله غيرِ الملموسِ وغيرِ المرئيِّ وغيرِ المحدود. لم يفهم نيقوديموسُ، فقال له المسيحُ: "انظرْ، ما الذي تُحِسُّه الآن؟ إنّك تحسُّ بالنّسيم يتحرّكُ من حولِكَ، فينتعِشُ جسدُكَ، وثيابُكَ تتحرّكُ بحرّيّةٍ متأثّرةً بهذا الهواء. إنّها لحقيقةٌ مؤكّدةٌ أنّك الآن في غَمرَةِ هذا الانتعاشِ الذي يُجدِّدُ نشاطَكَ بسببِ هبوبِ هذه النّسماتِ في هذه الليلة، ولكنّك لا تعلمُ من أينَ تأتي، ولا تعرِفُ إلى أينَ تذهبُ، لا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تعرفُ منها سوى ما اختَبَرْتَه شخصيّاً، والذي تعبِّرُ عنه بعبارةِ: "الرّيحُ تَهبُّ، أنا منتعشٌ".

وصَفَ الكتابُ المقدّسُ الكنيسةَ بأنّها عروسُ الحَمَلِ. أتذكَّرُ حديثاً من هذا القبيل كُنْتُ أُديرُهُ مع مجموعةٍ من الشبابِ تقودُهَا امرأةٌ محتَرَمَةٌ ووَرِعَةٌ، وعندما حانَ وقتُ السؤالِ قالَتْ: (لا أستطيعُ أن أفهمَ لماذا تستخدمُ أنتَ، وكنيستَكَ كلَّ هذه التعابيرِ الغريبةِ، التي تجدُها في كُتُبِ الجنيّاتِ؟ ما هي الرسالةُ التي تَنقُلُها؟ أنا أعتقدُ بأنّها تَنقُلُ شيئاً ما، ولكن مجموعتي تَرغَبُ أن تعلَمَ لماذا؟) فقُلْتُ لها: (هل عبارةُ "عروسُ الحَمَلِ" لها مدلولٌ عن الكنيسةِ بالنّسبةِ إليكِ؟) فأجابَتْ: (إنّ هذا أمرٌ سخيفٌ، أنا أعرِفُ ما هوَ الحَمَلُ، لقد رأَيْنا جميعُنا البطاقاتِ البريديّةَ الخاصّةَ بعيدِ الفصحِ، إنّه حيوانٌ أبيضُ صغيرٌ مع شريطٍ أزرق أو أحمر يقفزُ فوقَ المرجِ الأخضرِ. ونحن نعرفُ أيضاً ما هي العروسُ، إنّها فتاةٌ أدرَكَتْ بأنّ الوقتَ قد حانَ لزواجِها، وهي تبحثُ عن فتىً لترتبطَ به، بحيث يكونُ لديه عملٌ جيّدٌ وسيّارةٌ ومستَقبَل). من الواضحِ الآن أنّ هذه السيّدةَ المسيحيّةَ المحترمةَ لم تستطعْ أن تُدرِك أنّ العروسَ هي فتاةٌ تؤكِّدُ استعدادَها لأن تُحبَّ، وأنّها جاهزةٌ للارتباطِ. وأنْ يكونَ حبُّها نابعاً من أعماقِ قلبِها، وأن تختارَ بسببِ هذا الحبِّ رَجُلاً واحِداً لتَربُطَ قدرَها معه، وأن تتخلّى عن كلِّ شيءٍ من أجلِه، وأن تتبعَه أَينما يذهبُ. ولو

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تذكَّرَتْ ما يقولُـهُ الكتـابُ المقدّسُ عن الحَمَلِ في الإصحاحين الثاني والخمسينَ والثالثِ والخمسين من أشعياءَ النبيِّ، فإنّها يُمكنُها أنْ تفهمَ ما يعنيهِ إنسانُ الألَمِ والحَمَلُ عندئذٍ. نعم، هذا هو المقصودُ من الكنيسةِ. ولكن في تلك اللحظة، فإنّ ما تحتاجُ إليه هو تجربةٌ بشريّةٌ وخبرةٌ عميقةٌ بالعالم، لأنَّ خارجَ نِطاق مثلِ هذه الخِبرةِ لن يعودَ لهذه الكلماتِ أيُّ معنى.

ومن ضِمْنِ الطُّرُقِ التي نُعبِّرُ فيها عن معرفتِنا بالأشـياءِ غير المرئيّةِ وخاصّةً الله، هنالك اسـتخدامٌ للكلمـاتِ التي تُحاولُ وَصْفَ الله، إمّا بعلاقتِهِ معنا كخالِقٍ، أو بأعمالِهِ ضمن حياتِنا الحُرَّةِ، أو بالإشـارةِ إلى شيءٍ ما هو في صَميمِ المشْـكِلَة. وهنالك في هذا المَعْنى ثلاثُ كَلِماتٍ: واحدةٌ هي الله. الله كلمةٌ عاديةٌ جداً ليـس لها أيَّ معنىً لفظيٍّ. أنا لا أقصدُ القولَ أنّه بالنّسبةِ للفلاسفةِ لم يكن معروفاً من أينَ هو أصلُ هذهِ الكلمةِ، ما أَعنيهِ هو أنّكَ عندما تقولُ (الله) فالكلمةُ بحدِّ ذاتِها ليس لها أيُّ محتوىً، إنّها تُعظِّم شخصاً ما أو فكرةً، ولكنّها لا تَصِفُهُ هو. لذلك يمكُنا لفظُ هذه الكلمةِ دون الحكمِ المسـبَقِ على أيِّ شيءٍ. والكلمتان الثانيتان همـا: (يسوعُ والحبُّ)؛ وهما الطّريقتان اللتان من خلالهما نَعرِفُ اللهَ. في كلمة "يسوعُ" نقولُ: (منْ هو اللهُ؟) اللهُ هو هذا الإنسـانُ الذي يدّعي أنّه خالِدٌ وأَبديٌّ، يسوعُ الذي هو اللهُ والإنسانُ في الوقتِ نفسهِ، والذي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يُمكِنُني أنْ أتكلَّمَ معه بشكلٍ شخصيّ، والذي يُعلنُ لي بأنّ الله هو شخصٌ، لأنّه هو الشخصُ الذي يُمكِنُه أنْ يكونَ واحداً مع شخصٍ آخرَ، وأن يُعْلِنَ عنهُ فقط. ومن جهةٍ أُخْرى فإنّه الحبُّ. الحبُّ الذي هو حبٌّ لا يعني ببساطةِ التّعبيرِ الإنجيلي أنّه مجرَّدُ إحساسٍ مترافِقٍ مع الأبديةِ، ولكنَّهُ مِلءُ الحياةِ التي هي أعمقُ من الإحساسِ بعَدَمِ الأمان، والذي غَلَبَ الموتَ، ويمكنُ أن يقدِّمَ ذاتَه للحياةِ وللموتِ دونَ خوفٍ.

لقد قُلْتُ مُسبَقاً كلَّ ما أودُّ قولَهُ عن الطّريقةِ التي يُشارِكُ بها يسوعُ الناصريُّ الذي ينتمي كليّاً إلى التّاريخ، وهو يسمُوْ في الوقتِ نفسِهِ فوقَ التّاريخِ بشكلٍ كاملٍ بألوهيّته، مؤثّراً في قَدَرِنا البشريّ بشكلٍ كاملٍ. ولكن ما أريدُ أنْ أتحدّثَ عنه هو حقيقةُ أنّنا لا نقولُ بأنَّ ابنَ الله قد أصبحَ ابنَ الإنسان، لكنّنا نُعلِنُ ونُؤمنُ ونُعاينُ أنّ اللهَ أصبحَ جسداً. الكلمةُ تجسَّدَ، وبتجسُّدِهِ أُشيرَ إلى حقيقةِ أنّ اللهَ لم يُصبحْ جزءاً من التّاريخ البشريّ أو القَدَرِ فقط، بل أصبحَ جزءاً من حقيقةِ هذا العالمِ الملموسةِ والمرئيّةِ والماديّة. المادَّةُ وجَدَتْ نفسَها في سرِّ التجسّد متّحِدةً بالألوهة. ما قُلْتُه سابقاً عن الإنسانِ يَكْمُنُ هنا. كَشَفَ اللهُ لنا سِرَّ التجسّدِ بأنّ الإنسانَ عظيمٌ جداً، لتمكّنه من الاتحادِ مع الله، دون التوقُّفِ عن كونه إنساناً بكلِّ ما لهذه الكلمةِ من معنىً، وأنّه واسعٌ ويحتوي الحضورَ الإلهيَّ، وأنّه – هناك في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

صميمِ أعماقِ كلٍّ منا – يحمِلُ ما سمَّاهُ رئيسُ أساقفةِ كانتربري بأنّ اللهَ كوَّنَ فَراغاً لا يُمكِنُ أنْ يملأَهُ شيءٌ من الأرضِ أو السّماءِ أو المخلوقات، ولكنْ اللهُ وحدَهُ يستطيعُ ذلك. لكنّنا هنا لا نرى عظمةَ البشريّةِ فقط، بل نرى كذلك العالمَ المادّيَّ المُعلَنَ لنا من خلالِ الحقيقةِ التاريخيّةِ لسرِّ التجسُّدِ. وحينَ اتّخذَ اللهُ جَسَداً، فإنّ هذا يعني أنّه في مِثالٍ للجسدِ البشريّ، الذي هو إنسانٌ يُدعى يسوعَ، وُجِدَتْ كلُّ ماديّةِ هذا العالمِ، وأُظهِرَتْ لتكونَ قادرةً على استيعابِ هذه السَّعَةِ وهذا العُمْقِ وهذه العَظَمةِ، لكي تَتَّحِدَ بالألوهةِ دونَ التّوقُّفِ عن أن تكونَ هي نفسُها. مع أنّها وَصَلَتْ إلى مستوىً فاقَ الخيالَ نفسَه بكلِّ ما لهذه الكلمة من معنىً.

لذلك نحنُ نكتشفُ بأنَّ المادّةَ – التي نُعامِلُها عادةً بطريقةٍ يَغلُبُ أن تكونَ غيرَ سليمةٍ، لأنّها شيءٌ عاجزٌ لا حياةَ فيه، وهي غريبةٌ عن عَظَمةِ الخَلْقِ – يمكنُ ألا تكتفيَ بأنَّها حاملةٌ للروحِ فقطْ، ولكنَّها حاملةٌ للهِ، وتَغمُرُها القداسةُ. هذا يُمكِّنُنا من رؤيةِ يسوعَ بالطّريقةِ التي أَعلَنَ فيها عن المادّةِ بمعجزةِ التّجلي. إنَّنا لا نرى النّورَ الإلهيَّ يَشُعُّ حولَ المسيح، لكن قد رأينا جَسَدَه يتوهَّجُ بالنّورِ الإلهيِّ. لقد شاهَدْنا ثيابَهُ تُصبِحُ أكثرَ بياضاً ممَّا يُمكِنُنا تخيُّلُهُ. إنّه مكّنَّنا من أن نرى أنَّ المادةَ ذاتَها قد امتلأَتْ بالحضورِ الإلهيِّ وتمجَّدَتْ لوقتٍ قصيرٍ. هذه هي الخلفيَّةُ لجوهرِ إيماننا باللاهوتِ الحقيقيِّ للقرابين المقدَّسة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وللرؤيّةِ الواقعيّةِ للأعجوبة. والطّريقةُ المُعتادَةُ التي يَتِمُّ فيها التفكيرُ بالعَجائِب، هي طريقةٌ بدائيّةٌ جداً من قِبَلِ أُناسٍ بدائيين.

يتخيَّلُ النـــاسُ بأنّهم، من خِلال سِـــعَةِ اطّلاعِهم العلميِّ الحديثِ، قد سَـــبَرُوا مفهومَ المادّةِ، مُتناسِينَ بأنّهم يأكُلون كلَّ يومٍ ويتكاثَرون ويَستَحِمُّون، وبأنّهم ضحايا خائِفون ومُتيقِّظون لكلِّ تغييرٍ في درجاتِ الحرارةِ. ما أعنيه بالمعجزةِ ليس شيئاً يفوقُ الخيالَ لأنّه لا يمكنُ حدوثَهُ، ولكنَّهُ شَيءٌ حادِثٌ الآن. إنّ الفارِقَ بينَ المُعْجِزةِ والسِّحرِ هو أنّ السِّحرَ يحتوي على فِعْلِ القُدرةِ الخارِقةِ، وعلى الاستِعبادِ، وعلى حِرمانِ شخصٍ ما من شيءٍ ما كالحريّةِ والاستقلاليّةِ، وأنْ يمتلكَ اتخاذَ قراراتِه بنفسه، وأن يُدافِعَ عن حقوقِهِ.

الأعجوبةُ هي بعكـــسِ ذلك، فهي تَظْهَرُ في عمـــلِ اللهِ الذي يتمُّ التّأمُّلُ به بـــالإيمانِ والرحمةِ الإلهيّةِ التي تُعيدُ تشـــكيلَ التّناغمِ المدمَّرِ والمَسْحوقِ. وفي جَوْهرِها هنالك رؤيةٌ واضحةٌ جـــداً للعهدين القـــديمِ والجديدِ، بأنّ كلَّ ما قد خَلَقَه اللهُ قد خَلَقَه للأبديّةِ وللخلودِ، وقد خَلَقَهُ ليسمعَ اللهَ وليُعاينَهُ وليطيعَهُ في الوصولِ إلى الكمـــالِ الذي هو بالحريَّةِ والطّاعةِ. وهذا ينطبقُ أيضاً على القرابين المقدَّســـةِ بطريقةٍ خاصّةٍ. في القرابين المقدَّسةِ نحن نؤمنُ بأنَّ ما يحدثُ هو أنَّ ماديّةَ العالمِ قد انفصَلَتْ عن الشرِّيرِ وعن الخطيئةِ وعن البُعدِ عن اللهِ، حيثُ كانَتْ كذلك بسببِ عدمِ إيمانِ الإنسان. وبفَضلِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الذَّبيحةِ المستَلَمةِ من قِبَلِهِ استعادَها اللهُ، وقد تحرَّرَتْ وعادَتْ إلى نقاوتِها الأُولى، وذلك بعملٍ إلهيٍّ أُنجِزَ وأُعلِنَ كما يجبُ أن يكونَ. والكنيسةُ تقومُ بجوهرِ هذا العمل من خلالِ مُبارَكةِ الخُبزِ والخَمْرِ، بحيث يُصبحان جَسَدَ ودمَ المسيح، وهو ما يعني تماماً بأنّنا نَرى فيها مادّيةَ هذا العالمِ بكلِّ جُزءٍ مِنْها، بكلِّ قَطْرةٍ مِنْها، وقد وصَلَتْ إلى تمامِها الذي هو هدفُ وغايةُ كلِّ الأشياءِ، وذلك بأن تمتلئَ بالحضورِ الإلهيِّ وحلولِ اللهِ الفعليِّ فيها.

هذا هو مَعْنى كلمةِ المسيحِ، التي تعني التجسُّدَ والتّاريخَ واتّخاذَ اللهِ الحيِّ للطَّبيعةِ البشريّةِ. إنّها تعني العلاقةَ الشخصيَّةَ التي تفتحُ رؤيةَ الإنسانِ على كلِّ شيءٍ مخلوقٍ، وأنّها تعني أيضاً بأنّ العالِمَ والطَّبيبَ وكلَّ من يتعامَلُ مع ماديَّةِ العالمِ هو كاهِنٌ، وإنْ لم يَعِ ذلك، فإنّه شخصٌ آخرُ قد خانَ رسالتَه البشريّةِ وبالتحديدِ رسالتَه المسيحيّةِ.

الكلمةُ الأُخرى التي ذَكَرْتُها هي الحبُّ. لقد قَرَأْنا في الكتابِ المقدّسِ أنّ اللهَ محبّةٌ، وقَرَأْنا فيه أيضاً بطريقةٍ تركيبيّةٍ أنّه يَتِمُّ توحيدُ شيئين لم يُعبَّرْ عنهُما في نصٍّ لاهوتيٍّ مع بعضِهما، وهو أنّ اللهَ واحدٌ في ثلاثةِ أقانيمَ، ويكونُ هذانِ الشيئانِ متطابقين. أرغبُ – وببضعَةِ كلماتٍ – أنْ أقولَ شيئاً ما عن الحبِّ، ثُمَّ سأحاولُ أنْ أُبيِّنَ علاقةَ مفهومِ الحبِّ هذا مع الثّالوثِ القدّوسِ الإلهِ الواحد.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نرى عادةً الحـــبَّ على أنّه أَخْذٌ وعَطاءٌ، وهذا صحيحٌ. ولكنْ قَبلَ كلِّ شيءٍ يجبُ أن ننتبهَ إلى أنّهُ ليس هو الأخْذُ والعَطاءُ فقط، بل إنَّ ما يجبُ أن نفهَمَه منه إنَّما يُوجِبُ أنْ يكونَ هناكَ شـــيءٌ أعمقُ وأنقـــى، شـــيءٌ أكثرُ صفاءً مِمَّا نتخيَّله عندما نُعطي وعندما نأخذُ. غالباً عندما نُعطي فإنَّ ذلك يكونُ لتأكيدِ ذواتِنا. نحنُ أغنياءُ لذلك، فنحنُ بأمانٍ. والبرهانُ على أماننا هو أنّه بإمكاننا أنْ نعطي. نحن فخورون وكرماءُ، لذلك نجـــدُ مُتْعـــةً في كَرَمِنا وعَظَمَتِنا لأنّهما يُعطيانا الحقَّ بأنْ نكونَ فخورين. وفي النهاية نحنُ الذين نأخُذُ، وبإمكـــاننا ذلك لأنَّنـــا مُصابون بالطَّمع. لكنَّ هذين العَمَلَين المُمثَّلَين بالعطاءِ والأخْذِ يجبُ، وحتّى يكونا عَمَلَين مسيحيَّين، أنْ يكونا متحرِّرَين من الشَّرِّ الذي أَشَرْتُ إليه. لا يُمكنُكَ أن تأخذَ بقلبٍ مفتوحٍ وبشكرٍ وفرحٍ كبيرٍ، ما لم تُحِبَّ الشـــخصَ الذي يُعطي، وما لم تَعلَمْ بأنَّ هذه العطيَّةَ هي علامةُ المحبَّةِ، ولا علاقةَ لها بالكبرياءِ وحُبِّ الذَّات.

لا يُمكنُكَ أن تُعطي بالطَّريقةِ السَّليمةِ إنْ لم يكنْ ذلك التزاماً داخليّاً منكَ، وليسَ تعبيراً عن حُبِّ الخدمةِ والعبادةِ والرّغبةِ. وهذه هي إحدى سماتُ الحبّ.

لكـــن الحبّ ليس هو هذا فقط. القديـــسُ غريغوريوسُ النزيزيُّ في القرنِ الرابعِ بحـــديثِهِ عن الله، حاولَ إيجادَ رابطٍ بين

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحبِّ والثّالوثِ القدُّوس، وذلك بتحليلِه للحبِّ البشريِّ بُغيةَ إيجادِ ذلك الرَّابطِ. لأنّنا إنْ كُنَّا نستخدمُ كلماتٍ بشريّةً وصوراً بشريّةً، فإنَّه من الضَّروري أيضاً أنْ نرى الروابطَ على الصَّعيدِ البشريِّ. إنّه يقولُ بأنّ الحبَّ الذي هو ببساطةٍ مجرّدَ عمليةٍ حسابيّةٍ ووحدةٍ عضويةٍ، لا يُسمّى (حُبَّاً) لأنّه حُبٌّ أنانيّ، إنَّهُ حُبُّ الذّاتِ. ثمّ يقولُ عن حُبٍّ بينَ شخصين: (يعتقدُ الناسُ بأنّ الحبَّ بين اثنين، زَوجَين، لا يَريان إلا بعضَهُمَا هو تمامُ الحُبِّ. ولكن ألا تَرى هنا أنّ هذه العاطفةَ والارتباطَ الكاملَ والهيامَ هي كنتائِجَ عنه؟). ثمّ يُتابعُ قولَه: (كَلاَّ، هذه فكرةٌ خاطِئةٌ، لأنّ هذا النوعَ من الحبِّ ضعيفٌ، لأنَّه مهما كانَتْ عمليةُ الأَخْذِ والعطاءِ بينَهما قويةً ونقيَّةً، إلا أنّ هذه العلاقةَ غيرُ مستقرَّةٍ).

التّاريخُ الأدبيُّ بأكملِهِ – وحتّى في تجربةِ حياتِنا – يُثبتُ بأنَّه متى ظَهَرَ شخصٌ ثالثٌ داخل حياتِنا سنكونُ عندها في حالٍ كوميديٍّ أو تراجيديٍّ. نكونُ حينَها إمَّا في حالٍ مشابهةٍ لحالةِ (عُطَيلْ) في مسرحيَّة شكسبير، أو كمثالِ أيّ زوجٍ مخدوعٍ أو زوجةٍ مخدوعةٍ. إنّها إمَّا مأساةٌ تنتهي بالموتِ والجريمةِ، أو كوميديا تنتهي بإثارةِ الضَّحِكِ بينَ المحيطين. ما يحدثُ هُنا هو أنّ ذلك الرَّابطَ المُزدوجَ، هذا الطَّريقَ ذا الاتجاهين للأَخْذِ والعطاءِ سينقطعُ ويتكسَّرُ، إنْ لم يكن مبنيَّاً على علاقةٍ صريحةٍ ومفتوحةٍ، وليسَ دائرةً مغلقةً تدورُ وتدورُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حولَ نفسِها. إنَّه عندما يظهرُ الشَّخصُ الثّالثُ في الرَّابطِ المزدوج تنشأُ علاقةٌ ثُلاثيّة. بحيث يُمكن تخيُّل عمليةِ الأخذِ والعطاءِ على شكلِ سهمَين يلتقيان مع بعضِهما، أو ينطلقان في اتجاهِ بعضِهما البعض. وينشأُ نوعٌ جديدٌ من العلاقةِ؛ فيبني الشَّخصُ الثّالثُ (القادِمُ الجديدُ) رابطاً ذهبياً للحبِّ غيرِ النَّظيفِ، للزِّنا مع أحدِهما، وينشأُ أيضاً رابطٌ دمويٌ من الكُرْهِ مع الآخرِ. إنّها علاقةٌ ثلاثيّةٌ معقَّدةٌ وليسَتْ هي صورةٌ للحُبِّ.

ما يُلِحُّ القديسُ غريغوريوسُ النَزيَنْزيُّ على قولِه هو أنَّ الحبَّ يتضمَّنُ صفةً ثالثةً، ليسَتْ محصورةً في الأَخْذِ والعَطاءِ فقط، ولكنْ تَظهَرُ في القُدرةِ على التَّضحيةِ. إنّ كلمةَ تضحيةٍ في لغتِنا تعني خسارةَ شيءٍ أو تجريدَكَ من شيءٍ. ولكنْ في اللاتينيّةِ واليونانيّةِ والسلافيةِ وكافةِ اللغاتِ القديمةِ، كلمةُ تضحيةٍ تأتي من كلمةِ (مُقدَّس) أو (مُكرَّس)، وهو ما يعني أنّك تجعلُ شيئاً ما مُقدَّساً؛ مُكرَّساً، وليس أنَّكَ تَخسَرُه. بالفعلِ، فأنتَ عندما تُقدِّمُ حياتَكَ لله، أو تُقدِّمُ هديّةً ما لله، فهي قد أصبحَتْ له ولم تَعُدْ مِلكُكَ، بل أصبحَتْ مُقَدّسةً بقداسةِ الله.

يجبُ أن نتذكَّرَ أنَّه عندما نتحدَّثُ عن التّضحيةِ فهُنا يَكمُنُ المركزُ (مركزُ الجاذبيةِ)، وليس هناكَ ما تَخسَرُه. إنَّ ما يحدثُ عندما تُقدِّمُ الخُبزَ والخمرَ كتضحيةٍ مُقدَّسةٍ وكاملةٍ، فإنّه هو تقديسٌ وليسَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ببســـاطةٍ خســـارَةً، لأنّه ليسَ هناكَ خسارةً. عندما نُقدِّمُ شيئاً لله يكونُ إعلاناً أنَّه حَصَلْنا عليه من الله، وبطريقةٍ أفضل يُمكنُنـــا أنْ نحصلَ عليه بأنفســـنا. "اطلُبْ ملكوتَ الله" يقولُ المسيح "وكلّ ذلك سيُزادُ لك" وليسَ "سيُؤخَذُ منك". هذا هو مبدأُ التّضحيةِ، التَّقديـــس، التَّقدمة التي تُعطى وتُقدَّمُ فقط كِفعلِ حبٍّ وليس للمكافأةِ.

الكلمةُ التي سأستخدمُها هي (إنكارُ الذَّاتِ)، أنْ تقبلَ بعدمِ وجودِك في موقفٍ أو حالةٍ مُعيَّنة، لأنَّه يوجدُ شيءٌ آخرُ أهمُ. وما أقصدُه هنا هو: يوحنّا المعمدان حينَ قالَ عن نفسه: "أنا صديقُ العريس" العروسُ ليستْ عروسَه، ولا حتّى العريسُ عريسُه، ولكن هذا هو حبُّهُ لكليهما بأنْ يجمعَهما سويَّةً. إنّه شاهِدُهُمَا ومرافِقُهما في حَفْلةِ العرسِ، يُحضِرُهما إلى غرفةٍ ليتقابلا وجهاً لوجه، لوحدِهما بعلاقةٍ كاملةٍ للرُّوحِ والجَّسدِ، ويبقى خارجاً مُستلقياً على عتبةِ البابِ، بحيث لن يتمكَّنَ أحدٌ من إزعاجِ سرِّ الحبِّ هذا.

فعلُ إنكارِ الذَّات هذا هو أمرٌ أساسٌ في الحبِّ. وإنْ لم يكن مثلُ هذا الفعلِ موجوداً في حُبِّنا، وغيرَ مقصورٍ على شخصٍ واحدٍ وإنَّما لكلِّ الأشخاص، ولكلِّ الأوضاع ولكلِّ الأشياء، فإنّ حبَّنا يَبقى ضعيفاً ناقِصاً. هذا أمرٌ هامٌّ جداً يجبُ أن نفهمَه لأنّ الله ثالوثيٌّ؛ ففيهِ نجدُ الفرحَ والتَّهليلَ بين ثلاثةِ أشخاصٍ يُحبُّون العطاءَ الكاملَ والأخذَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التَّامَّ، وبينَهم كذلك علاقةٌ ثالوثيّةٌ مقدَّسةٌ. إنْ استَخْدَمْتُ هنا هذا التَّعبير المجازي – ولا يَقِفُ أحدُهم في طريقِ الآخرِ – حيثُ كُلٌّ منهمْ يقبلُ في كلِّ لحظةٍ أن يختفي من أجلِ الاثنين الآخرين ليتَقابلا معاً. إنّها معجزةُ الاتِّحادِ الكاملِ كما يَتِمُّ في المناولةِ الإلهيةِ، حيثُ الاتِّحاد التَّام مع الله.

بالحديثِ عن الله يجبُ أن نأخذَ بعينِ الاعتبار الأشياءَ التي تحدثُ بتواقتٍ زمنيٍّ وبتتالٍ (تواترٍ) زمنيٍّ. الثلاثةُ يُعطُون بوقتٍ واحدٍ، والثلاثةُ يأخذون بوقتٍ واحد. الثلاثةُ يَضَعون في وقتٍ واحدٍ أنفسَهم في تلك الحالة، حيث أن الآخرَين سيكونان معاً. ولكن هذا بسببِ إنكارِ الذَّاتِ والتَّضحيةِ يعني الموتَ، والموتُ هنا يعني أنّ الصَّليبَ منقوشٌ في سرِّ الثَّالوث القدُّوس.

لنتحدَّثْ عن (عدمِ تَأثُّرِ الله)، والتي تُفهَم على أنَّها عدمُ قُدرةِ الله على الإحساسِ بأيِّ شيءٍ. لكن التّعبير لا يعني ذلك مُطْلقاً، بل يعني أنّه لا شيءَ يُفرَضُ على الله. فهو دائماً هادئٌ غيرُ منفعلٍ، وهو حيويٌّ على الدَوام. سِرُّ التَّجسُّدِ والموتُ على الصّليبِ، سيكونان عَمَلان فُرِضا على الله من الخارجِ ما لم يكن الصَّليبُ محفوراً في عُمقِ العلاقةِ الثَّالوثيّة في حياتِنا. في الحقيقةِ، وعلى العكس، إنَّه إسقاطٌ لأغنى وأقوى سماتِ سرِّ الحبّ على التَّاريخ البشريِّ من خلالِ سرِّ التَّجسُّد والموت، لأنَّه موجودٌ دائماً بحيث هو موتُ شخصٍ يقبلُ فناءَه من

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أجلِ الآخرِ. ولكن عندئذٍ سنقولُ: (هل الموتُ هو ما يوجدُ فقط في هذا السِّر؟ هل الموتُ فقط هو الذي يمكنُ لأحدِنا تَوَقُّعُه من الآخرِ إن كنَّا نُحبُّ بطريقةٍ كاملةٍ؟).

بالطَّبع كلا، لأنَّ هنالك شيئاً آخرَ فيه. ثَمّة قولٌ لغابرييل مارسيل الذي أشعرُ بأنَّه أحدُ أعظمِ مُفكّري المسيحيةِ في أيّامِنا. إنَّه يقولُ: (أنْ تقولَ لأحدٍ ما أنا أُحِبُّك، هو أمرٌ مساوٍ لقولِكَ له أو لها؛ أنتَ لن تموتَ أبداً). إنَّنا عادةً نحاولُ تأكيدَ وجودِنا، من أنَّنا نحنُ هنا، وذلك بأنْ نتجاوزَ عدمَ استقرارِنا، وأن نتفوَّقَ على شكِّنا وقلقِنا وعدمِ شُعورِنا بالأمانِ. إنّنا نميِّزُ أحدَنا عن الآخرِ بوضعِ سماتٍ مشتركةٍ: كالحجمِ واللونِ واللُّغةِ وما إلى هنالك. وهي كلُّها تسمَحُ لنا بالقولِ: (إنَّه ليسَ أنا). ولكنْ هذه هي حالةُ الفرديَّةِ، والفرديّةُ هي حالةٌ من التَّجزؤِ والتَّفكُّكِ.

ليسَتْ هذه هي موضوعيّةُ وذاتيّةُ الحبِّ. بل هي الكينونةُ التي تُشَكِّلُ ذواتَنا، والتي تجعَلُنا أنفسَنا منذُ الولادةِ وحتّى الشيخوخةِ، ومن الأرضِ إلى السماء. بحيثُ لا يستطيعُ الشّخصُ مقارنةَ نفسه أو نفسها بعكسِ ذلك بسببِ صفاتِه الموجودةِ فيه. ولكنْ إذا كُنْتَ تقبلُ الموتَ كفردٍ، كأحدٍ ما يحاولُ إثباتَ وجودِه عن طريقِ تميِّزِهِ عن الآخرِ، كيفَ بإمكانِكَ أن تحيا في حبِّ الآخرِ فقطْ؟ وهذا هو المفهومُ اللاهوتيّ للثّالوثِ القدُّوسِ، وذلكَ من خلالِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

رؤيةِ ثلاثةِ أشخاصٍ يحبّون بما يعني لهم بَذْلُ حياتِهم من أجل الأبديّة، من أجل حياةٍ لن تُؤخَذَ مِنهُم، لأنّهمْ يُعطُون حياتَهم ويُعطيهِمُ الآخرون الأبديّةَ.

إنّ هذا ما يسمّى بالطّريقةِ التجسيديّة للتحدُّثِ عن الثّالوثِ القدّوسِ. نَعَمْ إنّها كذلك، ولكن إعلانَ اللهِ يكونُ في تعابيرَ بشريّةٍ دائماً، لأنّه موجَّهٌ إلى كائناتٍ بشريّةٍ. والذي يمكنُ أنْ يكشِفَه اللهُ عن نفسه، يَتمُّ إنْ كانَ هناك توافُقاً بين الموضوعِ المعلَنِ للناسِ، وما أعلنَ اللهُ ذاتَه فيهِ فقطْ. كلُّ ما سيَتِمُّ إعلانُه يجبُ أن يكونَ التّعبيرُ عنهُ بكلماتٍ بشريّةٍ ممكناً. الأمرُ الذي نَنساهُ، والذي يجعَلُنا نُقدِّمُ صورةً صغيرةً لله، ممّا يجعَلُه غيرَ مقبولٍ لدى كثيرٍ من المسيحيين وغيرِ المسيحيين، وذلك لأنّنا نعتقدُ بأنّ اللهَ لَيسَ إلا ما نقولُهُ نحنُ عنه.

بينَ الرَّجُلِ وزوجَتِه هنالكَ ما يُدْعَى تجاوزٌ لمفهومِ شخصَين إلى معنىً أعظمَ. وقد قالَ كاتبٌ ألمانيٌ ما يلي حولَ هذا الأمر: (في الزواجِ، الاثنانُ يُصبحان واحداً، بحيث تكونُ هناك شخصيةٌ واحدةٌ في شَخْصَين). وهنا يَكمُنُ سرُّ الله الذي هو سببُ تواصُلِنا ووراءَ مشارَكَتِه لنا، والذي هو بحدِّ ذاته أمرٌ لا يُصدّق. بهذه الطريقة سنَرى أنّ اللهَ هو أكبرُ وأضخَمُ من أنْ يُوضَعَ ضِمنَ الإطارِ والصّورةِ التي نملِكُها. ولكنَّ كلَّ هذه الأُطُرِ واللوحاتِ تنتمي أيضاً إلى سرِّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الكَشْف. إنّ إلهاً مثلَهُ هو بالنّسبةِ لنا فائقُ السُّموّ على كافةِ المستويات، وبنفسِ الوقتِ هو إعلانٌ بشريٌّ. هو عظيمٌ كما الإنسانُ، ونحنُ عظماءُ مثلُهُ. إنّهُ ينتمي إلى بشريّتِنا ومأساتِنا بكليّتِنا، ونحنُ ننتمي إلى تمامِ مجدِهِ وقُدرَتِهِ، إلى قداستِهِ، ولكنّنا لا نمتلكُ كلَّ هذا لأنّنا لا نزالُ على الطّريق.

إنْ كُنّا نُفكّرُ بهذهِ الطّريقةِ، ولدينا هذا المفهومُ عن الإنسانِ والتّاريخِ البشريِّ والأشخاصِ الفرديّين، وحولَ المادّةِ والعِلْمِ والتكنولوجيا، وعن الرّوحِ البشريّةِ والآدابِ الإنسانيّةِ، عندئذٍ ستتكوّنُ لَدَيْنا رؤيةٌ عن الكونِ واللهِ الموجودِ فيه والذي هو خالِقُه، والذي بإمكانه أنْ يُلهِمَنا لنكونَ خلاّقين. كما أنّنا نتعبّدُ الله بفرحٍ وذهولٍ، لأنّه أعطانا مثلَ هذه الحريّةِ الرائعةِ لأنْ نكونَ نحنُ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القَداسةُ والصّلاةُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القَداسةُ والصّلاةُ†

مِنَ الضّروريِّ أنْ نُدرِكَ بأنَّ هُناكَ قُطبَين لمفهومِ القَداسَةِ، (اللهُ والعالَمُ). مصدرُ هذه القداسةِ ونقطةُ ارتكازِها ومحتواها هو الله، ولكنْ نقطةُ تأثيرِها، والمكانُ الذي تعملُ فيه حيثُ تطوّرَتْ، وتمّ التّعبيرُ عنها من منطلقِ الخلاصِ بالمسيح، هو العالَمُ؛ هذا العالَمُ الغامِضُ الذي خَلَقَهُ اللهُ وأحبَّهُ بحيثُ أرسَلَ ابنَهُ الوحيدَ لأجلِ خلاصِه، كانَ من جهةٍ أُخْرى قد سَقَطَ في عبوديةِ الخطيئةِ والشَّرِّ. إنّ لهذه القداسةِ التي تخصُّ العالم سِمتان؛ السِّمةُ الأولى: رؤيةُ العالمِ كما يُريدُه الله أن يكونَ وكما يُحبُّه، وفي الوقتِ نفسه، التزامُنا بالزُّهدِ والتُّسْكِ الذي يتطلَّبُ منّا أنْ نُحرِّرَ أنفسَنا من العالمِ، ونُحرِّرَ العالَمَ من قبضَةِ الشيطان.

السِّمةُ الثّانيةُ: أنَّ هذه المعركةَ هي رسالتُنا ومَهَمَّتُنا، وهي جزءٌ وعنصرٌ أساسيٌّ من القداسةِ. إنّ آباءَ الصّحراءِ والنُّسَّاكَ الأوائلَ، لم يَتركوا العالَمَ للسببِ الذي يدفعُ الإنسانَ العصريَّ للهروبِ من عالمِهِ لإيجادِ برِّ الأمان، وإنَّما تَركوهُ لكي يَهزِموا الشَّرَّ في هذه المعركةِ، وبنعمةِ الله وقوةِ الرّوحِ القُدُسِ كانوا يُشارِكون في هذه المعركةِ.

---

† حديثٌ أُلقي في مدينةِ لوفين عام 1969م.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ أحدَ الأسبابِ الذي يجعَلُ طريقنا إلى القداسةِ غيرَ مُستَقِرٍ، وتجعلُ قداسةَ الآباءِ والقدّيسينَ الأوائلَ تبدو بعيدةَ المنالِ، هو أنّنا فَقَدْنا رغبةَ المشارَكةِ في هذهِ المعركة.

إنّ مفهومَ الكنيسةِ بكونها نافذةُ الملكوت، حيث يُلقي العالمُ بضعفاتِهم اللامحدودةِ بين يَدَيْ الله، وهم على يقينٍ بأنَّ قُدرةَ الله ستُقَوّيهِمْ. وكذلك فإنّ المفهومَ بأنّ الكنيسةَ هي كجسدِ المسيحِ، الذي لم تُؤخَذْ حياتُه منهُ وإنّما هو أعطاها لنا، قد أصبحَ نادِراً بين المسيحيين.

غالباً ما نُلاحِظُ أنّهُ عندما يتعرّضُ مجموعةٌ من الناس، أو إنسانٌ بمفردِه، للخطرِ، فإنّهم يتوجّهون إلى السيّد قائلين: (يا ربّ ساعِدْني، احمِني، خلِّصْني، نَجِّني). هذه هي الصّورةُ التي نَقَلها لنا الكاتبُ البولونيُّ (سينكوفيتش) منذ عدّةِ سنواتٍ في كتابهِ (*كيوفاديس*)، التي يُغادِرُ فيها القدّيسُ بطرسُ روما في زمن الاضطهادِ، وعندَ بوابةِ المدينةِ يُقابِلُ المسيحَ ويسأَلَه: "إلى أينَ تذهبُ يا ربّ؟" فيُجيبُه السيّدُ: "أنا عائدٌ إلى روما، لأتعذَّبَ وأموتَ هناك حيثُ إنّك مُغادِرٌ!". أليسَ هذا ما نتوقَّعُه باستمرارٍ من الله؟ أليسَ هذا هو طلبُنا المُلِحُّ واليائسُ من الله عندما نقعُ في الخطرِ (نَجِّني يا ربّ). عندما تحدَّثَ داوودُ النبيُّ في المزاميرِ عن النّجاةِ، كانَتْ حالَتُه مختلفةً عن وضعِنا. هو ينتمي للعهدِ القديم، ونحنُ ننتمي للعهدِ الجديدِ حيثُ نحنُ جسدُ المسيحِ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وهيكلُ الرّوحِ القُدُس. لقد أرسَلَنا اللهُ إلى العالمِ بابنه مثلَما أرسَلَ ابنَهُ إلى العالم.

لذلكَ فإنّ هناكَ اختلافاً في مفهومِ القداسةِ لا يَبدأُ من وقتِنا الحالي، بل إنّه عاصَرَ العديدَ من الأجيالِ المسيحيّةِ. وهذا ما يجبُ علينا أنْ نواجهَه، لأنَّ القداسةَ هي غايتُنا ورسالتُنا المطلقةُ، ولأنّ عَيْشَ القداسةِ بتأمّلٍ ليسَ هُرُوباً، ولأنَّ المبدأَ المادّيَّ في عصرِنا هذا، والذي يُحاولُ أنْ يكونَ مُستَقِلاً عن التأمُّلِ كي يُصبحَ قِيْمَةً مُستقلّةً بحدِّ ذاتِه، يَنقصُهُ مُحْتَوى القداسةِ الكاملةِ، التي يجبُ أن تكونَ موجودةً في القداسةِ المسيحيّةِ، لأنَّ مضمونَ القداسةِ هو اللهُ بحدِّ ذاتِه.

إنْ كُنْتَ تَرغَبُ بإجراءِ دِراسةٍ أعمقَ حولَ مفهومِ القداسةِ في العهدِ القديمِ، يمكنُ العودةُ بسهولةٍ إلى جدولٍ مُرتّبٍ أبجدياً لمصطلحاتِ الكتابِ المقدّسِ. حيثُ ستَجِدُ هناكَ كلَّ ما تمّ أخذُه بعينِ الاعتبار في كلِّ أيامِ ما قبلَ المسيحِ. وسأقومُ في عَرضي هذا باختيارِ فِكرةٍ أو اثنتين دونَ تناولِ الموضوعِ بشكلٍ كاملٍ.

اللهُ وحده قدّوسٌ. أنْ نقولَ إنّ اللهَ قُدّوسٌ لا يعني أنّه يملكُ القداسةَ كصفةٍ مَنسوبةٍ إليهِ، لأنّنا لا نعرفُ هذه الصّفةَ مجرّدةً. إنّ قولَنا (اللهُ قُدّوسٌ) لا يكونُ تَعريفاً لهُ، لأنّ القداسةَ غيرُ معروفةٍ لنا بحدِّ ذاتِها. إنّنا نُدرِكُها بالتّدريجِ بحسبِ قُرْبِنا من اللهِ ومَعرفتِنا به. بالنسبةِ لإسرائيلَ كانَتِ القداسةُ (خوفَ اللهِ) المرتبطَ بالاحترامِ، تماماً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كالإحساسِ بالانفصالِ المُطلَقِ: اللهُ بالمطلَقِ في العهدِ القديمِ فوقَ كلِّ شيءٍ، وسببُ كلِّ شيءٍ. حتّى عندما يكونُ اللهُ معروفاً فإنّه يبقى غيرَ مُدرَكٍ، وحتّى إنَّه عندما يقتربُ منّا يبقى بعيداً، وحتّى عندما يتحدّثُ إلَينا فهو لا يزالُ فوقَ كلِّ وسائِلِ الاتّصالِ. الاقترابُ منهُ خَطِرٌ؛ إنّه النّارُ التي تَحرُقُ، لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يُعاينَ اللهَ ويبقى حيّاً. تُبيِّنُ لنا هذه الصورُ كلُّها مواقفَ الناسِ المدرِكين لمفهومِ قداسةِ الله، والذين عاصَروا اللهَ الحيَّ وعاشوا معه.

إنّ التّغييرَ غيرُ الممكنِ تَصوُّرُ حدوثِه في العهدِ الجديدِ، هو أنّ الذي كانَ يتعذَّرُ الوصولُ إليهِ أصبحَ ممكناً؛ فاللهُ الفائقُ القدرةِ تجسّدَ وسَكَنَ بيننا، والقَداسةُ – التي تجاوَزَتْ كلَّ مَفْهومٍ بَشريٍّ والتي كانَتْ انفِصالاً – صارَتْ مُختَلفَةً تماماً. صارَ مُمْكناً أنْ تُصبحَ قداسةُ اللهِ الكليّةُ قريبةً منّا جدّاً دونَ إدراكِ جَوْهَرِها، وأصبحَ من الممكنِ الوصولُ إليهَا دون أنْ نكونَ قادرين على امتلاكِها، أصبحتْ كالجمرةِ المُشْتَعلةِ فينا دونَ أنْ تَحرِقَنا. وفي هذا السِّياقِ يُمكِنُنا أنْ نفهمَ كلماتِ القدّيسِ بطرسَ في رسالتِهِ الجّامِعة، إنّنا مدعوون لِنكونَ شُركاءَ في الطّبيعةِ الإلهيّةِ (2بط1:4)، نرى في المسيح ما يُمْكِنُ أنْ يَكشِفَ لنا اللهُ عنهُ، والذي لا يمكنُ لأيِّ كائنٍ بشريٍّ أنْ يتخيّلَه: (تجسُّدُ الطّبيعةِ الإلهيّةِ في جسمٍ بَشريٍّ). هنا جَوهرُ القداسةِ التي أصبحَ من الممكنِ الوصولُ إليها عَبرَ التجسُّدِ. ولكنَّ هَذا لا يُقلِّلُ من

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

شأنِ جوهَرِ اللهِ الغامِضِ وصفُه، لأنّه من الأسهلِ لنا فَهْمُ أو تَصوُّرُ إلهِ العظمةِ والنّقاءِ من فَهْمٍ أو تصوُّرِ إلهِ التجسّدِ. وعندما نرى مغارةَ الميلادِ في مُخيّلتِنا، أو من خلالِ أشخاصِ المغارةِ، ونستطيعُ أنْ نُمسكَ ابنَ اللهِ بأيْدينا، فإنّه هناكَ يَحضُرُ سِرٌّ يُواجِهُنا، أكبرُ مِمّا هو عليه سِرُّ إدراكِ اللهِ الغامِضِ وصفُه. كيفَ يُمكِنُنا إدراكُ أنَّ الأبديّةَ والخلودَ موجودان هنا بعُمْقِهما بشكلٍ غيرِ منظورٍ، وهما موجودان في جَسَدٍ بَشريٍّ ضعيفٍ في نفسِ الوقتِ، والذي هو هشٌّ وشفّافٌ أمامَ حضورِ اللهِ؟

هنا جوهرُ القداسةِ، لأنّ قَداستَنا لا يُمكنُ أن تكونَ إلا تَشارُكاً مع قداسةِ اللهِ، وهذا ممكنٌ فقط من خلالِ المسيحِ، بالرّغم من إدراكِ العهدِ القديمِ لمفهومِ القداسةِ المخلوقةِ في هذا العالَمِ المخلوقِ.

كلُّ شيءٍ خَلَقَهُ اللهُ هو مِلكٌ له (مثل تابوتِ العهدِ والإنسانِ والمكانِ المقدّسِ) ويُشاركُه بطريقةٍ أو بأخرى في القداسةِ، ويُصبحُ موضوعاً لخوفِ اللهِ المرتَبطِ بالاحترامِ. هناك قداسةُ الحضورِ الإلهيّ؛ وكما في المعبَدِ فهناكَ قداسةٌ لأولئكَ الناسِ الموجودين في أماكنِ حضورِ القداسةِ، كشَعْبِ اللهِ المختارِ الذين هم مكانُ حضورِ اللهِ نفسِه. ولكن مكانَ الحضورِ هذا والذي كان مَعْبَداً حيّاً لا يُشارِكُ في قداسةِ اللهِ بصورةٍ شخصيّةٍ في كلِّ عضوٍ من أعضائِه على حِدَةٍ. بل إنّه مُؤَخَّراً فقطْ، وفي كنيسةِ اللهِ الحيّ، أصبحَ مكانُ الحضورِ الإلهيّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هو أيضاً مكانُ الحضورِ الشّخصي في كلِّ شخصٍ ومن خلال كلِّ شخص؛ إنّها الكنيسةُ، جَسَدُ المسيحِ، الكنيسةُ التي أسَّسَها المسيحُ في العشاءِ الأخيرِ قبلَ القيامةِ، وصارَت حياتُها في الرّوحِ القُدُسِ الموجودِ فيها والذي يُعنىَ بها. وهي الكنيسةُ التي يأخذُ أفرادُها نعمةَ الرّوحِ القُدُسِ في يومِ العَنصَرةِ أيضاً، والتي باستمرارِ هذا السرّ فيها عَبْرَ القرونِ صَارَتْ هَيْكَلاً للهِ الحيِّ. ولا تَرتَبطُ هذه الكنيسةُ بالمسيحِ فقط، بل أصبَحَتْ جَسَدَهُ، وبالرّوحِ القُدُسِ صارَتْ كنيستَهُ، وكذلك مع كلِّ شخصٍ بفَرادَتِهِ الخاصّةِ هو مُرتبطٌ مع الآبِ من خلالِ ابنِه الوحيدِ. يقولُ القديس بولس: "حياتُكَ مُخبّأةٌ في اللهِ مع المسيحِ". هذه العلاقةُ بينَ المسيحِ وبينَنا، هذا الرابطُ بينَ اللهِ الذي هو وحدَهُ قدّوسٌ وبين مخلوقاتِه، هذا الحضورُ للخلودِ والأبديّةِ اللتين هما للهِ، هذا كلُّهُ هو المشارَكَةُ الحيّةُ والحقيقيّةُ في القداسةِ الإلهيّةِ، وهي صفاتُ الكنيسةِ، أو على الأقلِّ الصّفاتُ الأكثرُ أهميّةً. أنا أؤمنُ بأنّ الكنيسةَ مقدّسةٌ، ليسَ لأنّها ببساطَةٍ مُبارَكَةٌ ومُكرَّسَةٌ بالنعمةِ. وإنّما مقدّسةٌ بعُمْقِها وفَعَاليّتِها التي تفوقُ كلَّ المقاييسِ، مقدّسةٌ بقداسةِ اللهِ الذي يُقيمُ فيها، بنفسِ الطّريقةِ التي تتوهَّجُ فيها قِطعَةُ الخشبِ عندَ وضعِها في النّارِ التي تأكُلُها. وهذه القداسةُ هي الحضورُ الإلهيُّ في الكنيسةِ. لذلكَ فإنّ الكنيسةَ، بعلاقتِها مع اللهِ، يُمكِنُها أنْ تَكتَسِبَ وتعيشَ القداسةَ فقطْ بواسِطَتِهِ وفيهِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

من جهةٍ أُخْرى، وعندما أصبحَ اللهُ إنساناً حلَّتْ قداستُهُ في جَسَدِنا وفي حياتِنا وفي خلاصِنا، وحتّى الآنَ ومن خلالِ سرِّ التجسُّدِ، فإنَّ الكنيسةَ أصبحَتْ تُشارِكُ في الأبديّةِ وفي قداسةِ الله، وبنفسِ الوقتِ في خلاصِ العالم. يجبُ على قداسةِ الكنيسةِ أن تَشُقَّ طريقَها وسَطَ العالمِ كمَثَلٍ للحبِّ المصلوب، بحضورٍ حيٍّ وفعّالَ. وبشكلٍ أساسٍ إنّها القداسةُ وحضورُ الله اللذَيْن يجبُ أنْ يَظهَرا في العالم. هذه هي غايتُنا وهذا هو ما نحنُ عليه، وإنْ لم نَكُنْ كذلك، فنحنُ بعيدون عن هذا السِّرِّ الذي ندَّعي بأنّنا نَمتَلِكُه، وأنّنا شركاءُ فيه.

على أيّةِ حالٍ، من الضّروري تحديدُ مكانةِ الكنيسةِ والمسيحيِّ في العالمِ. ويبدو لي أنّ هنالِكَ طريقتين فقطْ لتحقيقِ ذلك؛ فمن جهةٍ يمكنُ أنْ نحاولَ معرِفَةَ كيفَ كانَتِ القداسةُ فيما مضى، ومن جهةٍ أخرى يمكنُ أنْ نحاولَ فَهْمَ ما هو العالمُ بالنّسبةِ لله، وما هو اتحادُ الله مع العالمِ الذي خَلَقَه، وذلِكَ من خلالِ شَخْصِ المسيحِ والمحبّةِ الإلهيّة.

أنا أعتقدُ بأنّ دراسةً دقيقةً لِسيَرِ القدّيسين، ستبينُ لنا بسهولةٍ بأنّ القداسةَ – وعَبْرَ العصورِ – كانَتْ هي التّعبيرُ عن الحبِّ. فيما وَصَلَ إلينا من تاريخِ الكنيسةِ الروسيّةِ الغَنِيِّ – من حوالي ألفِ سنةٍ منذُ أنْ أصبَحْنا مسيحيين – يُمكِنُنا أنْ نلاحِظَ شيئاً مُهِمّاً للغايةِ، لقد تغيّرَتْ مظاهرُ الوَرَعِ والتّقوى خلالَ العصورِ دون أنْ تَخبوَ منذُ نَشأَتِها، وقد عبّرَتْ هذه التّغييرات على مَرِّ السِّنينَ عن الطّريقةِ التي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أَحَبَّ فيها اللهُ العالَمَ في قلوبِ المؤمنينَ. وبالمرورِ على تاريخِ الكنيسةِ الروسيّةِ – الذي أَعرِفُه جيداً – أرى أنّه في البدايةِ كانَ هناكَ فِعْلُ إيمانٍ؛ إنسانٌ أو مجموعَةٌ من المؤمنين هم الذين آمَنُوا ونَقَلُوا اللهَ إلى الناسِ حولَهُمْ. القدّيسُ فلاديميرُ أميرُ كييف آمَنَ. ولأنّه آمَنَ بحرارةٍ وبشكلٍ جوهريٍّ، دَخَلَ المسيحُ في تاريخِ إمارَتِهِ، وبدأَ البنيانُ الاجتماعيُّ والبشريُّ بالتغيُّرِ والتحوُّلِ. ولكن لم يكنْ لَدَيْه أيَّ هدفٍ اجتماعيٍّ أو دينيٍّ على المدى المنظورِ، فهو ببساطةٍ لم يكن يستطيعُ العيشَ إلا بما تعلَّمَهُ من اللهِ نفسِهِ.

ولأنّ هذا الإنسانَ آمَنَ برسالةِ الإنجيلِ فقط، فإنّ العلاقاتِ والبنيانَ الدّاخليّ في إمارَتِهِ قد تغيَّرَ. ومن الهامِّ أنْ نُلاحِظَ هذا التّغييرَ في فترةٍ لم يكنْ فيها بالتّأكيدِ أيُّ حَديثٍ عن الأمانِ الاجتماعيِّ، أو عن حكومةٍ مسؤولةٍ عن مواطِنيها! نرى في البدايةِ هذا الإنسانَ الذي كانَ إنسانَ حربٍ وعنفٍ، وكان قويّاً وزعيماً عشائريّاً قد توقّفَ عن الحربِ، وفَتَحَ السُّجونَ وأَعلَنَ عن مسامحَتِهِ باسمِ المسيحِ. نحن نرى في فلاديميرَ هذا الإنسانَ الذي لم تكنْ حياتُه قريبةً من القداسةِ بأيٍّ من نواحيها، قد تغيَّرَتْ ذاتَ ليلةٍ بوضوحٍ وبشكلٍ جذريٍّ. وبهذا واجَهَ شعبَهُ بتخييرِهم بينَ البقاءِ على الرؤيةِ القديمةِ أو بإتّباعِهم الرؤيةَ الجديدةَ. لقد أَخَذَ اختيارُهم للجديدِ يَتبدّى في بنيةِ هذه المدينةِ الفقيرةِ (كِييف)، والتي لم تكن سوى سوقِ بَلْدَةٍ صَغير. لقد أصبحَ الفقراءُ والمرضَى وكبارُ السّنِّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فجأةً موضعَ الاهتمامِ. كافّةُ الفقراءِ الذين لم يكنْ بإمكانهم السّيرَ أصبَحوا يَتَلَقّون وَجَباتِ طعامِهم في ساحاتِ قصرِ الأميرِ. وبالنِّسبة لأولَئِكَ الطّاعنين في السّنّ، الضُّعفاءِ والمقعَدِين، كانَ الأميرُ يُرسِلُ لهم عَرَباتٍ محمّلةً بالخُبْزِ والموادِ الغذائيّةِ عَبْرَ المدينةِ والقُرى المجاورةِ. وهنا لَدَينا صورةٌ مميّزةٌ عن التحوُّلِ الاجتماعيِّ يمكنُ أنْ تُقارَن بما لدينا في وقتِنا الحاضِرِ، لأنّها تُعبِّرُ عن تغييرٍ في العاداتِ الفكريّةِ، أكثرَ تَشويقاً وأكثرَ أهميّةً من التطوّراتِ والتّحسيناتِ التي نقومُ بها من يومٍ لآخَر، وفقَ عقليّةٍ موجودَةٍ أَصْلاً لَدينا. هذه هي الصّورةُ الأولى: الحياةُ والمحبّةُ الفعّالةُ وخِدمَةُ المسيحِ.

ثُمَّ، وبعدَ وقتٍ قصيرٍ شَهِدْنا زمنَ الشّهادةِ، نَوْعاً خاصّاً من الشّهادةِ. لا شَكَّ في أنّ الكنيسةَ الروسيّةَ، مِثْلُها مثلُ كافّةِ الكنائِسِ الأخرى، عَرَفَتْ شهداءَ من أجلِ الإيمان. أولَئِكَ الذين كانوا يُبَشِّرون بالإنجيلِ للقبائِلِ التي كانَتْ لا تَزالُ وثنيَّةً، والذين ماتوا من أجلِ رسالتِهم التّبشيريّة. لقد كانَ من بينهم اثنان قد عبَّرُوا عن أحدِ مظاهرِ القداسةِ التي ندعوها (اجتماعيّةً). كانا أميرين، واسمُهُما (بوريس وغِلِب)، وكانَ معهم شخصٌ ثالِثٌ اسمُهُ (إيغور). إنّهم الذين اختارُوا أنْ يَتخلّوا عن نفوذِهم وإمارَتِهم وحياتِهم، بدلاً من استخدامِ القوّةِ والسّيف. لقد اختاروا أن يُقْتَلوا عِوَضاً من أنْ يَتسبَّبوا بإسالةِ الدِّماءِ. وكان هذا مثالاً للقداسةِ المعاصِرَةِ في زمنِ العُنفِ أيضاً، حيث

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تحطَّمَتْ جميعُ أشكالِ العنفِ وأخذَتْ وَضْعاً جَديداً. ونُلاحِظُ هنا أيضاً أنّ الإنجيلَ قد خَلَقَ حالةً من الحبِّ، والحبُّ وحدَهُ هو الذي يميِّزُ القداسةَ في هذا الوضع. في العصورِ المظلِمةِ التي تَمَّ فيها غَزوُ روسيا لثلاثةِ قرونٍ، وسَقَطَتْ تحتَ نيرِ الاحتلالِ المغوليِّ، في هذا العصرِ نجدُ فقطْ مظهَرَين من مظاهِرِ القداسةِ؛ أحدُهما للأساقفةِ، والآخرُ للأمراءِ. وكلاهما يُعبِّران عن نفسِ الشيءِ. إنّ قداستَهما تَظهَرُ في حقيقةِ أن كِلَيهما يَحمِلان على عاتقِهما الدّفاعَ عن الناسِ الملتزمين بهما، والقيامَ بحمايتِهم وبَذْلَ حياتِهما في سبيلِهم. في ذلك الوقت أصبَحَتْ كافّةُ مظاهِرِ القداسةِ الموجودةِ مُشتَّتةً؛ القداسةِ، الرهبانيّةِ، وغيرها. بعدَ ذَلِكَ بَدَأَ انتشارٌ حقيقيٌّ للقداسةِ. إنّ أولَئِكَ الذين يُضَحُّون بحياتِهم من أجلِ الآخرين، ويَتَحَمَّلُون مسؤوليتَهم الحقيقيّةَ بحسبِ صورةِ الملوكِ والكهنةِ الموجودةِ في العهدِ القديم، قد أَدرَكوا أنّه في عمرِهم هناكَ ما يُسمّى بالأوقاتِ الأفضلِ، فإنّ رؤساءَ الكنيسةِ والحُكّامَ قد نَسَوا بأنّهم يَقِفون على عتبةِ عالَمَين، عالَمِ البَشَرِ، وعالَمِ اللهِ. العالَمُ الإلهيُّ المنظَّمُ والمتألِّقُ الذي سيقودُ إلى خلاصِ وكمالِ كلِّ الأشياءِ، وعالَمُ العُنفِ البَشريّ المشتّتُ والمفكَّكُ الذي سيكونُ في مواجهةِ عالمِ اللهِ. وأنّ دورَهم كانَ أنْ يُعيدوا جَمْعَ كِلا العالَمَين سَوِيّةً، وأنْ يُضَحُّوا بحياتِهم لإنجازِ هذا العملِ. وهنا نرى أيضاً أنَّ الحُبَّ هو ما يقودُ إلى هذا العملِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّه ليسَ اختراعاً جديداً في مفاهيمِ القداسةِ، وليسَ هو مجرَّدُ بحثٍ عن القداسةِ المؤقتةِ. إنّه ببساطةٍ استجابةٌ للقداسةِ الموروثةِ في الكنيسة، للحبّ الذي أعطاهُ اللهُ لكنيستِه التي وَجَدَتْ شَكلاً آخرَ للتّعبير. لم يكن ذلك هو وقتُ التّراجعِ إلى البريّةِ واختيارُ شرعيّةٍ جديدةٍ، بل وقتُ ظهورِ مظاهرَ مختلفةٍ للقداسةِ، لقد كانَ زمنُ التّضحيّةِ بالحياة.

انسحَبَ المغولُ ودَخَلْنا في فترةِ أزمةٍ وطنيّةٍ، حيث تتحوّلُ المعاناةُ السّابقةُ إلى ثِقَةٍ. وعلى الرّغمِ من أنَّ هذه المعاناةَ كانَتْ تُفكِّكُ الأمّةَ وتُدمِّرُ كلَّ إمكانيّةٍ حَيَّةٍ، إلاّ أنّه كانَ من الممكنِ احتمالُها. لقد بَدَأَتْ حينَذاك المشاكِلُ – وخاصّةً الداخليّةُ – التي لم يَتِمَّ التّعرّضُ لها بعدُ؛ اللهُ والمعاناةُ، الرُّعبُ من عالمٍ يمكنُ أنْ يكونَ مُخيفاً جدّاً، ومن ثَمَّ ولادةُ الأملِ والبَحثُ عن طريقِ هذا الأملِ. في هذا الوقتِ نَرى عظماءَ الحياةِ الروحيّةِ، واحِداً تِلوَ الآخرَ، مُتَخَلّين عن كلِّ شيءٍ مهما كان، ومُنسَحِبين إلى الغاباتِ في شَمالِ ووَسَطِ روسيا للبحثِ عن اللهِ هناك. هؤلاء الناس تركُوا كلَّ شيءٍ، لأنَهم أَدرَكوا أنّه بالعذابِ والفَوضى والبحثِ الأرضيّ فقط، لَن يَجِدوا إجاباتٍ لكافّةِ مشاكِلِهم المعاصِرَة. لقَد تَخَلَّوْا عن كلِّ شيءٍ ليَكُونُوا قُرْبَ اللهِ. وهذا لم يكنْ بالتّأكيدِ لتحقيقِ هَدَفٍ اجتماعيٍّ في ذلك الوقتِ. لقد كانَ عَلَيهم إيجادُ روحِهم مرةً أُخْرى، حتّى يَتِمَّ إيجادُ روحِ النّاسِ، روحِ الأمّةِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وروحِ المعاصِرين لهمْ. لم يَكونوا في رِحلَةٍ، بلْ إنّهم اختارُوْا حياةً شاقّةً ومُجهِدَةً، ومن السُّخريةِ اعتبارُ ذلك هُروباً. إنّ ظروفَ العيشِ في غابةٍ في شمالِ روسيا في ذلك الوقتِ؛ كالجوعِ، البَرْدِ، والخَطَرِ الجَسَديّ من الحيواناتِ المتوحِشةِ، يَجعَلُنا نُدرِكُ أنّ تلكَ الحياةَ لم تكن سهلةً ومُريحةً. لقد بَحَثوُا عن الله فقطْ، وقد وَجَدوه في أعماقِ روحِهم التي تَخضَعُ له. لقد بَحَثوا عنه فقط، ولكنَّهمْ في الوقتِ نفسه أصبَحَتْ مَحَبَّتُهم أعمقَ وأعمقَ، وهو ما جَعَلَهم يُرَحِّبون بكلِّ أولَئِكَ الذين اختاروا هذا النّوعَ من الألمِ للبحثِ عن الخلاصِ واحِداً تِلوَ الآخر. أَخَذَتِ الأديرةُ بالنُّموِّ حولَهم، وذلك بفضلِ عَمَلِ المحبّة. ثُمَّ بَدَأ مجتمعُ المساعَداتِ والأعمالِ الإنسانيّةِ بالظُّهور. وسأُعطي مِثالَين مُتعارِضَين دراميّاً حولَ ذلك.

في القرنِ الخامسَ عشرَ، عاشَ في شمالِ روسيا وخلفَ نهرِ الفولغا، أحدُ عُظَماءِ القدّيسين الرّوس؛ القدّيسُ (نيلُس) مع بعضِ رُفَقائِهِ في منطقةٍ مستنقعاتٍ معزولةٍ. لقد عاشوا في فَقْرٍ مُدقِعٍ. وقد قالَ القدّيسُ نيلُس: إنّ على الراهبِ أن يكونَ فقيراً بحيثُ لا يستطيعُ أنْ يقدِّمَ أكثرَ من قطعةِ خُبزٍ للآخرين، ولكنّه يجبُ عليه أن يكونَ غنيّاً؛ يُحِبُّ السّائحَ والمتشرِّدَ، أو قاطِعَ الطّريقِ، أو الهُرطوقي الذي طُرِدَ من الكنيسةِ، ولنَقُلْ من الكنيسةِ التي ينتمي إليها القدّيسُ نيلس. إنّ على الراهبِ أنْ يُحبَّ ذلك الهُرطوقيَّ لدرجةِ أنْ يكونَ مُستَعِدّاً لتقديمِ

coptic-books.blogspot.com

كافّةِ خبراتِه الرّوحيّةِ، وكلَّ ما يَمتلِكُه روحيّاً له. هذا هو الشخصُ الذي اختارَ فقط المسيحَ، وصليبَ المسيحِ؛ الذي تخلّى عن كلِّ شيءٍ مادّيٍّ، ولا يُمكِنُه إعطاءُ أيَّ شيءٍ مادّيٍّ، لأنّه لا يَملِكُ سِوى اللهَ وَحْدَه الذي امتلَكَه هو. إنّ أحدَنا لا يمتلكُ اللهَ وإنّما اللهُ يملِكُه، فيُصبِحُ مملوءاً بحضورِه ووجودِه الحيِّ، وهو لا يُصبحُ المالِكَ لكلِّ ذلك.

الرَّجُلُ الآخرُ، وهو معاصِرٌ له، عاشَ في محيطِ مدينةِ موسكو، وكانَ شَخصاً مُميَّزاً. لقد أسسَ ديراً يعملُ فيه ألفُ راهبٍ بنظامٍ تقشُّفيٍّ مُذهل. الدّيرُ الموجودُ في هذه المنطقةِ الباردةِ جدّاً، لا توجدُ فيه تَدفِئةٌ، ولم يكن يُسمَحُ للرّهبانِ فيه بارتداءِ أيِّ شيءٍ سوى قميصٍ مصنوعٍ من الشَّعْرِ وثوبٍ مُلقىً عليه. الأعمالُ الإداريّةُ كانَتْ تَستَمِرُّ عشرَ ساعاتٍ في اليوم، والأعمالُ في الحقولِ أو الدّيرِ كانَتْ تَستَمِرُّ من سبعِ إلى ثماني ساعاتٍ. وفي بعضِ الأوقاتِ عندما كانوا يَئِنّون ويَصرُخون بسَخَطٍ قائلين: (نحنُ جياعٌ، ومخازنُ القمحِ مملوءَةٌ ولا تَسمَحون لنا بالأكلِ. نحنُ عِطاشٌ ولَدَينا الماءُ ولا تَسمَحون لنا بالشُّرب) يكونُ جوابُ المتقدِّمِ المُشرِفِ عليهم: (أنتُم لا تَعمَلون من أجلِ مَرضاتِكم، لا تَعمَلون من أجلِ سهولةِ الحياة، وليسَ من أجلِ الدِّفءِ والرّاحةِ. انظُروا إلى أولَئِكَ القرويّين حولَكُمْ. إنَهم جياعٌ، ومن أجلِهم يجبُ أنْ نَعمَلَ. إنّهم يَشعُرون بالبَرْدِ، ومن أجلِهم يجبُ أنْ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نقطَعَ الخشبَ. لَدَيهِمُ العديدُ من الأطفالِ، ومن أجلهم يجبُ أنْ نَبنيَ دورَ الرّعايةِ. إنّهم جاهِلون، ومن أجلِهم لَدَيكم هذه المدرَسة. الكِبارُ في السِّنِّ ليسَ لَدَيهم مكانٌ يَذهَبون إليه، ومن أجلِهم يجبُ المحافظةُ على هذا البناءِ القديمِ). كانَ هؤلاءِ الرّهبانُ الألفُ المساكينُ، والذين كانَ بعضُهُم يفعَلُ ما بوسْعِه ليَصِلَ إلى القداسةِ يتأوّهُ ويتأوّه... ولكنْ – وبفَضْلِ الإشرافِ القويِّ لمتقدِّمِهم عليهم – كانوا يَعيشون حياةَ المحبّة. في بعضِ الأحيانِ كانوا يُقاوِمون عندما يَضعُفُ الجَسَدُ، ولكن في داخلِهم كان هناكَ ضميرٌ، إنّه القدّيسُ يوسفُ الذي لم يَسمَحْ لهم بالسُّقوطِ عندما كانوا على وَشكِ ذلك. ولاستخدامِ عِبارةٍ أكثرَ حَداثة، فقد كانَ هو المشرِفُ العظيمُ الذي يَجمَعُهم؛ إنّه هناك معَهم بتعليماتِه الصّارمة....، وهذا هو نوعٌ آخرُ من الرّهبَنَةِ.

وتَمَّ تأسيسُ أديرةٍ أُخرى بنفسِ الطّريقةِ حولَهُ. الجوعُ، البَرْدُ، الناسُ المهمَلون، كِباراً وفِتياناً، كلُّ أولئكَ أصبَحُوا مادَّةَ الحبِّ. وإذا ما قرأْتَ أعمالَ وحياةَ القدّيسِ يوسفَ، لا شكَّ بأنّهُ لم يكنْ فيها سوى المحبّةِ، لأنّه لم يكنْ يَهتَمُّ بأيِّ شيءٍ آخرَ. لم يَهتَمَّ بالنتائجِ والتَّبعاتِ، ولا بأولَئِكَ الذين يَعتَبرون أنّ هذا هو مُجرَّدُ حماقَةٍ. كلُّ ما قالَه: إنّ أولئكَ الناسَ جياعٌ، ويَحتاجون للمساعدةِ، ونحنُ الذين عَرَفْنا المسيح ونعلَمُ بأنّه هو، علينا إحضارُهُ لهم، وإنْ كلَّفَكَ ذلكَ حياتَك. حسناً، سيُكَلِّفُك الأمرُ حياتَك! إذا ما قَرَأْتَ كتاباتِهِ فإنّك

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ستَرى بعضَ النّصوصِ حولَ كيفيةِ حصولِ الرُّهبانِ على الرّاحةِ الأبديّةِ، وستَرى عدداً أكبر من النّصوصِ التحذيريّةِ لهم، من أنّهم إنْ لم يَعمَلوا بجُهدٍ كبيرٍ فكلُّ ما يَحصلون عليهِ هو نارُ جهنّمَ.

بعدَ هذهِ الفترةِ الزّمنيّةِ التي سَادَتِ المحبّةُ فيها، نجدُ أنفسَنا في حُقبَةٍ بَدأَتِ الدولُ فيها تبحثُ عن الواقعيّةِ، والتي نَدعوها اليومَ (العَلمانيّة). حينَ بَدأَتْ إمارةُ موسكو بالنّموِّ بالقوّةِ والحَجم. لقد أبادَتْ الإماراتِ المجاورةَ لها بوسائِلِ قاسيةٍ، وفَرَضَتْ أخلاقياتِها كقانونٍ للدولةِ. في هذه الفَترة بَدأَ إيمانُ المسيحيينَ بالظّهورِ بطريقةٍ مثيرةٍ للاهتمامِ. في هذه الحُقْبَةِ (زمنِ التجديدِ)، بدأَ الناسُ بالتنفّسِ من جديدٍ، وأخذوا يُبدونَ الاهتمامَ أكثرَ وأكثرَ بالأمورِ المادّيّةِ – لأنّهم ظَهَروا أخيراً وكانوا سُعَداءَ لتَمكُّنِهم من بناءِ عالمِهم المليءِ بالحياةِ – حينئذٍ بَدأَتْ مجموعةٌ من الرِّجالِ والنِّساءِ تُعَدُّ بالعَشَراتِ بالظُّهورِ على التّوالي أو في نفسِ الوقتِ، وكانوا يُدْعَون (المتبالِهين لأجلِ المسيحِ). ويمكنُ تفسيرُ كلمةَ (تَبالُه) بطريقَتَين مُختلِفَتَين حَسبَ تنوّعِ الحالات. هناك المتبالِهون الذين يَملِكُون الذّكاءَ والقلوبَ الحاميّةَ والإرادةَ الحديديّةَ. وبالمقابلِ أولَئِكَ الذين لَيْسوا خَارِقي الذّكاء، ولكنّهم يَمتلِكون اللهَ في قلوبِهم وحياتِهم الداخليّةِ أيضاً. كانوا أُناساً قد تَخَلّوا عن كلِّ القيمِ الاجتماعيّةِ، الثّروةِ، والعَيشِ من دون الأمورِ الماديّةِ الغاليّةِ على قَلبِ الإنسان. عاشوا أبسطَ العلاقاتِ الإنسانيّةِ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وكلَّ ما تتطلَّبُه منهم تراتبيّةُ هذه العلاقاتِ. كانوا أناساً في شمالِ روسيا الباردةِ، يَمشون بأقدامٍ حافيةٍ في الشّتاءِ، يَلبَسون قميصاً فقط، ويُعلِنون ويُبَشِّرون بحقيقةِ أنَّكَ إنْ كُنْتَ تُؤمِنُ، فبإمكانكَ العيشُ مع اللهِ، وإنْ كُنْتَ تُؤمِنُ، يُمكِنُكَ أنْ تتخلّى عن كلِّ شيءٍ. بينما إنْ تَرَكْتَ نفسَكَ لتَنخَرِطَ في التوجُّهِ الجديدِ نحوَ قَبولِ هذه القِيَم التي هي مؤقتةٌ، فأنتَ ضائعٌ وتنتمي إلى عالمِ الشّيطان!!

هل كانَ ذلك مُبالَغَةً أو رؤيةً للسّلامِ، أو أنّه موضوعٌ في العُمْقِ؟ أعتقدُ بأنَّ هذا يَخُصُّ العُمقَ. لا أرغبُ بالقولِ بأنّ عَلَينا جميعُنا أنْ نخرُجَ ونفعلَ الشيء نفسَهُ، ومِنْ أنّه لا معنى لكافّةِ القِيَمِ البشريّةِ التي شَكَّلَها عالمُ المسيحيّةِ عَبْرَ القُرونِ. ولكنّي أعتقدُ بأنّه إنْ كانَ لَدَينا دعوةً دينيّةً، وإنْ كانَ لدينا شعوراً بالأبديّةِ والخُلودِ، وإحساساً بالحضورِ الإلهيِّ – بإدراكِنا أنّ اللهَ حيٌّ وفعّالٌ فينا وفي عقولِنا – يجبُ أنْ نتّخِذَ الإنجيلَ كمثالٍ لنا. ومن الممكنِ أنْ نَخلُصَ إلى القولِ: (نَعَمْ، كلُّ هذا ضروريٌّ لحياتِنا بمجمَلِهِ ولكنّه وقتيٌّ وسريعُ الزّوال، وبالتّالي يجب ألا نتعلَّقَ به، بل أنْ نعملَ بجُهْدٍ وكَدٍّ لتكونَ قلوبُنا فقط مع اللهِ).

ثُمَّ ظَهَرَ وَضعٌ معقّدٌ جدّاً في التّاريخِ الرّوسي، فالحياةُ الاجتماعيّةُ والحياةُ السياسيّةُ والحياةُ الدينيّةُ تَداخَلَتْ فيما بينَها، بطريقةٍ أصبَحَتْ في غِنىً مُتزايدٍ أو في فَقْرٍ متزايدٍ حسبَ الظّروفِ. نجدُ هنا كافّةَ أنواعِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحياةِ المسيحيّةِ الموجودةِ في الغَرب، أو في العالمِ المسيحيّ بشكلٍ عامٍ، وصولاً إلى هذا الوقتِ الذي أصبَحَتْ فيه الكنيسةُ الأرثوذكسيّةُ موضعَ الاضطهادِ في البُلدانِ الشّيوعيّة، وعندئذٍ ارتبطَت الكنيسةُ بالعالمِ بطريقةٍ جديدةٍ. فلو نَظَرْنا إلى شُهداءِ القُرونِ الأُولى نَجدُ أنّهم تَميَّزوا بخصائِصَ معينّةٍ، كانوا رِجالاً ونساءً وأطفالاً قد اكتشَفوا اللهَ والمسيحَ كقيمةٍ قُصوى لحياتِهم، وبأنّه فيهِ تَكمُنُ الحياةُ بمجملِها. كانَ هو كلُّ شيءٍ بالنّسبة لهم، وكانُوا انطِلاقاً من إيمانِهم المُطلَقِ هذا، مستعدِّينَ للموتِ من أجلِهِ عِندَما يُذكَرُ اسمُهُ بالسُّوءِ أو يُشَكَّكُ فيهِ. ومن جهةٍ أُخْرى، وفي إطارِ هذه العلاقةِ بين المسيحِ وأولئك الذينَ يُؤمِنُون بهِ، حَدَثَ التغيُّرُ العميقُ والمطلوبُ فيهم، إنّهم سيَمُوتون من أجلِ ولادةٍ جديدةٍ. وإذا ما رَجعْنا إلى الإصحاحِ السّادسِ من الرّسالةِ إلى رومية، فسوفَ نَجدُ أنّهم قد ماتُوا مَوْتَ المسيح وعاشُوا مرةً أُخْرى بقيامتِهِ. لقد امتَلكُوا الحياةَ الأبديّةَ، وكانَتْ هذهِ الحياةُ هي مَصْدرُ القوّةِ التي أعطَتْهمُ التّوجيهَ اللازمَ لحياتِهم الدنيويّةِ. بالنّسبةِ لهمْ لم يكنِ الموتُ يعني الفناءَ، وإنّما عَنَى التّحرُّرَ من الحياةِ المؤقتةِ والسّريعةِ الزّوالِ، وذلك من أجلِ الحصولِ على غِنى الحياةِ الأبديّةِ في اللهِ، لأنّ الحياةَ تعني المسيحَ، ولأنّ الموتَ هو رِبْحٌ أيضاً، لأنّ الحياةَ بالجسدِ تعني الانفصالَ عن اللهِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لكنْ نرى أنّهُ – وبشكلٍ غيرِ مباشَرٍ – يمكنُ القولَ أنّه بسببِ الشُّهداءِ آمَنَ كثيرون؛ إمّا إعجاباً، أو تأثُّراً. لقد كانَ كَشْفاً للهِ من خلالِهم أدَّى إلى إيمانِ الكثيرين، ولكنْ كلُّ ما أرادَهُ أولئكَ الشُّهداءُ هو أنْ يكونُوا شاهِدينَ للمسيحِ، وشاهِدينَ على انتصارِ اللهِ.

تَطَوَّرَتْ مَنْهَجيّةٌ فِكريّةٌ جديدةٌ منذُ الثّورةِ، في هذا العالمِ المليءِ بالاضطهاداتِ المتواصِلةِ، والتي هي أحياناً مُرعِبةٌ وحَادَّةٌ، وأحياناً سِريّةٌ ومخبأةٌ. وبهذا الخصوصِ يُمكِنُنا أنْ نبدأَ بفكرَةٍ لم تأتِ من العالمِ السلافيِّ، وإنّما أَتَتْ منَ الغَربِ. يقولُ (جان دانيلو) بأنّ المعاناةَ هي نقطةُ الالتقاءِ بينَ الخيرِ والشَّرِّ، وبينَ الحياةِ والموت. وهذا صحيحٌ، لأنَّ الشَّرَّ لم يكنْ أبداً مُطلَقاً أو خارِقاً أو غيرَ مُتَجسِّدٍ، إنّه دائِماً يُعَبِّرُ عن نفسِهِ في الإنسانِ، ومن خلالِهِ ولأجلِ أَذِيَّتِهِ.

دائِماً ما يَشُقُّ الشَّرُّ طَريقَهُ ويتغلغلُ في الجسمِ البَشَريِّ أو النّفسِ البشريّةِ. هناكَ دائماً علاقةٌ تَربُطُ شَخْصاً بالآخرِ، عندما يكونُ هناكَ مُعاناةٌ أو كُرْهٌ أو جَشَعٌ أو تَخاذُلٌ، ولكنَّ هذا ما يَجلُبُ النّصرَ حاسِماً. فيقعُ الشَّرُّ بينَ أيدي الخيرِ، لأنَّهُ في اللحظةِ التي نُصبِحُ فيها ضَحايا، نكونُ قد اكتسَبْنا حَقّاً ما، هوَ إلهيٌّ في النِّهايةِ، وهو المسامَحَةُ. ومن ثَمَّ نكونُ كما قالَ السيّدُ المسيحُ: " أَبَتِ، اغفِرْ لهمْ لأنّهمْ لا يَدْرون ماذا يَفعَلون"، فهلْ نستطيعُ أنْ نقولَ بدورِنا كما قالَ أحدُ أساقفتِنا قبلَ موتِهِ في مسامَحَةِ الحُكْمِ الستالينيِّ: (سيأتي يومٌ يَقِفُ فيهِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الشَّهيدُ أمامَ العَرْشِ الإلهيِّ للدِّفاعِ عن مُضطهِدِيْهِ قائِلاً: يا ربُّ، لقد سامَحْتُهمْ باسمِكَ وعلى مثالِكَ؛ لم يَعُدْ لديَّ أيُّ شيءٍ ضدَّهُم بعدَ الآن).

إنَّ هذا يُقَدِّمُ وَضْعيّةً جَديدةً ومَنْهجيّةً فِكريَّةً جَديدةً في الكنيسةِ، والتي هي أيضاً إحدى سِماتِ الحُبِّ، سِمَةٌ تفوقُ حدودَنا العقليّةَ، وغالِباً هي أكبرُ من فَهمِنا، لأنّنا غيرُ قادِرين على القيامِ بها ولو بشكلٍ صغير. كمْ نحنُ قادِرون على الغُفرانِ التّامِّ للمعاناةِ القليلةِ المفروضةِ علينا للأحزانِ البسيطةِ التي نَشعُرُ بها. لدينا هنا تأجُّجٌ جَديدٌ للحُبِّ الإلهيِّ في قلبِ الإنسانِ، هناكَ نَصْرٌ إلهيٌّ جديدٌ. اللهُ يَتجَلّى مَرَّةً أُخرى، ومفهومُ الكنيسةِ التي تُعاني، وكذلكَ مُعاناةُ الشّهيدِ نفسه يُصبحان في الوقتِ ذاتِه مفهوماً لخلاصِ الآخرِ.

آمُلُ أنْ تُساعِدَكَ هذه الأمثلةُ على إدراكِ حقيقةِ أنَّ القداسةَ ليستْ فِعْلاً فَرديّاً بأيِّ شكلٍ من الأشكالِ، وذلكَ لما تحمِلُهُ كلمةُ فرديّةٍ من معنى الانفصالِ. إنّها أبعدُ من ذلكَ، فالقداسةُ هي دائِماً حالَةٌ وفِعْلٌ، ولا تَنطَوي فقطْ على وَحْدَةِ الكنيسةِ – على اعتبارِ أنّنا الأعضاءُ الحيّةُ في الجَسَدِ التي لا يُمكِنُ أنْ ننفصِلَ عنها أو أنْ تنفصِلَ عنّا – بل إنّنا أيضاً أعضاءٌ في هذا العالمِ المخلوقِ المحيطِ بنا. القداسةُ هي محبّةُ اللهِ بالعملِ بطريقةٍ مُتماسِكةٍ وفعّالةٍ ومَدْروسةٍ، والتي تَكْشِفُ عن نفسِها بدِقَّةٍ وحَزْمٍ في حالاتٍ هي حيّةٌ دائِماً، ومماثِلَةٌ للحُبِّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الإلهيِّ الأبديِّ لله، مع الحضورِ البَشَريِّ للرِّجالِ والنِّساءِ والأطفالِ الممتَلِئين من هذا الحُبِّ، والذي يُعَبِّرون عنه كونُهُم معاصِرين لهذه الفترةِ الزمنيّةِ، بطريقةٍ يستطيعونَ وَحْدُهم فقطْ اختيارَها واكتشافَها وتطبيقَها بشكلٍ عمليّ.

النُّقطةُ الثّانيةُ التي أَرغَبُ بالحديثِ عنْها، والتي أَعتَقِدُ بأنّها هامّةٌ جداً، هي طَريقةُ تقييمِنا للعالمِ ووجودِنا فيه؛ إنّه مفهومُ (اتّحادِ) الله مع العالم. وأستخدمُ هنا عَمْداً كلمةَ "اتّحاد" التي هي ليسَتْ لاهوتيّةً ولا دينيّةً، لتجنُّبِ استخدامِ كلمةٍ أخرى قد تَضَعُنا – مهما كانَتْ – في اتّجاهٍ قديمٍ، إنَّهُ باستخدامِنا لكلمةِ "اتّحاد" نستطيعُ ودونَ أيِّ جُهْدٍ أنْ نَحُلَّ مُشكِلَةً مهمّةً وصَعبةً.

عندما نأتي إلى موضوعِ الصّلاةِ وعلاقَتِها بالقداسةِ، فسأحاولُ أنْ أشدِّدَ على سِمَةِ القداسةِ الموجَّهةِ كُليّاً إلى الله، والتي يُشكِّلُ اللهُ مُحتَواها بالكامِلِ. قبلَ ذلكَ أعتقدُ أنّه من الأفضلِ إلقاءُ نَظْرَةٍ موجَزَةٍ على الإنسانِ الذي هو موضوعُ القداسةِ المتجسِّدةِ، والذي إليه تتّجهُ القداسةُ البشريّةُ بأكملِها.

في البدايةِ ومنذُ الحربِ، وربّما رُجوعاً إلى السَّنواتِ التي سَبَقَتْها، كانَ هنالِكَ مفهومين، مفهومَ (عَظَمَةِ الإنسانِ) ومدى أهميّتِه لنا ولله، وكذلِكَ مفهومُ (الاتّحادُ البَشَريِّ). وكما هو واضِحٌ، فإنّه ولعِدّةِ قُرونٍ – حاوَلْنا ومن خلالِ الكنيسةِ – أنْ نجعلَ اللهَ أعظمُ ما يُمكِنُنا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بجعلِ الإنسانِ صغيراً. إنّه يُمكِنُنا رؤيةُ ذلكَ، حتّى في الأعمالِ الفنيّةِ التي يَظهَرُ فيها الرَّبُّ يسوعُ المسيحُ عظيماً جداً، ومخلوقاتُه صغيرةٌ جداً عندَ قَدَمَيْهِ. الغايةُ كانَتْ إظهارَ كَمْ هو اللهُ عظيمٌ! ولكنْ نَتَجَ عن ذلِكَ فِكْرٌ خاطِئٌ وتجديفيٌّ تِبْعاً لتصويرِنا الإنسانَ على أنَّه صَغيرٌ، وهو ما أدى من جهةٍ أُخْرى إلى إنكارِ هذا الإلهِ العظيمِ، الذي يَعتَبِرُ الإنسانَ دونَ قيمةٍ. وبالنتيجةِ كِلا هاتينِ النَّظْرَتينِ خاطِئٌ تماماً. إنّ إحداهُما تَخُصُّ أولئكَ الناس الذين يَعتَبِرون أنفسَهم أبناءَ اللهِ (شعبَ اللهِ المختار) الذين هم الكنيسةُ. وأنّهمْ بهذا الاعتبارِ قد جَعَلُوا أنفسَهمْ صِغاراً كمِثْلِ الصُّورةِ التي لَدَيهمْ عن الإنسانِ، وجَعَلوا مجتمعاتِهم صغيرةً وضيّقةَ المجالِ، وناقِصَةَ الأهميّةِ مثلَ أعضائِها. بينما نجدُ النَّظرةَ الأخرى خارجَ الكنيسةِ بينَ اللاأدريين[1] والعَقلانيين والملحِدين. ولكنّنا نَرى أرضيّةً مشتركةً في ردّاتِ الفِعْلِ هذه. فالإنسانُ الآنَ، هو نقطةُ الصِّراعِ الحقيقيّةِ والمثمِرَةِ بينَ أولَئِكَ الذين يَتَبَنُّون أكثرَ نَظَريّتين واضِحَتي التّباين (الإيمانَ والإلحادَ)، الإنسانُ هو الموضوعُ الوحيدُ المشتَرَكُ فيما بينَهما. إنّهما يَريانه ويَتعامَلان مَعَهُ بشكلٍ مختلفٍ، ولكن تبقى حقيقةُ أنّ الإنسانَ هو مَرْكَزُ كِلا المدرَسَتَين. ويمكنُ القولُ بأنّ تفسيرَ ما قالَه القدّيسُ بولسُ أمامَ المذبَحِ "لإلهٍ مجهولٍ" (أع23:17)،

1- مذهب اللاأدريةِ هو الاعتقادُ بأن وجودَ اللهِ وأصلَ الكونِ أمورٌ لا سبيلَ لمعرفتِها. وكلمةُ (اللاأدري) تعني (بلا درايةٍ أو علمٍ) وهو ليس إلحاداً، بل هو نوعٌ من الإلحادِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أَخَذَ يُقصَدُ بهِ الآنَ الإنسانَ، والذي يَضَعُهُ كلُّ شخصٍ من الطّرفينِ على المذبحِ. يُقدِّمُ عالمُ الإلحادِ صورةَ الإنسانِ الذي يَعتَمِدُ التّجريبَ، والذي يَعتَمِدُ جَمْعَ المعلوماتِ. بينما يَضَعُ المسيحيّون أيضاً إنساناً على المذبَحِ؛ الذي هو جَسَدُ السيِّدِ المسيحِ.

إنَّ حقيقةَ انتشارِ النّظرَةِ الماديّةِ الإلحاديّةِ إلى الرّجُلِ في العالَمِ المسيحي، بأنّها قَدْ تجاوَزَتْ كلَّ حدودِ العالمِ المخلوقِ، لَمْ تمنَعِ المسيحَ، ابنَ اللهِ الكلمةَ المتجسِّدَ، منْ أنْ يكونَ إنساناً كامِلاً بِكُلِّ ما لهذِهِ الكَلِمَةِ من معنىً.

أُكَرِّرُ الآنَ نقطةً مذكورةً سابقاً؛ وهي قولُ ماركسَ منْ أنّ الطَّبقةَ الكادِحَةَ ليسَ لَدَيْها حَاجةٌ لإلهٍ، لأنّ الإنسانَ أصبحَ إلهاً. ويقولُ القدّيس يوحنّا الذّهبي الفم كذلك: (إذا كُنْتَ تُريدُ أنْ تقيسَ عَظَمَةَ الإنسانِ، ارفَعْ عَيْنَيْكَ باتِّجاهِ عَرْشِ اللهِ، وستَرى الكلمةَ المتجَسِّدَ الحامِلَ طبيعةَ بَشَريّتِنا جالِساً عن يمينِ المجدِ). وهذان أكثرُ تعبيرين واضحين عن الوضعِ الحالي، وفي كلٍّ مِنهُمَا يكونُ الإنسانُ مَركَزَ كلِّ شيءٍ.

هذا العالمُ الملحِدُ، أقصدُ بهِ عالمَ الإلحادِ الذي لديْهِ أيديولوجيّةٍ معيّنةٍ، وليس عالمَ الإلحادِ المرتبطِ بالمَعِدَةِ، والذي يُمكِنُ تَسميَتُه بالإلحادِ المعِديِّ، والذي تحدَّثَ عنه القدّيس بولس بقولِهِ: "إلهُ هؤلاءِ النّاس هو بطونُهم"، وهو ما أعنيْ به الملحِد الإيديولوجي الملتزم بمفاهيم هذا العالم، أمَّا الإنسانُ النَّظريُّ فهو فِعْلاً إلَهٌ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يُمكِنُ لنا أنْ نتساءَلَ عن مَدى واقعيّةِ هذا الإلهِ الإنسانِ بالنّسبةِ للمُلحِدِ، الشيءُ المستغرَبُ هو أنّه من جهةِ الإنسانِ النَّظريِّ هو إلهٌ، ولكنّه وفي الوقتِ نفسه، فإنّ الإنسانَ التّجريبيّ هو ضَحيةٌ وعَبْـدٌ. وهذا الغموضُ يتوضَّحُ على ما أعتقدُ بحقيقةِ أنّ الإنسـانَ النَّظـريَّ الذي نتحدَّثُ عنه، والموضوعَ على مَذبَحِ الإلحاد، لـيسَ شخصـاً مُحدّداً. وليسَ نَموذَجاً مَعروفاً واقعيّاً، بل هـو مُطلَـقُ الإنسـان الاشتراكي. وهذا يَجعَلُ تقليدَهُ صَعباً، بل ويُبقيه مُتفرِّداً في نموذَجه، لا يمتلِكُ أحَدٌ أنْ يُقارِبَه. وهذا الإنسانُ النَّظريّ (الاشتراكي)، والذي هو فريدٌ، يَتحدَّى حقوقَ الإنسانِ الشخصيّةِ.

الإنسانُ الاشتراكيُّ هو إنسانُ الحاضِرِ والمستقبَلِ. ولكنّه لـيسَ الإنسانَ الواقعيَّ الذي يعيشُ في الحاضِرِ، وليسَ الشّخصَ الفَـرْديَّ الذي سيَعيشُ في المستقبَلِ، ولكنّه الإنسانُ بشكلٍ عامٍّ، أو هذا النّمطُ بالتّحديدِ منَ البَشَرِ. وهذه اشتراكيّةٌ إجباريّةٌ، لَدَيها الحـقُّ بفَـرْضِ مُتطلَّباتِها على كلِّ فردٍ من أفرادِها.

فيما يتعلَّقُ بموضوعِ الفَنِّ والأدبِ والسُّلوكِ المدَنيِّ وإدانةِ الضَميرِ الحيِّ، فإنّ هذهِ الجماعةُ لَدَيها مُتَطلّباتٌ استبداديّةٌ. والإنسانُ المـادّيُّ الفَرْدُ الذي تتقدَّمُ إنسانيّتُهُ حسبَ النّموذجِ الاشتراكي، والذي يبدوْ كما لوْ كانَ مَصْنوعاً من قِطَعٍ صغيرةٍ موضوعةٍ في لوحةِ موزاييكٍ، لا يمتلكُ إلا مَكاناً صَغيراً فيها فقطْ، ولا يُمكِنُه الذهابُ إلى غيرِ المكانِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المحدَّدِ له. وعليه حسبَ هذهِ الإنسانيّةِ أنْ يقبَلَ بالموقعِ واللونِ المفروضَين عليه.

منَ الضَّروريِّ أنْ نُركِّزَ بشِدَّةٍ على الفرقِ العميقِ في رؤيةِ الإنسانِ، بينَ مفهومِ الإلحادِ الاشتراكيِّ ومفهومِ الكنيسةِ، والتي نحنُ فيها أعضاءٌ في الجِسمِ الحيّ. وبالمثلِ يجبُ أنْ نُفرِّقَ بينَ معنى (الفَرْدِ) في الاشتراكيّة، ومعنى (الشّخْص) الذي هو حالةُ الإنسانِ في الكنيسةِ.

الحالةُ الاشتراكيّةُ حيثُ الأقليَّةُ الإيديولوجيّةُ تُصبحُ أكثريَّةً واقعيَّةً، ولَدَيها الحقُّ في فَرْضِ إرادتِها على كلِّ فردٍ من المجتمعِ. بينما لا يوجدُ في الكنيسةِ شيءٌ من هذا القبيلِ. حتّى إرادةُ وكلمةُ اللهِ فإنّه ليسَ لَدَيها السُّلطةَ كقانونٍ مفروضٍ. إنّها الصّوتُ الذي يَكشِفُ لنا حقيقةَ الأشياءِ فقطْ، وإنْ استجَبْنا لهُ فنحنُ نفعلُ ذلك بسببِ حساسيّتِنا اتّجاه الحقيقةِ التي أُعلِنَتْ لنا ونحنُ نَسعى إليها، والتي هي وسيلتُنا الوحيدةُ لنُصبحَ أحراراً بشكلٍ كاملٍ، ونُصبحُ ذواتَنا أيضاً بشكلٍ كامل.

إنّ إرادةَ اللهِ ليستْ قانوناً ولا عُقوبَةً بالسِّجنِ. أَحَدُ عُلماءِ اللاهوتِ الرّوس العُظَماء في القرنِ التّاسعَ عشرَ واسمُهُ خومياكوف[2]، الذي يُعتَبَرُ أحدَ أكبرِ المناظِرين والمجادِلين ضِدَّ الكاثوليكيّةِ والبروتستانتيّةِ، لكن وفي الوقتِ نفسِه – ومن وجهةِ النّظَرِ هذه – لم

2- وُلِدَ ألكسي خومياكوف في الأولِ من شهرِ أيار عام 1804 في موسكو ورقد بالربِ عام 1860، من عائلةٍ نبيلةٍ وثريّةٍ. وهو من اللاهوتيين الرّوس الذين لم يتعلّموا اللاهوتَ أكاديمياً. كتبَ العديدَ من المؤلفاتِ حول الكنيسةِ ووحدتِها. من أهمِ كتبِهِ: *The Church is One*.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يكن من روّادِ العملِ المسكونيِّ. يُخبرُنا هذا اللاهوتيُّ بـأنّ إرادةَ الله هي لَعْنَةٌ للشّيطانِ، إنّها قانونٌ لتجديدِ الإنسـانِ روحيّـاً، والحريّـةُ لأولَئِكَ الذين يَبحَثون عن الخلاصِ.

بهذه العِباراتِ التي هي ملائِمَةٌ تماماً للموضوعِ، نَرى أنّ الأمرَ لا يتعلّقُ بإرادةٍ مفروضَةٍ من الخارجِ، ولكنّها إرادةٌ تبدو خارجيّةً بالنّسبةِ لنا، آخِذينَ بعينِ الاعتبارِ أنّنا نحنُ أنفسُنا بعيدون عن مَهَمَّتِنا وعـن حقيقتِنا البشريّة. نقطةٌ أخرى سأَعرِضُها، ففي عالمِ الإلحادِ الاشتراكي هناكَ إرادةٌ حديديّةٌ يَتِمُّ فرضُها على أفرادِه، تَزدَري كافَّةَ الأعـرافِ والالتزاماتِ الضّميريّةِ، وذلكَ لأنّ الحزبَ هو مَن فَرَضَ هذه الحقيقةَ، أو همْ مجموعةٌ من البَشَرِ يَعتَبِرون أنفسَهم مالِكين للحقيقةِ، ولَـدَيهُم الحقُّ بتعريفِها وفقاً لاحتياجاتِهم وأعرافِهم. ومن هذا المُنْطلـقِ يَـتُمُّ النَّظَرُ إلى الإنسانِ كَفَرْدٍ ليسَ لَدَيهِ حياةٌ أخرى غيرُ هذهِ الحياة. إنّها حياةٌ لا تَسمو فوقَه، ولا تجعَلُهُ يعيشُ في الآخرين، والآخرونَ يَعيشونَ فيهِ. إنّه يُشكِّلُ جُزءاً من المقتنياتِ؛ إنّه إحدى الثّوابتِ، ولكنّه قابـلٌ للتّبديل.

إنّنا لا نَرى هذا العملَ المأساويَّ في مجالِ الثّورةِ الرّوسيّةِ بكـلِّ أبعادِها فقطْ، وإنّما نَراهُ أيضاً في قِصَّةِ أفرادِ هذا الحِـزْبِ في العهـدِ الستالينيِّ. يُمكِنُ قراءةُ كتابٍ للكاتِبةِ (يوجين جينسبورغ) التي كانَتْ عُضواً في الحِزْبِ قبلَ الثّورةِ، وقد بَذَلَتْ نفسَها من أجلِ حزبِها. لقد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أَمْضَتْ ثماني سَنَواتٍ في معسكراتِ الاعتقالِ لأنّها رَفَضَتِ التّوقيعَ على قائمةٍ من الاعترافاتِ بجرائِمَ لم تَرتَكِبْها مُطلَقاً، ولكنّها – مع ذلكَ – كانَتْ في ذلِكَ الوقتِ مُفيدةً لمنهَجِ حزبِها.

حَسَبَ الإيديولوجيّةِ الماركسيّةِ فإنّ الفردَ هو كائِنٌ قابلٌ للتّبادلِ، وفي المقابلِ فإنّ الشّخصَ في المسيحيّةِ هو فَريدٌ ولا يُمكِنُ استبدالُهُ: هذا هو الفارِقُ العميقُ الموجودُ ضِمْنَ وخارجَ الكنيسة. وهو فَرْقٌ ضَروريٌّ في مفهومِ القداسةِ، لأنَّ كُلَّ واحِدٍ منّا فَريدٌ ولا يُمكِنُ استبدالُهُ، وهو يَعرِفُ اللهَ بطريقَةٍ مميّزَةٍ لا يُمكِنُ لأحَدٍ أنْ يُشارِكَهُ فيها.

(الفَرْدُ) الذي يُمكِنُ استبدالُهُ، والذي عَمَلُ القداسةِ، كجُزءٍ من الكنيسةِ، موجَّهٌ إليه، يجبُ عليه أنْ يتحوّلَ إلى ما هو عليه حقيقةً: وهو أنْ يكونَ (شَخْصاً). وأودُّ أنْ أوضِّحَ باختِصارٍ الفَرقَ بينَ هَذين المصطَلَحَين بالقولِ مُجدَّداً، بأنّ الفردَ هو المرحلةُ الأخيرةُ في التّقسيمِ. بحيث من غيرِ الممكنِ التّقسيمُ إلى أكثرِ منَ الفَرْدِ. وإذا كُنْتَ تَرْغَبُ أنْ تَذهَبَ بعيداً في تحليلِكَ، فستَحصَلَ على جثّةٍ وروحٍ، ولنْ تكونَ مرَّةً أُخْرى في حضورِ الكائِنِ البَشَريّ.

الشَّخصُ بأكملِهِ مُختَلِفٌ: وأفضلُ طريقةٍ لتَوضيحِ ذلك هي الاستِعانَةُ بنَصٍّ مأخوذٍ من كتابِ الرُّؤيا، والذي يُخبِرُنا أنّ كلَّ منْ يَدخُلُ مملكةَ اللهِ سيَحصُلُ على حَجَرٍ أبيضَ مع اسمٍ منقوشٍ عليه؛ اسمٌ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يَعرِفُهُ اللهُ فقط، والشَّخصُ الذي سيَحصَلُ عليه. إنَّهُ ليسَ اسمَنا الـذي نُعرَفُ به في حياتِنا العاديّةِ (اسمُ عائلَتِنا، اسمُنا المسيحيّ)، بلْ هو اسـمٌ يحتوي على كلِّ ما نحنُ عليه، وما نحنُ مدعوون لأنْ نكونَ عليه. يُمكِنُنا أنْ نتصوّرَه بأنّه سيكونُ الكِلمةَ السّريّةَ التي يُطلِقُها اللهُ بُغيـةَ دعوتِنـا لنكونَ خارجَ حدودِ اللاشيء، خارجَ حدودِ الغيابِ الراديكاليِّ الـذي انتُزِعْنا منه بإرادةِ اللهِ. هذا الاسمُ الذي يُعرِّفُنـا كُليّـاً، والمعـروفُ للهِ وللشّخصِ الذي يَحمِلُهُ فقطْ، مُميِّزاً تِلكَ العَلاقَةِ الفَريدَةِ وغيرِ المسبوقَةِ التي لا يُمكِنُ مُقارَنَتُها لكلِّ واحدٍ منّـا مـعَ اللهِ. في هـذهِ العلاقـةِ، الأشخاصُ غيرُ متعارِضين، على العكسِ من واقِعِ الأفرادِ الذين نُميِّزُهم بالاختلافاتِ في مِيْزاتِهِم الشخصيّةِ، وملامِحِهِمُ الخارجيّـةِ، وسِـماتِهِمُ النفسيّةِ والاجتماعيّةِ، ونتحدَّثُ عن لونِهِمْ، ومكـانَتِهِم الاجتماعيّـةِ، ووزنِهِمْ وجنسيَّتِهِمْ. الأمرُ بالنِّسْبةِ للشّخصِ لا يَتَعَلَّقُ بِهذهِ الأشياءِ، إنّـه سؤالٌ عن شيءٍ عميقٍ جدّاً وفَريدٍ، والذي لا يَرتَكِـزُ إلى التّبـاينِ، ولا التّعارُضِ أو المقارَنَةِ التي تُمكِّنُنا أنْ نتعرَّفَ على الشَّخصِ. إنّه في حقيقتِه أنَّهُ هو نفسُهُ، وليسَ بإمكانِ أيِّ أحدٍ آخرَ أنْ يُصبحَ هو، لأنّه إنْ أمكَنَ أنْ يكونَ أحَدٌ هو الآخرُ فسيكونُ كِلاهُما واحداً.

لذلك نرى حقيقَتَين مختلفتَين تماماً بينَ (الاشتراكيّةِ) التي تتعامَـلُ مع الأفرادِ، (والكنيسةِ) المكوَّنةِ من أعضاءَ أحيـاءَ وفَريـدِين، ولا يُمكِنُ استبدالُهم ولا مقارنتُهم مع بعضِهم. القداسةُ التي تنتمـي إلى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عالمِ الكنيسةِ كجَسَدٍ وإلى عالمِ الشّخصِ، هي غريبَةٌ تماماً عن مفهومِ الفَرْدِ، والذي هو بالتّعريفِ مُتباينٌ وبارزٌ، ومُرتَبطٌ بالاشتراكيّةِ التي تَفْرُضُ نفسَها، وتَحُدُّ من إمكانياتِ الفَردِ الشّخصيّة.

لذلكَ إنْ كُنّا مَدعوّين ككنيسةٍ لنكوِّنَ حُضوراً بشريّاً بالمعنى الاجتماعيِّ والتّاريخيِّ، فيجبُ أنْ نتذكَّرَ بأنَّ هذا الحضورَ البَشريّ ليسَ حضورَ المجتمَعِ العاديِّ. إنَّ الكنيسةَ ليسَتْ مكاناً لحضورِ الله فقط، وإنّما هيَ مكانٌ لحضورِ الإنسانِ الذي يحيا ويعيشُ بطريقةٍ فريدةٍ وغير معروفةٍ للعالمِ. وإذا فَقَدْنا هذه النّظرةَ في عملِنا البِشاريِّ، وفي توسيعِنا لحدودِ قداسةِ الكنيسةِ، وللإنسانِ بشكلٍ خاص، ونَسَيْنا أنّ القداسةَ هي اللهُ، وأنّ الإنسانَ في اللهِ هو موضوعُ هذه القداسةِ، نكونُ قد فَقَدْنا الجوهرَ.

يُمكّنُنا خَلْقُ مُنظَّماتٍ مُفيدَةٍ بطريقةٍ أو بأخرى، ويُمكِنُ بالتّأكيدِ استبدالُها يوماً ما بمنظّماتٍ أكثرَ فعاليّة، لأنّ إمكانيّاتِ المجتمعِ بأكملِهِ هي أعظمُ من مجتمعٍ خاص، والذي هو نحنُ. ولكنّنا بهذا التّوجُّه لن نحقّقَ الهدفَ المعروضَ علينا، أيْ أنْ نكوِّنَ هذا الكَشْفَ لقداسةِ الله، الذي يفوزُ ويَخُصُّ هذا العالمَ نفسَه، ويجعَلُنا مُشاركين في الطّبيعةِ الإلهيّةِ، وهياكلَ للرّوحِ القُدُسِ، ونكوِّنُ الجسمَ الحيَّ الفِعليَّ للمسيحِ، وهو ما يجعلُ حياتَنا مختفيةً في الله بالمسيحِ يسوعَ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لذلكَ فإنَّ حقيقةَ القداسةِ في الكنيسةِ مُرتَبِطَةٌ برؤيَتين للإنسانِ، وبطريقةٍ مختلفةٍ عن نَظرَةِ العالم. وبهذه المقارَبة والمواجَهة بيننا وبين العالم الخارجيّ يجبُ أن نُدخِلَ مفهومَنا لما هو (الإنسانُ)، ولا يُمكِنُنا القُبولُ بالمفهومِ الدّنيويِّ للقداسةِ، الذي لا علاقةَ له بأعماقِ الإنسانِ، وكذلك ارتباطِهِ مع اللهِ. والذي يُعرِّفُ القداسةَ بمفهومٍ عمليٍّ، واقعيٍّ وأخلاقيٍّ.

في الكنيسةِ لَدَينا رؤيتان للإنسانِ؛ الإنسانِ التّجريبيِّ، والإنسانِ المُعلَنِ في المسيحِ يسوعَ. وإنّ هناكَ حقيقةً طبيعيةً أيضاً، بأنّ الكنيسةَ هي في آنٍ واحدٍ مجتمعٌ في تاريخٍ، وهي غيرُ مرئيّةٍ لأنّها شَفَافةٌ، إنّها سِرٌّ. من وجهةِ النَّظَرِ التّجريبيّةِ نحنُ الكنيسةُ، كُلُّنا كما نحنُ، وليسَ كما نحنُ مدعوون لأنْ نكونَ فقط، ولكنْ كما نحنُ في ضَعفِنا الفَردي وفي القُصُورِ البَشَريّ. ومن هنا يمكنُ تعريفُ الكنيسةِ بحسبِ ما قالَ القدّيسُ أفرامُ السّوريّ في القرنِ السّادسِ: (الكنيسةُ ليستْ جماعةَ قدّيسين، وإنّما جماعَةٌ منَ الخَطأةِ الذين نَدِموا، وهم على الرَّغمِ من كَونِهم خَطأةً، اتّجَهُوا وتَوَجَّهُوا إلى اللهِ). ومنْ وجهةِ النَّظَرِ هذه فإنّه صحيحٌ أنْ نفهمَ أنّ الكنيسةَ هي موضوعُ التّاريخِ والدِّراساتِ الاجتماعيّةِ، لأنّه من هذه الناحيةِ هي تنتمي إلى العالمِ، حيثُ لا تكونُ مُتَحرِّرةً بالقداسةِ من سَيطَرَةِ العالمِ لتتمكّنَ من تأديةِ هذا الدور. العالمُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

موجودٌ فيها من خلالِنا، حيثُ لم يَتحَرَّرْ أيٌّ منّا بعدُ من العالمِ بالمفهوم النُّسكي.

ولكنْ من جهةٍ أخرى، هناكَ في الكنيسةِ رؤيةٌ أُخْرى للإنسانِ لا يكونُ فيها مِثالاً يُحتَذى به. إنّه ليسَ الإنسانَ الكاملَ، وليسَ الإنسانَ الذي خَلَقَهُ اللهُ، ولا الإنسانَ الذي نَتَمَناه أنْ يكونَ، والذي نتطلَّعُ إليه كمخلوقٍ سامٍ ومتفوِّق. كَلا، إنّه إنسانٌ واقعيٌّ واضِحٌ تماماً، وأنّ علينا ألا ننسى أبداً، أنّه واحدٌ من ضِمْنِ الناسِ الذين يُشَكِّلون كنيسةَ اللهِ الحيِّ هناكَ دائماً. هذا الإنسانُ؛ المسيحُ، اللهُ المتجسِّدُ، هو إنسانٌ حقيقيٌّ في المفهومِ المزدوَجِ للكلمةِ، إنّه حقيقيٌّ حيثُ إنّه يَختَلِفُ عنّا بشيءٍ، وليسَ هو إنسانٌ خارقٌ ظَهَرَ في وسَطِنا من الخارجِ. إنّه لحمٌ من لحمِنا، وعَظْمٌ من عِظامِنا. إنّه ينتمي إلينا كُلّياً، كما نحنُ ننتمي إليهِ بكُلِّيّتِنا. لذلِكَ يُمكِنُنا القولُ، أنّنا فيما يتعلَّقُ بالوجودِ البَشَريّ للكنيسةِ، فنحنُ نؤمنُ بالكنيسةِ، لأنّها بالمسيحِ يسوعَ هي موضوعُ الإيمانِ. ومن هذا الإيمان نَمتلِكُ رؤيةً للإنسانِ ليسَتْ حقيقةً تجريبيةً، ولم تكن يوماً كذلِك. لأنَّ الحقيقةَ التّجريبيّةَ هي أنْ نستطيعَ البحثَ في التّاريخِ، بينَما الإنسانُ الحقيقيُّ والواقعيُّ بالمُطلَقِ، قد ظَهَرَ لنا في شَخْصِ المسيح؛ الكَلِمَةِ المتَجَسِّدِ، إنّه إنسانٌ حقيقيٌّ بُكِلِّ ما في الكلمةِ من مَعْنى. ولا بُدَّ أنْ أُضيفَ أيضاً، أنّ هناكَ في الأرثوذكْسيّةِ والكاثوليكيّةِ رؤيةٌ للإنسانِ الحقيقيِّ تَظهَرُ في شَخْصِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

العذراءِ المقدَّسَةِ أيضاً، والتي تَمَكَّنَتْ من تحقيقِ مِلءِ رسالتِها البشريّة، كما هو مَشهودٌ على ذلِكَ بإيماننا بانتقالِها إلى السَّماءِ، في قيامتِها الجَسَديّةِ.

لقد تحقَّقَ منذُ ذلكَ الوقت بالنّسبةِ لشعبِ الكنيسةِ، أنْ يكونَ كلٌّ منهم إنساناً، وهو ما يعني بحثُكَ عن ذاتِكَ في المسيحِ الإنسانِ، بالطّريقةِ نفسِها التي قَبِلَ بها هو أنْ يُجَسِّدَ ذاتَه في الإنسانِ التّجريبيِّ، الذي كانَ كلُّ واحدٍ مِنّا نَموذَجَهُ بسقوطِنا، والذي نحنُ عليهِ في عالمِنا المخلوق. لذلكَ فإنَّ العملَ والخِدمةَ والتّأمُّلَ ضِمنَ الكنيسةِ، هي أُمورٌ مُترابطَةٌ ومُتَلازِمَةٌ بالضَّرورةِ مع بعضِها البعضِ. لأنّنا نستطيعُ أنْ ننمو بها إلى المدى الذي نستطيعُ أنْ نَراهُ فقط، ويمكِنُنا القيامُ بعملٍ يتطابقُ مع الخطّةِ الإلهيّةِ، وهي تُعطينا دورَنا في العالمِ إلى المدى الذي بإمكاننا أنْ نَرى ونَسمَعَ اللهَ الإنسانَ فيه بشكلٍ عمليٍّ.

حيثُ أنّه بإمكانِ قداستِنا فقط أنْ تَجدَ مكانَها في العالمِ المخلوقِ الذي نحنُ فيهِ كأشخاصٍ، وليسَ كأفرادٍ في المجتمع. لأنّ النُّساكَ والرُّسُلَ هم جُزءٌ من الكنيسةِ أيضاً، ولهم دورٌ يَقومون به في العالمِ المخلوق. ونحنُ بقدْرِ ما يُمكِنُ أنْ نَرى ونَسْمَعَ في حالتِنا الشّخصيّةِ، فبإمكاننا العملَ أو أنْ نكونَ بحَسَبِ مشيئةِ الله، بحيث يكونُ وجودُنا عَمَلَ خَلْقٍ وخَلاصٍ، وعَمَلَ قداسةٍ لتقديسِنا ولتقديسِ العالمِ بأكملِهِ أيضاً. هنا يَكمُنُ مفهومُ (الحِكمَةِ) الخاصِّ؛ إنّها الحِكْمَةُ التي تختلفُ عن الذَّكاءِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

البَشَريّ، والتي نَراها في الأنبياءِ والآباءِ وقدّيسي العهدِ الجديدِ. إنّها تَظهَرُ في قُدْرتِهم الداخليّةِ للسّلامِ العميقِ، للاستقرارِ التّامِّ، للتَّأمُّلِ بصَبرٍ في العالمِ الذي يَعيشون فيه لتمييزِ الطّريقِ إلى اللهِ؛ الطّريقِ التي اتّبعَها الرَّبُّ ليَتبَعوها هم لأنّه هو الحياةُ فقط. وبهذه الطّريقِ يمكِنُنا إيجادُ وإعطاءُ الحقيقةِ والحياةِ فقط. إنّ ضرورةَ النّظَرِ والمعايَنةِ قد تَمَّ شَرحُها في قِصّةٍ أَجِدُها جميلةً جدّاً، كَتَبَها (نثنائيلُ هاوثورن) حولَ أسطورةِ العالمِ الجديدِ: في قريةٍ واقعةٍ في أعلى الجبلِ، ويقطعُها جدولُ ماءٍ، يُقابِلُ مجموعةَ الأكواخِ تِلك في مكانٍ عالٍ بين الصُّخورِ، وجهٌ منحوتٌ في الصّخرِ منذُ زَمَنٍ سحيقٍ، إنّه وجهُ إلهِ هؤلاءِ القرويّينَ. إنّه وجهُ الجَمَالِ السّامي الذي يُعبِّرُ عن سَلامٍ فائقِ الوَصفِ وبتَناغُمٍ تامٍّ. نَقَلَ القرويّون وَعْداً من جيلٍ إلى جيلٍ بأنّه سيَأتي يومٌ عندَما يتحرَّرُ فيه هذا الإلهُ نفسُه من الجبلِ ويَحيا بينَهم. لقدْ أُعجِبُوا بوجهِهِ وأَخَذوا الوحيَ والإلهامَ منه، ثمَّ سَقَطوا المرَّةَ تِلوَ الأخرى في اهتماماتِ حياتِهم الفقيرةِ. وفي أَحَدِ الأيّامِ وُلِدَ طِفْلٌ في القريةِ، ومن تلكَ اللّحظةِ كانَ قادِراً على الرّؤيَةِ والإحساسِ والاستجابةِ للانطباعاتِ الخارجيّةِ، وعندما تَمَكَّنَ لاحِقاً من أنْ يَحبو ويَخرُجَ من الكوخِ الذي وُلِدَ فيه إلى أسفلِ الجدولِ، باغَتَهُ هذا الجمالُ والصّفاءُ والجَلالُ في هذا الوجهِ. كانَ الجميعُ يَرونَه جالِساً بقُربِ الجَدولِ لا يَعمَلُ شيئاً سِوى النّظرِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ومَرّتِ السّنواتُ، وأصبحَ الطِّفلُ صبيّاً صَغيراً، ثُمَّ شابّاً يافِعاً. وذاتَ يومٍ رأى سكانُ القَريةِ هذا الشّابَّ وهو يَمُرُّ بالقُربِ منهُم ويَصرُخُ: (إنّ إلهَنا هو في وسَطِنا). لقد تَمَكَّنَ من خلالِ تمعُّنه الشّديد في هذا الوجهِ من أنْ يُصبحَ مُتوافِقاً داخليّاً مع المحتوى الانفعاليِّ والرّوحيِّ له. وبالتّحديقِ العميقِ فيه أصبحَ وكأنَّه وجهُهُ، وسَمَحَ لنفسِه بأنْ يَدخُلَ في ذَلِكَ السُّكونِ والجلالِ والسَّلامِ والحُبِّ المشعِّ من هذا الوجهِ المنحوتِ على صَخرَةٍ. وهكذا أصبحَ وجهُهُ وجهَ الإلهِ نفسَهُ الذي استمرَّ في التّحديق فيه.

أعتقدُ أنّ لَدَينا هُنا شَيئاً جَوهريّاً فيما يتعلَّقُ بالقَداسَةِ، وكَذَلِكَ بالمكانِ الذي تستطيعُ القداسةُ البَشَريّةُ أنْ تَحتَلَّهُ في هذا المجتمعِ التّعدُّديِّ المعقَّدِ الذي نعيشُ فيهِ. فإذا عَرَفْنا كيفَ نُحَدِّقُ مَليّاً وبكُلِّ كياننا في وجهِ المسيح، ذَلِكَ الوجهُ غيرُ المرئيِّ، والذي بإمكاننا رؤيتُهُ بالعودةِ إلى أعماقِنا فقطْ، حيثُ نراهُ يظهَرُ من هُناك. وهو ما سيَمنَحُ الناسَ من حولِنا قُدْرَةَ أنْ يَحْيَوا مَرَّةً أُخرى تأثيرَ الهدوءِ والعُمْقِ والسَّلامِ والقُدرَةِ اللطيفةِ والقويّة، وسيُدرِكُون في نفسِ الوقتِ أنَّ هناكَ قداسةً في الكنيسةِ. ولن تحتاجَ هذه القداسةُ إلى بذلِ جهودٍ يائسةٍ لتؤكِّدَ نفسَها بُغيةَ جَعْلِ الآخرين يُدركون أنَّ الكنيسةَ مُقدَّسَةٌ. سيُدرِكُ الجميعُ ذلك، وهو ما يُظهِرُ أنّ الأمرَ بغايةِ الصُّعوبةِ عندَ النَّظَرِ إليه من الخارِج.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ القداسةَ بمجمَلِها هي قداسةُ اللهِ فينا؛ إنّها قداسةُ الشّراكةِ، وبطريقةٍ أو بأخرى تحتاجُ إلى عُمْقٍ أكثرَ من ذلك، سنتمكّنُ بمشاركَتِنا لما نستطيعُ أن نحصُلَ عليه من اللهِ أنْ نُصبحَ إعلاناً لما يفوقُنا، فنكونَ بالرّغْمِ من محدوديّتِنا كَشْفاً للنّورِ. ولكن يجبُ أن نتذكّرَ أيضاً، أنّ في هذه الحياةِ التي نبحثُ فيها عن القداسةِ، يجبُ أنْ تَبْرُزَ روحانيتُنا بشكلٍ موضوعيٍّ ومؤكّد. عندما نقرأُ كُتُباً عن الروحانيّات أو ننخرِطُ في دراسةِ الموضوعِ، فإنّنا نرى أنّه يَتمُّ تعريفُ الروحانيّة بشكلٍ متكرر، ضمنيّاً وظاهريّاً، على أنّها سُلوكٌ، أو حالَةٌ للرّوح أو للحالةِ الداخليّةِ والعُمْقِ الداخلي، وإلى ما هنالك. في الحقيقةِ إنْ كُنْتَ تبحثُ عن تعريفٍ كاملٍ للروحانيّة، أو تحاولُ أن تكتشِفَ المعنى العميقَ لها، تَجدُ أنّها ليستْ مجموعةً من حالاتِ الرّوحِ المعروفةِ لدينا، ولكنّها حضورُ وعَمَلُ الرّوحِ القُدُسِ، فينا وبواسطتِنا ومن خلالِنا، في العالم. أمّا كيفيّةُ التّعبيرِ عن ذلك فليسَ بالقضيّةِ الأساسيّةِ.

هنالك حقيقةٌ موضوعيّةٌ مُطلَقَةٌ لكلٍّ من القداسةِ والروحانيّةِ. الروحانيّةُ هي من الرّوحُ، أَلَمْ يَقُلْ لنا القدّيسُ بولسُ أنّ الرّوحَ القُدُسَ هو الذي يُعَلِّمُنا كيفَ نقولُ "أَبَتِ"؟ ألا يعني بقولِهِ أنّ الرّوحَ القُدُسَ (أي اللهَ نفسَه) هو الذي جَعَلَنا نَعرِفُ اللهَ؟ وعَلاوةً على ذلك

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أيضاً فإنّه لا توجدُ أيّةُ قداسةٍ إلا في الله، وأنّنا كجسدٍ للمسيحِ يمكنُنا المشاركَةُ في القداسةِ، في المسيحِ وفي الرّوحِ القُدُس.

إنْ كانَ هذا هو الحالُ، فإنّه يَخطُرُ على بالِنا سؤالٌ عن مدى كِبَرِ أهميّةِ ذلك. وعلى ضوءِ بحثِنا عن القداسةِ، وبمقدارِ تواجُدِها، وإنْ كُنّا نرغبُ أو لا نَرغَبُ بها، ومن خلالِ عَمَلِ العالمِ المخلوق الذي هو عالمُ الإنسان العالمُ المأساويُّ والمعقَّدُ الذي نعيشُ فيه. إنْ كانَتِ القداسةُ هي حضورُ المسيحِ نفسِه، وحلولُ الرّوحِ القُدُسِ الذي يجبُ أنْ تُعبِّرَ عنه قداسةُ الكنيسةِ في كلِّ فردٍ من أفرادِها، وفي هذا الجسدِ ككُلٍّ، فأينَ هي حدودُ هذا الحبِّ؟ وفي معنىً آخر، أين هي حدودُ إحساسِنا بالاتّحادِ والمسؤوليّةِ؟ هل هنالك أوقاتٌ يجبُ أنْ نُحرِّرَ فيها أنفسَنا ونقولَ: (أنا أتركُكَ، اِذهَبْ بطريقِكَ. إنْ اعتَرَفْتَ، إنْ تَغَيَّرْتَ، فسنَجدُ بعضَنا مَرَّةً أخرى. ولكن كما أنتَ، لا أستطيعُ أنْ أبقَى معَكَ). أو أنّه ليسَ هناكَ علاماتٌ لهذا التّحريرِ، أو أنّه ليس لتنازلِ الله فقط، ولكن أيضاً لاتّحادِه الكبيرِ والعاطفيِّ؟ وَضَعَنا الكتابُ المقدَّسُ في أكثرِ من مَرَّةٍ في حضورِ الحُبِّ الإلهيِّ، والذي هو حُبٌّ وتَعلُّقٌ، والذي هو شاملٌ وعاطفيٌّ، ويَضُمُّ كلَّ ما في داخلِنا.

أرغَبُ أنْ أَلفِتَ انتباهَكم إلى أمرٍ، وهو بالتّأكيد ليسَ بأمرٍ كتابيٍّ وليس له سلطانٌ بحدِّ ذاتِه، ولكنّه يبدو مُهِمّاً بالنّسبةِ لي. في القرنِ السّابعَ عشرَ، كانَ هناكَ كاهنٌ روسيٌّ يحمِلُ في قلبِهِ إيماناً راسِخاً، قد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كَتَبَ سيرةَ حياتِه. أرادَ أنْ يُبيِّنَ كيفَ يمكنُ للإنسانِ الذي لديه إيمانٌ أنْ يبقى مُخْلِصاً لما يُؤمِنُ بأنّه هو الحقيقةُ، بالرَّغمِ من التّعاليمِ الباطِلَةِ، أو ما يَعتبِرُه هو تعاليمُ باطِلةٌ للكنيسةِ المرئيّة. هناكَ مُقدِّمةٌ مُلحَقةٌ بسيرتِهِ الذاتيّةِ كَتَبَها هو بنفسِهِ، حيثُ تكلَّمَ في هذه المقدمةِ حولَ الاستشارةِ الإلهيّة التي سَبَقَتْ خَلْقَ العالَمِ، فقال: (على ضَوءِ ما نَعلَمُهُ حولَ اللهِ المتجسِّدِ، ألا يُمكِنُنا القولُ بأنّه في أحدِ الأيامِ قالَ الآبُ للابن: "يا بُنيّ، دَعْنا نَخلُقُ عالماً ماديّاً مَرئيّاً وإنساناً يعيشُ فيه" فيُجيبُ الابنُ: "يا أَبَتِ، لتَكُنْ مشيئَتُكَ". ويُضيفُ الآبُ: "يا بُنيّ، أنتَ تَعلَمُ أنّي إنْ فَعَلْتُ ذلكَ من خلالِكَ، سيأتي يومٌ يُنكِرُنا فيه الإنسانُ، وسيتَوجَّبُ عليكَ أنْ تموتَ لكي نُعيدَهُ إلينا". فيُجيبُ الابنُ: "لتَكُنْ مشيئَتُكَ يا أَبَتِ!" وتَمَّ خَلْقُ العالَم). هذا أمرٌ صحيحٌ، لأنّ الكاتِبَ هُنا لا يَدَّعي بأنّه يُعبِّرُ عن حقيقةِ الكتابِ المقدّس في كلماتٍ أخرى، ولكنّه يُعبِّرُ عن حقيقةٍ داخليّةٍ عميقةٍ: اللهُ بحكمتِهِ الإلهيّة أراد ودَعا البَشَرَ ليكونوا عالِمين تماماً بالتّبعاتِ التي تَدعو إليها هذه الحِكمةُ التي خَلَقَتْ عالماً حُرّاً من العَدَمِ، والذي قد يكونُ هو عالَمُ اللهِ نفسُه. هذا هو الصّراعُ بينَ اللهِ والعالَمِ إنْ جازَ التّعبيرُ. وهذه هي المأساةُ التي غالباً ما نَتَذَمَّرُ منها، وهي مؤلِمَةٌ لله أكثرَ مما هي مؤلِمَةٌ للعالَمِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

من خلالِ تاريخِ العَهدَين القديمِ والجديدِ نَرى كيفَ أنّ اللهَ فيما بعدُ تحمَّلَ كاملَ المسؤوليّةِ لخلقِهِ العالم، وبشكلٍ تـــدريجيٍّ أرســـلَ اللهُ الأنبياءَ، وأعلنَ عن مشيئتِه، وكَشَفَ عن عُمْقِ تفكيرِهِ. أَلَـــمْ يَقُـــلْ عاموسُ في العهدِ القديمِ: بأنّ النبيَّ هو مَنْ يُشاركُه اللهُ بأفكارِهِ، ويَبقى مؤمِناً عندما تتحوَّلُ الخليقةُ عن الإيمان – تذكّرْ هوشَع والصّور التي أعطاها عن الزّوجِ المخلِصِ لامرأتِه التي هَجَرَتْه (هوشـــع3). ولهـــذا، وفوقَ كلِّ شيءٍ، هناكَ عَمَلٌ أحاديُّ الجانبِ من قِبَلِ اللهِ، ولكنّه عَمَلٌ يتحمَّلُ اللهُ من خلالِه المسؤوليّةَ بشكلٍ كاملٍ ونهائيٍّ. وهذا أمرٌ مهمٌ. لأنّنا إنْ كُنّا نَحيا "في اللهِ" فعَلَينا أنْ نتشارَكَ مَعَهُ، أنْ نتحَمَّـــلَ علـــى الأقلِ نصيبَنا من هذهِ المسؤوليّةِ الإلهيّةِ. إنّ اختيارَنا أنْ نكـــونَ نحـــنُ الكنيسة ليسَ امتيازاً، بل إنّه بشكلٍ أساسٍ اختيارٌ لمشارَكَتِنا في فِكْرِ اللهِ وقلبِهِ، ولمشارَكَتِنا أيضاً في عَمَلِ المسيحِ من خـــلالِ التّجسُّـــدِ، وتَدبيرِ الخلاصِ. وأودُّ أنْ أؤكّدَ هنا على شِدّةِ وفعاليّةِ هذا الاتّحـــادِ، وببساطةٍ أنْ نُفكِّرَ في كلماتِ المسيحِ، وخاصّةً تلكَ الأخـــيرةُ الـــتي تَلَفَّظَ بها على الصّليب: "إلهي، إلهي لماذا تَرَكْتَني؟".

عندما نتحدَّثُ عن اتّحادِ المسيحِ مع الإنسانِ في سِرِّ التّجَسُّـــد، فنحنُ نُفكِّرُ باستمرارٍ بالتّعابيرِ الرئيسيّةِ والثانويّةِ لهذا التّناقض. إنّنـــا نأخذُ بعينِ الاعتبارِ القيودَ والحدودَ التي فَرَضَها الكلمةُ الإلهيّةُ علـــى نفسِهِ بدخولِهِ في الزّمنِ، وبجَعْلِ نفسِه محدوداً بمكـــانٍ؛ إنّـــه جـــائعٌ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وعَطشانٌ ومُتعَبٌ. وعلى مستوىً آخرَ فإنّه يبحَثُ عن الخَطأةِ ويَقبَلُ برفقتِهم. إنّه يعيشُ في وَسَطِ الكُرْه، هذا الكُرْهُ الذي سيَقتُلُه في أحدِ الأوقاتِ. هذان التّعبيران الأخيران يبدوان لي ضعيفَين جدّاً، وهنا يَكمُنُ ضعفُهما (الحقدُ البَشَريُّ يقتُلُه). إنَّ هذا النَصَّ هو ما يَمنَعُ الناسَ من إدراكِ خصوصيّةِ موتِ المسيح. إنْ كانَ الأمرُ يتعلَّقُ بالموت فكلُّ الذين رَغِبوا بالفَناء قد ماتوا، وهو لم يفعلْ شَيئاً لنْ يتوجَّبَ على كلٍّ منّا أنْ يقومَ به يوماً ما. إنْ كانَ الأمرُ يتعلَّقُ بالمعاناةِ، فهناكَ الملايينُ من البَشَرِ الذين عَانَوا بشِدَّةٍ أكثرَ مما عاناهُ المسيحُ على الصّليب. لقد صُلِبَ لِصّين بنفسِ الوقتِ معه، وماتُوا مَوتاً بشريّاً على الصّليب. إنْ عُدْنا إلى الإصحاحِ الحادي عشرَ من الرّسالةِ إلى العبرانيين، نرى أنّ المعاناةَ والرُّعْبَ البَشَريّين – حتى فيما يخصُّ القداسةَ – قد تَجاوزا كلَّ ما يُمكِنُ أنْ نتخيَّلَه عن الألمِ الجسديِّ الذي عانى منهُ المسيحُ. إنّ مأساةَ موتِهِ ليستْ هي مُشارَكَتَه القُصوى في مأساةِ البشرية وقَدَرِها فقط.

إنّ المأساةَ البشريّةَ الكُبرى هي (الفَناءُ)، وهذا الفَناءُ مُرتَبِطٌ بالخطيئةِ وبالانفصالِ عن الله. ومن هنا فإنّ موتَ المسيحِ واتّحادَه معنا يتضمَّنُ معنىً مخيفاً أكثرَ مما نتخيَّلُ. القدّيسُ مكسيموسُ المعترفُ في دراستِهِ عن سرِّ التجسُّدِ يقولُ: (إنّ الأمرَ غيرَ القابلِ للنّقاشِ أو التّفكيرِ، هو أنّ الجسدَ البشريَّ الذي اتّحدَ بشكلٍ أبديٍّ مع الألوهةِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

قد يكونُ جَسَداً فانياً). أنْ تكونَ فانياً يعني أنْ تكونَ مُنفَصِلاً، وهو يؤكِّدُ على حقيقةِ أنّه منذُ لحظةِ تجسُّدِ يسوعَ الناصريِّ، وبسبب اتّحادِ الألوهةِ بالبشريّةِ، فإنّ هذا الجسدَ أصبحَ غيرَ فانٍ، وصارَ مُعتَقاً من الموتِ. موتُهُ ليسَ فقط قبولَهُ ببساطةٍ للهيئةِ البشريّةِ، ولكنّه مَشروطٌ باختبارِهِ الكُليّ للمأساةِ البشريّةِ، والتي هي خَسَارَةُ الله، والموتُ بسببِ ذلك.

هُنا لَدَينا شيءٌ هامٌّ للغايةِ: إنّ المسيحَ بتَجَسُّدِهِ قد قَبِلَ عُنُقَ مأساتِنا بكاملِها. واستناداً إلى قولٍ قديمٍ، فإنّ كلَّ ما لم يُشارِكْ فيه المسيحُ بقيَ خارجَ سِرِّ الخلاصِ. لو لم يُشارِك المسيحُ في انفصالِنا عن الله وابتعادِنا عنه، فيما سمَّاهُ أحدُ اللاهوتيين (الكُسوفُ النّفسي) الذي جَعَلَهُ يَخسَرُ حضورَ الله، فلنْ يكونَ مُشارِكاً تماماً بموتِنا، وسيكونُ فناؤُنا خارجَ سِرِّ انعتاقِنا من الخطيئةِ.

لذلكَ نحنُ نَرى كَمْ يتدَخَّلُ ويتغلغلُ الحبُّ الإلهيُّ في هذا الاتّحادِ معَنا. المسيحُ لا يَكتَفي بأنْ يقبلَ أنْ يكونَ واحداً منّا، ولا أنْ يكونَ مُشارِكاً بكلِّ شيءٍ عدا الخطيئةَ، بل إنّه يُصِرُّ على أنْ يشارِكَنا في الانفصالِ والغُربةِ، في حقيقةِ أنْ يُصبحَ غَريباً مَنبوذاً من الآبِ، بُغيةَ أنْ يُشارِكَ الإنسانُ في مأساتِهِ: (الإلحادُ).

لقد تَمَّ التّعبيرُ عن هذه الفِكرةِ في العقيدةِ الرسوليّة، وذلك عندما نقولُ "انحدَرَ إلى الجحيم". إنّه لَدَينا منذُ زمنِ (دانتي) تَصوُّراً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عن أنَّ الجحيمَ هو جحيمُ العذاب، ولكنّ الجحيمَ المذكورَ في العهدِ القديمِ ليسَ هو جحيمُ العذاباتِ، إنّه عالمُ الموتِ، والذي هو بكلِّ بَسَاطَةٍ يُمثِّلُ مكاناً تنفصِلُ فيه روحُ كُلِّ كائنٍ بَشَريٍّ عنهُ، إنّه المكانُ حيثُ لا وجودَ للهِ فيهِ. هذه الهُوّةُ الكبيرةُ الموجودةُ – قبلَ تحريرِنا من الخطيئةِ بالمسيح – بينَ اللهِ والإنسانِ، المسيحُ المخلِّصُ فقط يَملَؤُها الآن. "لقد انحدرَ إلى الجحيمِ".

يفتَحُ الجحيمُ بابَهُ على مِصراعَيْه لاستقبالِ ضحيّةٍ جديدةٍ، ليُركِّزَ من خلالِها على نَصْرٍ نهائيٍّ على اللهِ، دونَ معرفةٍ من هي هذه الضّحيةُ. وإلى هذا الجحيمِ الذي يَستقبلُ الإنسانَ، يدخُلُ اللهُ بنفسِهِ. وأعتقدُ أنّه توجدُ نفحَةٌ إلهيّةٌ هنا تُثبتُ ما تَنبَّأَ به كاتبُ المزاميرِ حينَ قالَ: "إلى أينَ أهرُبُ من أمامِ وجهِكَ؟ إلى السّماءِ؟ ولكنّها عَرشُكَ! إلى الجحيمِ؟ ولكنّكَ هناكَ موجودٌ أيضاً!". لا يوجَدُ شيءٌ في الإنسانِ المخلوقِ، ما عَدَا الخطيئةَ، إلا واختَبَرَهُ المسيحُ حقيقةً. كلُّ شيءٍ موجودٌ فيه، ولا يوجَدُ مُلحِدٌ في العالمِ قد اختَبَرَ الإلحادَ وخَسارَةَ اللهِ، كما اختَبَرَها المسيحُ ابنُ الإنسانِ الذي ماتَ على الصّليبِ بصَرخَةِ الألمِ. هُنا أيضاً نَرى اتّساعَ المحبّةِ الإلهيّةِ، وعُمْقَ قبولِ ذلك من اللهِ لكلِّ شيءٍ بَشَريٍّ (لا شيءَ بَشَرياً هو غريبٌ عنّي) كما يقولُ ترتيليانوسُ. ربَّما لم يَعلَمْ كَمْ كانَ تأثيرُ قُبولِ هذه الطّبيعةِ البَشَريّةِ على اللهِ. لقد ماتَ دونَ خطيئةٍ، ولأَجْلِ منْ ماتَ؟ لقد ماتَ عنّا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولأجلِنا. أَلَيستْ هذهِ هي المهمَّةُ الإلهيّةُ، أنْ يموتَ عنّا ويُخلِّصَنا من الخطيئةِ؟

أودُّ الآنَ أنْ أتحدَّثَ عنِ الصّلاةِ وصِلَتِها بالقداسةِ التي تحدَّثْنا عنها سابقاً. القداسةُ والصّلاةُ بالنّسبة لي هما جَوهَران لتجربةٍ ثنائيّةٍ. وليستَا تجرِبَتين، وإنّما تجربةٌ ثنائيّةٌ ذاتُ علاقةٍ تبادليّةٍ.

ثَمَّةَ ذهولٌ نحسُّ به في اللحظاتِ القصيرةِ الصّادقةِ التي نُدرِكُ فيها اللهَ، والتي نكادُ فيها أنْ نَلمِسَ هُدْبَ ثوبِهِ. لحظاتُ الذّهولِ هذه هي ومضاتٌ خاطِفَةٌ من التّأمُّلِ، تتركُنا في حالةِ تأمُّلٍ وصلاةٍ، وتضعُنا على حدودِ تأمُّلِنا العميقِ وحياتِنا مع اللهِ. ومن جهةٍ أخرى، وفي القُطبِ الآخرِ لهذه التّجربة المتبادَلَة للقداسةِ والصّلاةِ، يمكنُنا أنْ نَجِدَ اليأسَ والشّفقةَ؛ اليأسُ الذي نَراهُ، مَثَلاً في نهايةِ الإصحاحِ العاشرِ من إنجيلِ القدّيسِ مُرقسَ، يأسُ الأعمى بارثيماوس في بوابةِ أريحا، يأسُ إنسانٍ عانى من العَمى وجاهَدَ بسببِ فُقدانِ بَصَرِهِ لسنواتٍ عديدةٍ، ولكنّه في النّهاية تقبَّلَ هذا العَمى. وفجأةً يسمعُ بأنّ هناكَ إنساناً يعيشُ في الجليلِ في اليهوديّةِ، لَدَيه القدرةُ على مَنْحِ البَصَرِ لإنسانٍ وُلِدَ أَعمى، وأنْ يَشفيَ كُلَّ مَرَضٍ، وأنْ يَشفي كُلَّ وَهَنٍ. وأنّ هذا الإنسانَ سيزورُ المدينةَ. وهذه اللّحظةُ عندما يَزورُهُ الرّجاءُ الأخيرُ هي لحظةُ استعادةِ وإيقاظِ كافّةِ مشاعِرِ اليأسِ التي يحملُها بداخِلِه، وهي أيضاً مشاعِرُ الرّجاءِ والأمل.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يُمكِنُنا أنْ نصلّيَ في أوقاتٍ نُدرِكُ فيها عَمَانا، ونعني بذلكَ كلَّ ما يجعلُنا عُمياناً عن اللهِ وعن كلِّ ما يحيطُ بنا. وعندما نَشعُرُ بأنّ الذي يُمكِنُه شفاؤُنا هو موجودٌ بجانبِنا، تتصاعَدُ الصّلاةُ في الأوقاتِ التي نُدرِكُ فيها بعُمْقِ انفصالِنا عن اللهِ، ومن أنّ حياتَنا أصبَحَتْ آيلةً إلى الموتِ. الفراغُ الذي هو في داخِلِنا ويَحومُ حولَنا من كلِّ الجهاتِ، والذي هو على استعدادٍ أنْ يبتَلِعَنا. وعندما نُحوِّلُ نظرَنا إلى الآخرين، عندما يكونُ اليأسُ مُرتبطاً بالرّجاءِ، وهو عينُ الرّجاء الذي كانَ لدى بارثيماوس، إنّه الألَم الذي يتحرّكُ في داخِلِنا، والذي هو قُدرَتُنا على المعاناةِ بعمقٍ، وبانفعالٍ، وليسَتْ هي معاناةُ الآخرين. وذلكَ لأنّ الإنسانَ لا يُمكِنُه مُطلَقاً أنْ يُعانيَ معاناةَ الآخرِ أو حتّى يفهمَها، ولكنْ يمكنُ للإنسانِ أنْ يَشعُرَ بالألَمِ من معاناتِه. وبطريقةٍ غريبةٍ تتجاوزُ كلَّ الخِبراتِ، يُشارِكُ بهذا الألَمِ بالاتّحادِ بجسدِ المسيحِ، بالألَمِ العامِّ الذي هو ألَمُ السيِّد.

ثَمَّةَ رابطٌ بينَ (التّأمُّلِ والشَّفاعةِ)، بينَ تأمُّلِ اللهِ وهذه الصّلاة الحيّة والمتماسِكة الموجّهةِ إلى الحاضِرِ، وإلى العالَمِ الذي نعيشُ فيهِ.

أمضى راهِبٌ روسيٌّ من ديرٍ موجودٍ حالياً في فنلندا، خمسينَ عاماً في ديرِهِ دونَ الموافقةِ على القيامِ بنذورِهِ الرهبانيّة قائلاً: (أنا غيرُ مُستَحِقٍّ، لا أعلمُ حتّى الآنَ كيفَ أُحِبُّ...) وعندما سُئِل: (ولكن ما هو الرّاهبُ بعدَ كلِّ هذا؟) أجابَ: (الرّاهبُ هو الذي يَنوحُ ويَبكي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لأجلِ كلِّ العالم). نَرى هنا إنساناً أَمضى خمسينَ عاماً في حياةٍ تأمليّةٍ كامِلَةٍ، لم يَهتمّ بأيِّ شيءٍ. وهو في الأعوامِ العشرين الأخيرة من حياتِه كانَ طَريحَ الفِراشِ لأنّه فَقَدَ خلالَ عملِهِ ذِراعاً ورِجْلاً وأَصبحَ أَعمى. وبالرّغمِ من ذلكَ رَفَضَ كُلَّ النّذورِ الرهبانيّةِ في الدّير، لأنّه بَدَا له أنّه من المستحيلِ أنْ يُحِبّ وأنْ يكونَ راهِباً، أي أنْ يكونَ وحدَهُ مع الله ليسَ في عُزلَةٍ مُنقَطِعَةٍ، وإنّما يكونُ في حالةِ عُزلَةٍ حَيَّةٍ ومُتَّقِدَةٍ. لذلكَ هناكَ رابطٌ لا يَسمَحُ بالفَصْلِ بينَ التّأمُّلِ في الصّلاةِ وبينَ عِبادَةِ الله وفِعْلِ الصّلاة، حيثُ صلاةُ الشّفاعةِ والحضورُ الجَسَديُّ في الصّلاة. إنّ هذا يُمكِنُ أنْ يتحقَّقَ فقط إلى درجةِ أنْ يُصبحَ وجودُنا الجَسَديُّ هو حُضورُ الله من خلالِنا، وحضورُ الأبديّةِ في الزّمنِ الحاضِرِ من خلالِنا، حيثُ أنّنا نبقى جسدَ الكنيسةِ، وما تبقّى منّا يقومُ بعملِهِ. إنْ كُنّا في عملِنا في العالمِ غيرَ مرتبطين بالله، فإنّنا سنسقُطُ مَرَّةً أخرى في حالةِ المجتمعِ البَشَريّ الذي لَدَيه إيديولوجيّةٌ معيّنةٌ، ولكن ليسَ لديهِ حقيقةً سامِيةً.

إنْ كُنّا نُريدُ أنْ نُمارِسَ نشاطَنا ونكونُ في الوقتِ نفسه تأمُّليّين، إنْ كُنْتَ تَرغَبُ باتّباعِ خَطِّ القداسةِ أو التّواصلَ مع الحياةِ الإلهيّة بطريقةٍ خلاّقةٍ، وأنْ تكونَ في الوقتِ نفسه في وَسَطِ هذا العالَمِ، سواء تَوَحُّدِيّاً – لأنّ المتوحِّدَ الآنَ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مَضى غيرُ قادرٍ على أنْ يكونَ مُنعَزِلاً بشكلٍ كاملٍ – أو مُرتَبِطاً بشكلٍ فعّالٍ في الحياةِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يجبُ أنْ نتعلَّمَ طريقةُ الصّلاة التي تَهَبُنا استقراراً داخليّاً، وليسَ استقراراً نفسيّاً (الذي ينقصُنا، ولكن ليسَتْ هذه هي المشكلةُ ولا هذا هو الحَلُّ المرتَقَبُ في هذه المرحلةِ). تمنحُنا استقراراً داخليّاً يَسمَحُ لنا بالوقوفِ دونَ حراكٍ وجهاً لوجهٍ أمامَ اللهِ الحيِّ. يجبُ أنْ نَسعى إلى صلاةِ الحضورِ، حضورُنا مع اللهِ وحضورُه في العالمِ من خلالِنا، وهذه هي إحدى مفاهيمُ الشّفاعةِ.

أرغَبُ بقولِ بِضعَةِ كلماتٍ حولَ هذا المفهومِ بُغيةَ أنْ أستخدِمَه فيما سأقولُهُ تِباعاً. أرغبُ أن أعطيَ قِصَّةَ عُرْسِ قانا الجليل مِثالاً على صلاةِ الشّفاعةِ، والتي هي بمثابة حضورِ اللهِ.

أنتُم تَعرِفون القِصَّةَ. عُرْسٌ قَرويٌ بَسيطٌ وفَقيرٌ، وقد حَضَرَهُ السيِّدُ المسيحُ ووالدةُ الإلهِ والرُّسلُ الذين كانوا مدعوّين (يو2:1-10). قبلَ أنْ تمتلِئ قلوبُهم فَرَحاً بوقتٍ طويلٍ، وقبلَ أنْ يغمُرُهم هذا الفرحُ، بدأَتْ وسائِلُ الفَرَحِ البَشَريّ تَنفُذُ. أصبحَتِ الأضواءُ خافِتَةً فقد انتهى الطّعامُ ونَفَذَ الخَمْرُ. في هذهِ اللّحظةِ قامَتِ السيِّدةُ العَذراءُ بفِعْلِ (حُضورٍ) وليسَ بالمعنى العاميّ للكلمةِ، أيّ أنْ نقومَ بعَمَلٍ متميّزٍ يَعبِّرُ عن المشارَكَةِ الداخليّةِ. ولكنّها قامَتْ بعَمَلٍ يُؤكِّدُ حضورَها وبأنّها مُشارِكَةٌ بشكلٍ كامِلٍ. وكما سنَرى فإنّها كانَتْ مُشارِكَةً تماماً بتِلكَ التّجربةِ الثنائيّةِ الجانبِ، وهي التي تجعلُ التأمُّلَ فَعّالاً والفِعْلَ تأمُّليّاً. توجَّهَتْ إلى السيِّدِ قائِلَةً له: "ليسَ لَهم خَمْرٌ" ماذا تطلُبُ مريمُ؟ هل كانَتْ تَرغَبُ منَ السيِّدِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنْ يقومَ بعَمَلٍ سحريٍّ، وأنْ يُكثِّرَ الخَمرَ حتّى يَسكَرَ الضّيوفُ ويَناموا تحتَ الطّاولاتِ؟ هل هذا هو الفَرَحُ الذي تُريدُه لهمْ؟ قَطْعاً، لا! إذاً هناكَ شيءٌ آخر، هناك إحساسٌ داخليٌّ مُسبَقٌ، مَعرِفَةٌ مُسبَقَةٌ بأنّه لو أعطاهُمُ المسيحُ ما يرفُضُه العالمُ الآنَ، فإنّ هذهِ الهِبة ستكونُ – وبنفسِ الوقتِ – أمراً للحياةِ الأبديّةِ. نَظَرَ المسيحُ نحوَها وسألَها "ما لي ولكِ يا امرأة؟ لم تأتِ ساعَتي بَعْدُ". أنا أعلمُ بأنّ هُناكَ تَرجَماتٍ دينيّةً تحاولُ تجنُّبَ جُملَةٍ تبدو غيرَ مفهومَةٍ وصَعبةٍ، والتي تبدو كإهانةٍ للسيِّدةِ العذراء. وجَرَتْ محاولاتٌ واسعةٌ لترجمةِ هذه الجملةِ باختصارٍ، بحيث تكونُ واضِحةً تماماً من حيث المعنى قائلين: "ماذا يعني هذا الأمرُ لي ولكِ؟". لكن (ماذا يَعني لنا؟) هو قولٌ منْ غيرِ المستَحَبِّ أنْ يقولَه المسيحُ والذي معناه: "ماذا يَعنيني إنْ انتهى فرحَهُم، ماذا يعني لي إنْ لم تنتهِ حفلتُهم ولم تَصِلْ إلى تمامِها؟ أَلَسْنا نحنُ المدعوونَ قد أكَلْنا كفايَتَنا؟" هل هذا ما كانَ يقصُدُه؟ بالتّأكيد كلا، لأنّ عبارةَ "ساعَتي لم تَأتِ بَعْدُ" هي عبارةٌ تتعلَّقُ بالحياةِ الأبديّةِ وحضورِ الملكوتِ، ولا تُشيرُ ببساطةٍ إلى القيامِ بعَمَلٍ عجائِبيٍّ. عبارةُ "ما لي ولكِ يا امرأة؟" كيفَ يُمكِنُنا أنْ نفهَمَ هذه الجملةُ؟ يُعلِّقُ القدّيسُ يوحنّا الذّهبيُّ الفمِ عليها بطريقةٍ تبدو لي أكثرَ من غريبةٍ: أنا أعتقدُ بأنّه يُفسِّرُ بالطّريقةِ النفسيّةِ الحديثةِ التي تَرى دائماً كافّةَ الأخطاءِ هي من الوالِدَين. هُنا، وبرأيِّهِ، ليستِ السيِّدةُ العذراءُ وحدَها هي الملومَةُ، بل كُلُّ الأمهاتِ اللواتي لم تَستَطِعْنَ تجاوزَ مسألةِ كونِهنَّ قد جَلَبْنَ أطفالاً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إلى هذا العالم، فَقدْ أصبحَ لديهُنَّ حقوقٌ أساسيّةٌ عليهم حتّى مماتِهم. لذلكَ فهي أعطَتْ لنفسها الحقَّ..... والمسيحُ قد أعادَها إلى مكانها. أنا أعتقدُ بأنّ القدّيسَ يوحنّا الذّهبيَّ الفمِ في هذه الحالةِ، ودونَ أيِّ نقصٍ في الإيمانِ، لم يَفهَمِ النصَّ. بعضُ التّعليقاتِ الأخرى على هذا النّص بَدَتْ لي أكثرَ مُلاءَمةً "ما لي ولكِ يا امرأةُ؟" لماذا أنتِ من يطلُبُ هذا؟ هل لأنّكِ أمّي بالجَسَدِ، وتَظُنّين بأنّ لكِ حقوقاً عليّ؟ (إنّنا في نفسِ مفهومِ القدّيسِ يوحنّا الذّهبيِّ الفمِ) أو (هلْ كلُّ ما تَعلَّمْتِهِ من الملاكِ، كلُّ ما حَفِظْتِهِ في قلبكِ وتأمَّلْتِ بهِ في حياتِكِ قد كَشَفَ لكِ بأنّني "أنا هُنا"). هذا هو (الحُضورُ) الذي جَعَلَ العُرسَ البشريّ يَكشِفُ أبعادَ عُرْسِ الحَمَل؟ "إنْ كُنْتِ تَطلُبينَ ذلِكَ لأنّكِ أُمّي بالجسَد فإنّ ساعتي لم تأتِ بَعد". لقد أَبقى السؤالَ مُعلَّقاً. لم تُجب السيِّدة العذراء: "أَلسْتُ أنا أُمُّكَ؟ ألا تَعلَمُ كم أؤمنُ بكَ؟" وإنّما أجابَتْهُ بإيماءةٍ فقطْ كانَتْ مُعبِّرةً أكثرَ من الكلماتِ. توجَّهَتْ إلى الخَدَمِ قائِلَةً لَهم: "مهما يَقُلْ لكمْ أنْ تَفعَلوا، فافعَلُوه". لقد قامَتْ بفِعْلِ إيمانٍ غيرِ محدودٍ وكُلّيٍّ، الإيمانُ الذي ارتَكَزَتْ عليهِ البشارة، والذي احتَمَلَتْ شهادَتُه. الإيمانُ الذي جعَلَها أمَّ الطّفلِ الإلهِ، والذي قد أَصبحَ مُعلَناً بملئِهِ. لأنّها آمَنَتْ بطريقةٍ تامّةٍ فقد أسّسَتْ في هذه اللّحظة، وفي هذا العُرْسِ القَرويِّ، لمملكةِ الله. لأنَّ مملكةَ الله هي حيثُ نُقدِّمُ لله قَلباً نقيّاً وإيماناً خالياً من أيِّ شَكٍّ. هناكَ قَولٌ قَديمٌ لإسرائيلَ: "اللهُ موجودٌ في كلِّ مكانٍ يَسمَحُ له الإنسانُ بدخولَه". السيِّدةُ العذراءُ، بمِثْلِ هذا الإيمان، حقَّقَتْ شُروطَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المملكةِ، وفَتَحَتْ للهِ أبوابَ هذا العُرْسِ القَرويِّ. لذلكَ فقدْ أَتَتْ ساعةُ الرَّبّ: إنّها ساعةُ الملكوتِ، حيثُ كلّ شيءٍ في تناغمٍ مع اللهِ لأنّ الإنسانَ قد آمَنَ. لقد بارَكَ المياهَ، المياهَ غيرَ النافِعَةِ، المياهَ المتّسخةَ بسببِ الغسيلِ، وحوَّلَها إلى خَمرِ الملكوتِ، إلى إعلانٍ وكَشْفٍ عن الشيءِ الأعظمِ الذي جَعَلَ هذا العرسَ، والذي بَدَأَ بشريّاً، أنْ يَكشِفَ عن ملكوتِ اللهِ.

أنتَ تَرى ماذا يمكِنُ أنْ يكونَ هذا الحضورُ وهذهِ القداسةُ؛ حضورُ اللهِ، لأنّ كائناً بشريّاً واحِداً كان حاضِراً أمامَ اللهِ. عندما يحدثُ هذا في عالمِ الكنيسةِ، نَجدُ أنفسَنا في حَضْرَةِ شَعبِ اللهِ، الذي هو مكانُ الحضورِ الإلهيِّ. وإنْ رَغِبْنا بالصّلاةِ في هذا الوَضعِ، يجبُ أنْ نتعَلَّمَ الصّلاةَ بثَباتٍ وهدوءٍ؛ الثّباتُ بحيثُ نَجدُ طَريقةً للصّلاةِ عندما نَقِفُ وَجهاً لوجهٍ أمامَ اللهِ دونَ حَراكٍ، وبسُكونٍ وتأمُّلٍ عميقَين، وبذهولٍ وألمٍ كوننا في حَضرَةِ اللهِ. السّببُ الذي يَجعلُنا على الأغلبِ نَفقُدُ هذا الحضورَ هو أنّ صلاتَنا، وليسَ حياتُنا فقط، مُتَحرِّكَةٌ ومُتغيِّرَةٌ دائماً. نبدأُ بفكرةٍ ثم ننتقلُ إلى الأُخْرى، دائماً نُغيِّرُ مجالَ وضوابطَ عملِنا. اللهُ يبقى دائماً كما هو، ثابتاً. ولكنّنا نُقَدِّمُ له صلاةً متغيِّرةً تُعبِّرُ بشكلٍ دائمٍ عن التّغييراتِ الداخليّةِ والخارجيّةِ، حتّى أنّها تكونُ مَشروطَةً. إنْ تَلَوْنا صلواتٍ متغيِّرةً فعلينا أنْ نُعدِّلَ ونُغيِّرَ قلوبَنا وروحَنا بطريقةٍ مُعقَّدَةٍ جدّاً، وكثيراً ما ينقصُها الاعتدالُ في حالاتٍ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

متعددةٍ. سواءٌ كانَتْ تلك هي صلواتُنا الخاصّةُ – والتي غالِباً ما تكونُ غنيّةً ومُنمَّقةً – كما نجدُها في المسيحيّةِ في القرونِ الوسطى، أو تِلْكَ المأخوذةُ من الصّلواتِ البيزنطيّةِ.

إذاً الأمرُ الأوَّلُ هو أنْ نُحضِّرَ أنفسَنا للوقوفِ أمامَ الله. وهذا مختلفٌ تماماً عن القيامِ بالصّلاةِ أو العَجْزِ عن ذلك، لأنَّ الإحساسَ بالتّوتُّرِ الداخليِّ والاندِفاعَ والحركَةَ هي حالاتٌ داخليّةٌ لا تَرتَبطُ بظروفِ حياتِنا. نحنُ بالتّأكيدِ نَرى أُناساً طاعَنين في السِّنِّ أو عاجزينَ يحمِلُون حقيبةَ السّفرِ، ويُحاوِلون بُكلِّ سُرعَةٍ مُمكِنَةٍ أنْ يَصِلوا إلى الحافلةِ التي على وَشَكِ الانطلاق. إنّهم يَستَعجلون بجُهدٍ كَبيرٍ، ولكنْ بموضوعيّةٍ، لأنّ حركتَهم بطيئةٌ وثقيلةٌ، وتغيّرُ حالتِهم يكونُ بحدودِه الدنيا. وأنتَ تعلَمُ أيضاً كمْ هو سَهْلٌ بالنّسبةِ لنا عِندَما نكونُ في عُطلَةٍ وليسَ لَدَينا أيُّ هَدَفٍ مُحددٍ، أنْ نسمَحَ بسيطَرَةِ خُمولٍ كُليٍّ في ذواتِنا. أحدُ الآباءِ من القرنِ الخامس قالَ: (بأنّه يجبُ أنْ نبنيَ أنفسَنا بشكلٍ جيدٍ داخليّاً دونَ بناءِ أيِّ شيءٍ خارجيّ). وبنفسِ الوقت قلوبُنا مليئةٌ فَرَحاً، ونحنُ نتحرَّكُ بُسرَعَةٍ، ونكونُ قادِرين على التّصرُّفِ بُسرعَةٍ وحيويّةٍ. لماذا؟ لأنّه ليسَ هناكَ ما نبحَثُ عنهُ؛ هدفُنا وغايةُ حياتِنا في هذه الحالةِ هو أنْ نكونَ حيثُ نحنُ الآن، وتكونَ حياتُنا عاديَّةً، بينما نحيا في الأحوالِ العاديّةِ وبشكلٍ دائمٍ تقريباً، وكأنَّنا نُحاوِلُ أنْ نلحَقَ بالحافلةِ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لدينا مفهومٌ خاطئٌ للوَقْت. يقولُ أَحَدُ الفلاسِفَةِ الـرّوس مـن القرنِ السّابعَ عشرَ بأنّ الشيءَ المُذْهِلَ في الحياةِ، هو أنَّ كلَّ ما هـو ضروريٌّ بسيطٌ، وكلَّ ما هو مُعقَّدٌ عديمُ الفائِدةِ. في الواقعِ إذا كـانَ بإمكاننا أنْ نتذكَّرَ بأنّ الوقتَ لا يَنفُذُ، وبأنّه بخطوةٍ بطيئةٍ أو سَـريعةٍ يتّجهُ إلينا، عندَها سيكونُ خوفُنا من أنْ نخسرَه أقلَّ. هل تظنُّ بـأنّ اندفاعَكَ إلى ساعةِ موتِكَ بأسرعِ وقتٍ ممكنٍ، سـتكونُ قـادِراً أنْ تُمسكَ بها أو تَمنعَها من المجيءِ إليكَ؟ هل تعتقدُ بأنَّكَ إنْ اسـتَمَعْتَ إليّ بسُكونٍ وهدوءٍ، فإنَّ ساعةَ خلاصِكَ لنْ تأتيَ؟ في كِلتا الحالتَين فإنّ الوقتَ هو من يتَّجهُ إليكَ، لذلكَ لا حاجةَ لأنْ تَركُضَ وراءَه. إنّـه آتٍ، وأنتَ لن تَهرُبَ منه أكثرَ من هروبه مِنْكَ. لذلكَ يمكنُ أنْ نبنيَ أنفسَنا بهدوءٍ حيثُ نحنُ، مُدركين أنّه إنْ كانَ هناكَ حاجةٌ للوقتِ أن يتّجهَ نحوَنا، فإنّه حتماً سيأتي إلينا بخطواتٍ واثقةٍ ومنتظمةٍ، وأحيانـاً أسرعَ بكثيرٍ من سرعةِ استعدادِنا للقائِهِ.

من جهةٍ أُخْرى، فإنْ نحنُ قُمْنا ببناءِ أنفسنا بهـدوءٍ وسـلامٍ في الوقتِ الحاضِرِ، فنحنُ نعيشُ في عالمِ الحقائِقِ. بينمـا إنْ اسـتعجَلْنا المستقبلَ، فنحنُ نتّجهُ إلى عالمِ الخيال. وأعتقدُ أنّ إدراكَ أهميّةِ هـذا الأمرِ هو شيءٌ أساسيٌّ. يجبُ أنْ نتعَلَّمَ كيفيّـةَ اسـتخدامِ الوقـتِ؛ الوقتِ الذي من خلالِه نَجدُ – أو على الأقلِّ يُمكِـنُ أنْ نَجـدَ – الأبديّة. لأنّ الأبديّةَ والوقتَ غيرُ مُتَكافِئَين أحدُهُما مع الآخر. الأبديّةُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ليستْ هي وَقْتٌ طَويلٌ غيرُ محدودٍ، وهي ليستْ حضورَ الوقتِ دونَ نهاية. الفرقُ بينَ الوقتِ والأبديّةِ أنّ الوقتَ هو من فصيلةِ المخلوق، يظهَرُ عِندَما يكونُ هناكَ شيءٌ ما لم يَكُنْ مَوجوداً من قَبلُ، ثُمَّ بَدَأَ بالوجودِ، وسيَستَمِرُّ الزَّمَنُ طالَما هذا الشيءُ يَستَمِرُّ. الأبديّةُ لا تُجيبُ على السّؤالِ: ماذا؟ إنّها تُجيبُ على السّؤالِ: مَنْ؟ إنّها اللهُ الذي هو معاصِرٌ دائِماً لكلِّ لحظةٍ من الزّمنِ، إنّه دائماً موجودٌ وثابتٌ تماماً لا يتغيَّرُ ولا يتبَدَّلُ، لأنّ لَدَيه كُلَّ الغِنى اللازمِ لكلِّ الأشياءِ وكُلِّ الحالاتِ. لا يحتاجُ أنْ يتغيَّرَ حتّى يكونَ مُعاصِراً.

إنْ كُنّا نَرغَبُ بتَعَلُّمِ الصّلاةِ بثباتٍ فعلينا أولاً أنْ نُدرِكَ أنّه من غيرِ المُجْدِيْ أنْ نبحَثَ عن اللهِ في الزّمنِ. إنّه موجودٌ في الزّمنِ الذي نعيشُ فيهِ، إنّه في كلِّ وَمْضَةٍ، في كُلِّ طَرْفَةِ عَينٍ. باستخدامِ معادَلَةِ (رومانو غارديني)، الذي ميَّزَ الماضي والمستقبَل ولكنْ لم يُميِّزْ الحاضِرِ الذي بَدا له غامِضاً، كطَرفَةِ العَين، التي تظهرُ بصعوبةٍ قبلَ أنْ تختَفي من جديد. إنْ كُنّا نرغَبُ باستخدامِ هذا الثّباتِ في الصّلاةِ فعلينا أنْ نتعلَّمَ كيفَ نُنَظِّمُ الوقتَ. نحنُ نعلَمُ جيّداً كيفَ نَتدَبَّرُ الوقتَ عندما لا يتعلَّقُ الأمرُ باللهِ أو بالصّلاةِ، ولكن لا نعلَمُ كيفَ نفعلُ ذلِكَ عندما يتعلَّقُ هذا بالأبديّةِ! هذه الحالةُ الملحوظَةُ واللاموضوعيّةُ هي تجرِبَةُ الثّباتِ لكلٍّ منّا. مَثَلاً، ماذا تفعَلُ عندَما تصعَدُ إلى قطارٍ؟ إنّكَ تُحاولُ أنْ تجلِسَ مُرتاحاً أكثرَ ما يُمكن، وحينَ تُحِسُّ أنّكَ مُرتاحٌ تأخذُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بالنَّظَرِ حولَكَ، أو تقرأُ أو تتحدَّثُ أو تُفكِّر. وأفترضُ أحياناً أنَّكَ تُصلّي..... ولا يتشكَّلُ لَدَيكَ قَلَقٌ حولَ أيِّ شيءٍ لأنَّكَ تعلَمُ بأنّ قطارَكَ سيَصِلُ إلى وجهَتِكَ مهما فَعَلْتَ. ثَمَّةَ أشخاصٌ بسيطون وعَصَبيّون يُحاولون أحياناً أنْ يَنتَقِلوا من العَرَبَةِ الأخيرةِ إلى الأولى حتى يَقتَرِبوا أكثرَ من وجهتِهم. ولو فَكَّرَ هؤلاء العَصَبيّون قليلاً لعَلِمُوا أنّ (200 إلى 500) مترٍ لا تُشكِّلُ فَرْقاً أساسيّاً، وأنّه يمكنُ للشخصِ أنْ يسترخيَ لبِضعَةِ ساعاتٍ. لماذا لا نفعلُ ذلكَ في الصّلاة؟ أَليسَ أمراً يَستَحِقُّ الاهتمام بأنّنا نعيشُ الأمرَ بشكلٍ طبيعيٍّ جداً عندما نذهبُ من مكانٍ لآخرَ فقط، لأنّنا واثِقُون عمّا سيَحصَلُ مع القطارِ على الرَّغمِ من وجودِ أخطارٍ مُحتَمَلةٍ، ولكنّنا لا نعيشُ هذا في الصّلاةِ لأنّنا غيرُ متأكِّدين أبداً مما سيَحصَلُ مع الله! إنّنا نَشعُرُ بأنّنا إنْ لم نتصَرَّفْ بسرعةٍ، وبعدمِ ثِقَةٍ وبحيويّةٍ، فإنَّ اللهَ سيَهرُبُ منا. في الحقيقةِ فإنّ اللهَ يَهرُبُ منّا أحياناً، وذلكَ ليسَ لأنّنا لا نبحَثُ عنه، بل لأنّنا نبحثُ عنه في كلِّ مكانٍ غيرَ مكانِ وجودِه. وبحسبِ وجهةِ النَّظَرِ هذه، فإنَّ (بوهوفر) يَتَّفِقُ معنا عندما يقولُ بأنّ المسيحيّةَ هي: (دينٌ دونَ دين)، وإذا ما فَهِمْنا من كَلمَةِ (دين) بأنّها عِبارةٌ عن نظامٍ فيه مجموعةُ طُرُقٍ للإمساكِ بالله والقَبْضِ عليهِ، أو لوضعِهِ في فَخٍّ والاحتفاظِ به هناك، تكونُ عندَها عِبارَةُ (بوهوفر) صحيحةً. في هذه الحالةِ فإنّ المسيحيّةَ، والمسيحيّةُ فقط، هي (دينٌ دون دين)، لأنّ اللهَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يريدُ أنْ يكونَ داخِلَ ظُروفِنا، ولا يُريدُ منّا أنْ نحبسَه، لقد تَجسَّدَ حتّى يكونَ مَعَنا، ولا داعي لأنْ نستخدِمَ طُرُقاً وتِقَنيّاتٍ لجعلِهِ سَجيناً لَدَينا.

لا يعيشُ اللهُ بينَنا فَقَطْ، بلْ إنّه خَلَقَنا لنكونَ الكنيسةَ التي هي مكانُ حضورِهِ، وليسَ مُجرَّدَ مجتمَعٍ بشريٍّ يعبُدُه. وسِرُّ الاتّحادِ مع اللهِ يَكمُنُ في ذَلِكَ الرّابطِ الذي هو بَشَريٌّ وإلهيٌّ في آنٍ معاً وفي نفسِ الوقتِ، حيثُ يكمُنُ كمالُ اللهِ في كمالِ كنيستِه، ونمتلِكُ في كَوننا كنيستَهُ أنْ نكونَ محقّقين تدريجيّاً أنّ اللهَ سيكونُ الكُلَّ في الكُلِّ، والكنيسةُ هي التي ستُنجزُ كلَّ شيءٍ.

لذلكَ فإنّه من الضّروري بالنّسبة لنا أنْ نتعلَّمَ كيفيةَ السّيطرةِ على الوقتِ بهذه الطّريقةِ. ولأجلِ تحقيقِ ذلك فهناكَ تِقَنيّاتٌ ووسائِلُ لمعالجةِ قلقِنا، وعَدَمِ قُدرَتِنا على الإيمانِ بكلمةِ اللهِ الذي وَعَدنا بأنّه سيكونُ مَعَنا حتّى انقضاءِ الدَّهرِ.

أوّلُ ما نستطيعُ فِعلُه هو أنْ نُجبرَ أنفسَنا بأنْ نَضَعَها في حَضرَةِ اللهِ، وأنْ نبقىَ هناكَ لبعضِ اللّحظاتِ دونَ محاولةِ الهُروب، ودونَ محاولةِ إعطاءَ هذا الحُضورِ صِفَةً مُتَنَقِّلةً سواءٌ بالأفكارِ أمْ بالمشاعِرِ. إنْ جَلَسْتَ في غُرفَةٍ وقُلْتَ لنفسكَ: (أنا في حَضْرَةِ اللهِ)، فإنّكَ ستَجدُ أنَّكَ في آخرِ هذه اللّحظة ستتَساءَلُ عن كيفيّةِ ملءِ هذا الحضورِ بالنّشاطِ الذي سيَغلُبُ قلقَكَ. في اللّحظاتِ الأولى القليلةِ، ستَشعُرُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بالرّاحةِ لأنّكَ مُتعَبٌ، ولهذا فإنّ منَ المريحِ الجلوسُ بشكلٍ مُريحٍ على كرسيٍّ بذِراعَين، وسيُعطيكَ سُكونُ غُرفَتِكَ شُعوراً بالهدوءِ. كلُّ هذا صحيحٌ، ولكنْ إنْ أَرَدْتَ أنْ تذهَبَ أبعدَ من هذه اللّحظةِ حيثُ حَصَلْتَ على الرَّاحةِ الطّبيعيَةِ، وتُريدُ أنْ تبقى في حَضرَةِ الله بعدَ أنْ تَحصَلَ على كُلِّ ما تستطيعُ من الرَّاحَةِ الجسديّةِ، سترى أنّه منَ الصُّعوبَةِ ألا تتساءَل: والآن ماذا سأفعلُ؟ ماذا سأقولُ لله؟ كيفَ أُخاطِبُه؟ إنّه صامِتٌ، هل هو هنا؟ كيفَ بإمكاني أنْ أَمُدَّ جِسراً بين هذا الغِيابِ الصّامِتِ وحُضوري غيرِ المريحِ؟

لِذَلِكَ فإنّ أوّلَ الأشياءِ الواجبِ فهمُها هو إدراكُ أهميَّةِ الجُلوسِ، وعَدَمُ فِعْلِ أيِّ شيءٍ في حَضرَةِ الله. وهذا لا يَبدو تَقيًّا جدّاً، ولكنْ إنْ وَصَلْتَ إلى مرحلةِ الاسترخاءِ التي سمَّاها أحدُ الآباءِ الهدوئيّين اليونان في جبلِ آثوس (إيسيخيا)، وهي الكلمةُ التي رَفَعَتْ من شأنِ التّقليدِ الهُدوئيِّ بأكملِهِ، تقليدِ صلاةِ يسوعَ، تقليدِ الصّلاةِ الصّامِتةِ والتأمُّليّةِ. إنْ توصَّلْتَ إلى هذه الحالةِ فإنّكَ من خلالِ هذا الهدوءِ والسكونِ ستكونُ قادِراً على القيامِ بشيءٍ ما.

ولكنْ يجبُ أنْ تتعلَّمَ هذه الطّريقةَ الهدوئيّةَ، هذا الحضورَ مع الله. إنْ تعَلَّمْتَها فسيكونُ بإمكانكَ أنْ تُحاوِلَ القيامَ بتمارينَ أصعَبَ:

1- إطالَةُ زمنِ حُضورِكَ معَ الله قليلاً.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

2- تَعَلُّمُ كيفيّةُ التَّحكُّمِ بالوقتِ، وذَلِكَ ليسَ حينَ يَمضي بِثِقَلٍ وتَباطؤٍ، ولكن في اللحظةِ التي يُحاوِلُ فيها الهروبَ كما يَخرُجُ الماءُ من الأنبوبِ المتَفَجِّرِ.

إنّه ببساطَةٍ يمكنُ أنْ تقولَ في إحدى اللحظاتِ التي تكونُ فيها مَشغُولاً بأَمْرٍ مُفيدٍ ويجبُ القيامُ بهِ: (سأتوقَّفُ عن القيامِ بذلِكَ، سأَبقى واقِفاً مع اللهِ وَحدِي! كُلُّ ما أفعَلُهُ بإمكانِهِ الانتظارُ). الرُّوسُ الذين يُتَّهَمُون بأنَّهم لَيْسوا فاعِلين كفايةً لَدَيهِمْ وُجهَةُ نَظَرٍ أعتبرُها ذاتُ قيمةٍ روحيّةٍ. أحدهم قالَ لي: (كم هو رائِعٌ! لأنّه بإمكاني أنْ أكونَ مُتَمَهِّلاً وغيرَ مُستَعجِلٍ على الدّوامِ، لأنّني إنْ لم أَمُتْ فوراً فسيكونُ لديّ الوقتُ للقيامِ بذلك الأمرِ المهمِّ. وإنْ مُتُّ، فما هي فائدةُ القيامِ بذلك!).

أسأَلُ هذا السّؤالَ: هل خلاصُ العالمِ يَعتَمِدُ فِعْلاً على الرِّسالةِ التي أكتُبُها، النُّحاسُ الذي أنظِّفُه، الجملةُ المملوءَةُ بالحكمةِ التي أنا على وَشْكِ النُّطْقِ بها؟ أليسَ العالَمُ موجوداً منذُ ملايين السّنين قبلَ أنْ أقولَ أو أفعلَ ذلك؟ أَلَنْ يَستَمِرَّ لملايين السّنين دونَ أنْ يكونَ لي حُضورٌ فعَّالٌ؟ لذلِكَ أَعطِهِ فُرصَةً الآن ليَفرَحَ بغيابك، استرخِ بهدوءٍ وقلْ: (مهما يحصُلُ فلنْ أتزحزَحَ). قُلْ لكُلِّ أولَئِكَ المرئيّين وغيرِ المرئيّين، الذين يأتون ليُزعِجُوكَ: (أنا آسَفٌ جدّاً، أنا هنا... ولكنْ ليسَ من أجلِكم!...) وهذا ما نفعَلُهُ دائِماً. افترِضْ بأنَّكَ في محادَثَةٍ مع شَخْصٍ ما وقرعَ أحَدُهُم على البابِ، أنتَ ستُجيبُه: (أنا آسِفُ، إنّني مشغولٌ).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فإنْ كُنْتَ مشغولاً مع الله فأنْتَ لا تقولُ: (أنا آسِفُ، اذهَبْ بعيداً). ما هو المنطِقُ حينَ تفعلُ ذلك؟ إنّ جوابَكَ بالتأسُّفَ لمنْ يُريدُ أنْ يَشغَلَكَ عن الله ليسَ استِكمالاً للتّأمُّلِ، وإنّما هو نوعٌ من التّهذيب.

تعلَّمْ أنْ تبقى في هُدوءٍ داخليٍّ، بسلامٍ وسكينةٍ على الرُّغم من رنينِ الهاتفِ، على الرّغمِ من أنّ هناكَ شخصاً ما يَطرُقُ بابَكَ، على الرّغمِ من أنَّ الشّيطانَ يقولُ لك: (لقد نَسَيْتَ هذا .... وعليكَ أنْ تفعلَ هذا وهذا ... النُّحاسُ غيرُ نَظيفٍ كفايةً، الشَّمسُ أكثرُ إشعاعاً منهُ، وإنْ أَضَفْتَ هذهِ الجملةَ إلى رسالتِكَ فستكونُ مَستَحِقّاً لمديحِ آباءِ وأمهاتِ الكنيسة. ولكنّكَ تُجيبُه: إنْ كانَ هذا من الله فهو قادرٌ أنْ يُذكِّرَني به في الوقتِ المناسِبِ، ولكنْ إنْ كانَ مِنْكَ فأنا لا أَثِقُ به...).

إنْ تَعَلَّمْتَ أنْ تُوقِفَ الزّمنَ لتُعيدَ تَرتيبَه عشراتِ المرّاتِ في اليومِ، بشكلٍ متكررٍ ولأوقاتٍ أطولَ وأطولَ، فسيأتي وقتٌ يمكنُكَ القيامُ بذلك متى شِئتَ. إنّه لا يهمُّ عند ذلك نوعيّةُ النّشاطِ الذي تقومُ بهِ، ولا أيّة كلمةٍ أو فكرةٍ تخطرُ في بالِكَ، سواءٌ في الليتورجيا أو في الحياةِ اليوميّةِ.... وبذلك ستكونُ قادِراً على أن تكونَ وجهاً لوجهٍ مع اللهِ، سائِلاً إياه بإلحاحٍ ماذا يجبُ أن تفعَلَ؟ وإلى ماذا يجبُ أن تستَمِعَ؟ ستكونُ عندَها بالتّأكيدِ في وضعِ الرّاهبِ أو الرّاهبةِ؛ مُطيعاً، مُصغِياً بتركيزٍ كاملٍ – الأمرُ الذي لا نفعَلُهُ عندما نستَمِعُ إلى جارِنا –

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يَسمَحُ لَكَ أنْ تفهمَ ما يقولُه، وبإدراكِكَ لما يُريدُ أنْ يقولَ، وبإحساسِكَ بعُمْقِ الكَلمةِ والغايةِ منها.

أتذكَّرُ شيئاً قالَتْهُ لي جَدَّتي عندما كُنْتُ طِفلاً، وقد كانَتْ تُخبرُني عن حربِ الاستقلالِ التي خاضَتْها اليونانُ للتّحرّرِ من الأتراكِ.... إنّها أخبرَتْني عن حالةِ الجُندي الذي دَعا الملازمَ بعد المعركةِ في ليلةٍ مظلمةٍ وقالَ له: (أيُّها الملازمُ، أيُّها الملازمُ لقد قَبَضْتُ على سجينٍ، أجابَ الملازم: أحضِرْهُ إلى هنا)، فأجابَ الجندي: (لا أستطيعُ إنّه ممسكٌ بي بقوةٍ). إنّ ذلِكَ يبدو سَخيفاً... ولكنّني أشعرُ بأنَّ هذه هي غالِباً حالتُنا عندما نُحِسُّ نحنُ السُّجناء في هذا العالمِ بطريقةٍ أو بأُخْرى – ليسَ إحساساً خارجيّاً بقَدْرِ ما هو شعورٌ داخليٌّ – أنَّه بإمكاننا تغييرُ العالمِ، ونحنُ نُدركُ أنّه بإمكاننا القيامُ بذلك عندما نُغيِّرُ أماكنَنا فقط، وأن نحاولَ أن نَشُدَّ العالمَ باتّجاهِنا، بَدَلاً من الوقوفِ في وَسَطِهِ من دونِ حراكٍ، وأنْ نتخيَّلَ أنَّ حضورَنا كافٍ لحدوثِ أعجوبةِ التّغييرِ. ثَمَّةَ شيءٌ مُهِمٌّ للغايةِ هنا على ما أعتقدُ، إنّها تتعَلَّقُ بالطّريقةِ التي نُقَيِّمُ ونُثَمِّنُ فيها القداسةَ الحيّةَ في العالمِ الذي نعيشُ فيه.

هناكَ وصيّةٌ في الإنجيلِ تبدو لي مُطلَقةً، تَدعونا ألا نكونَ ضمنَ العالمِ لكي نعيشَ فيهِ بطريقةٍ جديدةٍ: نحنُ مدعوون أنْ "نكونَ في العالمِ" ولكنْ ليسَ "من العالمِ". وكونُنا لسْنا من العالمِ فهذا انعِتاقٌ كامِلٌ. وأنْ نكونَ في العالمِ فهذا التزامٌ كليٌّ، وله معنى الوحدانيّةِ نفسِها، كسرِّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التجسُّدِ الذي جَعَلَ لكلمةِ الله، الكلمةِ الأبديّةِ، اسماً بشريّاً وحضوراً إلهيّاً في الجَسَدِ إلى الأبَدِ. وهناكَ في الإنجيلِ ما يَدعُونا لرَفْضِ القَريبين منّا، وفي نفسِ الوقتِ دَعوَةٌ لنا لنُحِبَّ العالَمَ بأكملِهِ بمحبّةٍ تامّةٍ، بمحبّةٍ حتّى التّضحيّةِ، وبالتزامٍ كاملٍ. يوجدُ هنا أمرٌ هامٌّ، وإنْ لم يكنْ تَناقُضاً، فعلى الأقلِّ يبدو من المتعذَّرِ تحويلُهُ إلى حقائِقَ. الحقيقةُ هي أنّنا نستطيعُ أنْ نعملَ في هذا العالمِ بطريقةٍ مُثمِرَةٍ بقَدرِ ابتعادِنا عنه. أنتَ تعلمُ أنّه حينَ يَغرَقُ أحَدٌ ما، فأنتَ تقفزُ لتُنقِذَه، ولكن لا تَدَعْ نفسَكَ تَغرَقُ، وإلا فكِلاكما سيموتُ غَرَقاً..... وعلى الرَّغمِ من أنَّكَ ستَحصُلُ على ميداليّةِ البُطولةِ بعدَ الوفاةِ، ولكن ذلكَ سيكونُ عديمَ الفائِدة. هذه هي بالضّبط صورةُ تَجسُّدِ ابنِ الله، وهي الطّريقةُ التي يجبُ أنْ نتفاعلَ فيها مع العالمِ. يجبُ أنْ نكونَ في العالمِ دونَ أن نسمحَ له بإمساكِنا، بل يجبُ أنْ نتحرَّرَ منهُ. وبالمفهومِ اللاهوتيِّ للتجسُّدِ هذا يُسمَّى (دونَ خطيئةٍ)، وبمفهومِ حياتِنا فإنّه سيكونُ من المبالَغَةِ أنْ نقولَ هذا، حتّى وإنْ كانَ بمفهومِ القَصْدِ والأمَلِ. ولكنْ على الإنسانِ أنْ يكونَ مُتَحرِّراً من الخطيئةِ في العالمِ، وألا نسمَحَ أن نكونَ جُزْءاً منها. حتى لو أنّنا لم نَنْجحْ في تحريرِ نفوسِنا بشكلٍ كاملٍ من هذا القَيدِ، فنحنُ مدعوون لتحريرِ أنفسِنا من القيودِ التي تجعلُنا سُجناءَ، حتّى نكون أحراراً كالمسيحِ: "ليسَ أَحَدٌ يأخذُ حياتي منّي بل أُعطيها أنا من ذاتي". لذلكَ سنكونُ قادرين على العيشِ والموتِ، ولكن بطريقةِ المسيحِ. وبطريقةِ المسيحيِّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أيّ أنْ تموتَ بحريّةٍ وليس بالقيودِ التي تَخنُقُكَ. أصبحَ المسيحُ إنساناً كاملاً ولكنْ دونَ خطيئةٍ. لقد عاشَ حياتَنا وماتَ موتَنا، دونَ المشارَكَةِ بالشَّرِّ الذي يُقيّدُ حياتَنا ويحرِّضُ على موتِنا. بالنّسبة لنا يجبُ أن نكونَ في العالمِ وألا نكونَ من العالمِ. وتحتَ هذه الشّروط فقط نكونُ قادرين على الحبِّ. ليس الحُبُّ العاطِفيُّ الذي يُقيّدُنا ويُقيّدُ الآخرين، وإنّما الحُبُّ الذي يُحرِّرُنا بحريّةِ أبناءِ اللهِ.

في هذا السِّجالِ بينَ عدمِ الالتزامِ والالتزامِ، ثَمَّةَ نقُطَتان من الضّروريّ التّحدُّث عنهما؛ الأولى تكْمُنُ في ضرورةِ أنْ نتحرّرَ من أنفسِنا. كثيراً ما يتملَّكُنا هاجسٌ مُبالَغٌ فيه، وهو التّفكيرُ بأنّنا سُجناءٌ لأناسٍ آخرين، ولكن الحقيقة نحنُ سجناءُ لأنفسنا، لأنّنا إنْ تَمكّنّا من تحريرِ أنفسِنا من الأَنا، فلنْ يكونَ للآخرين سُلطَةٌ علينا. لديهم سيطرةٌ علينا فقط بسبب رغباتِنا الشهوانيّةِ وخوفِنا وضَعْفاتِنا؛ وفي هذا التحرّرِ من النّفسِ تكمُنُ عِدّةُ نقاطٍ هامّةٍ أرغبُ في التّعبير عنها بالمثالِ الآتي.

كاتِبٌ انكليزيٌّ أُحبُّهُ كَثيراً اسمه (تشارلز ويليامز) وقد علَّمَني أشياءَ كثيرةً، يُعطي صورَتَين أعتقدُ بأنّهما مفيدَتان للغايةِ في كتابِهِ *All-Hallows Eve Eve (أمسيةُ الهالوين)*. القِصَّةُ تجري في مدينةِ لندن:

امرأةٌ شابّةٌ قُتِلَتْ في حادثٍ.... إنّها ميتَةٌ، ولكن روحَها ما تزالُ باقيةً دون حراكٍ على الجسرِ حيثُ أخذَ الموتُ حياتَها.... إنّها ميتةٌ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولكن روحَها لم تذهبْ إلى العالمِ غيرِ المرئيِّ، ولم تَخرُج بعد من العالمِ المرئيِّ، لأنّه لا شيءَ في العالمِ غير المرئيِّ مألوفٌ لـديها، ويمكـنُ أن ترتَبطَ به. مازالَتْ مُرتَبطةٌ بالعالمِ المرئيِّ لأنّه المكانُ الوحيـدُ الـذي تَعرِفُهُ. ونَراها واقفةً هنا مُحاطَةً بكلِّ أشكالِ الموت؛ تَـرى حولَهـا المقاعدَ المتناثِرةَ على نَهرِ التايمز، والمنازلَ الممتدّةَ على مَجراهُ، أحيانـاً تَراها حِجارةً ميْتَةً بنوافِذَ سوداءَ مُظلمةٍ.... وأحياناً هـذه النوافِـذُ مضيئةٌ. ولكن لا ترى إلاّ هذه الأشياءَ، لأنّها لم تُحِبَّ طوالَ حياتِهـا سوى نفسِها فقطْ. إنّها غيرُ مُرتَبطةٍ بأيِّ شيءٍ من حولِها، ولا علاقة لها بقيمةِ الأبديّةِ؛ القيمةِ التي بإمكانِها أن تنجوَ من مـوتِ الجسـدِ وتبقى بعدُه. إنّها تُحِسُّ بالجسرِ الذي تَقِفُ عليه روحُها، ولا تـرى سوى عالمِ الأمواتِ حولَها. لا شيءَ من حولِها فيه حياةٌ، لأنّه لم يكن هناكَ من ارتباطٍ حيٍّ بينَها وبينَ أيِّ شيءٍ داخلِها أو خارجِها.

وفجأةً يحدُثُ شيءٌ هامٌّ: تَرى زوجَها يَعبُرُ الجِسرَ؛ إنّه الشّـخصُ الوحيدُ الذي أحبَّتْه في حياتِها؛ حُبّاً غيرَ مُستَقِرٍ وليسَ فيه عُمْقٌ، وقـد كانَ غالِباً حبُّ تملّكٍ وأنانيّةٍ، ولكنّه على أيّة حالٍ هو حبٌّ وغَرامٌ لشيءٍ غيرِ نفسِهَا. منذُ لحظةِ رؤيتِها لهُ استيقَظَتْ في داخلِها مشـاعرُ دفينـةٌ، وبهذا الحبِّ والعِشقِ لزوجِها بَدأَتْ تُعيدُ اكتشـافَ الأشـياءِ، أسمـاءَ الأشخاصِ، أصبَحَتْ فَجأةً مُهتَمَّةً بالأبديّةِ، الأماكنِ، الظّروفِ..... لنْ أُخبرَ باقي القِصّةِ. المهمّ أنْ نُدرِكَ أنّ الرّوحَ تنفَصِلُ عن الجسدِ بحيث لا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يُمكِنُها الاتّصال بالعالمِ المرئيِّ من خلالِه، ولكنّها تكونُ ما تــزالُ غــيرَ مرتبطةٍ بالعالمِ غيرِ المرئيِّ من خلالِ نورٍ داخليٍّ.

تستيقظُ بصيرةُ الرّوح هذه فقط عندما يَجمعُها ويوحِّدُها الحُبُّ بشخصٍ أو شيءٍ ما. هنا تكمُنُ بدايةُ تحرُّرِنا من أنفسِنا؛ في اللحظــةِ التي نُصبحُ قادرين فيها على الحبِّ، نبدأُ بتحريرِ أنفسِنا من السِّــجنِ الموجودِ بداخلِنا. الحقيقةُ أنّ هناكَ ارتِباطــاً كــبيراً بــين (الحُــبّ) و(الموت)، أنْ تُحِبّ يعني أن تتحرّر تدريجياً من الاهتمام الحصــريّ الموجود في كلِّ واحدٍ فينا، وأن يتحوّل إلى الاهتمام بالآخر.

كلّما كانَ حبُّنا أعمقَ أصبحَ متناغِماً ومقبولاً أكثرَ. وكلّما كانَ مُتَحرِّراً من كلِّ أشكالِ الشّهوةِ والخوفِ تَمكَّنَ من أنْ يُحرّرَ نفسَه مما يَصِفُه C.S.lewis بالحبِّ الشّيطانيِّ، والذي يكمُنُ في الرّغبةِ بالتملُّكِ والسّيطرةِ على الشّخصِ الذي نُحبّه ونجعَلُه سَجيناً. وأخــيراً كلّمــا حَدَثَ تحرُّرُ الأنا هذا أكثرَ، نتحرَّرُ نحنُ أكثرَ. وبمعنىً آخرَ، فإنَّ الحُبَّ الكامِلَ هو الموتُ، أي اختفاءُ اهتمامِنا وتركيزِنا على ذواتِنا، وذلك عن طريقِ التّباين والمعارَضة في ظِلِّ مفهومِ العدوانيّةِ والرّفضِ. والمرأةُ في رواية تشارلز ويليامز تقومُ بأوَّلِ اكتشافٍ لها: إنّه فقطْ في الحــدِّ الذي نصبحُ فيه قادرين على الحبِّ نصبحُ قــادرين علــى الرؤيــةِ والإدراكِ. لكي نرى ونُدرِكَ إنْ كانَ اللهُ أو العالمُ هو المحــيطُ بنــا، وكذلك إنْ كانَ جارُنا أو الظّروفُ المعقّدةُ والتي من ضمنِها جيرانُنا.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كلّ ذلك ممكنٌ فقط، إنْ أحببناهُم وقَبِلْنا الموتَ حتى نستمكّنَ من الرّؤيةِ، (العيشُ والمشارَكةُ).

هناكَ نصٌّ آخرُ في الرّوايةِ نفسِها للكاتبِ تشارلز ويليامز يُمكِّننا من إدراكِ مفهومٍ آخرٍ لهذهِ الأمورِ. إنّنا محاطون بعالمٍ من الغموضِ والتّعقيدِ. العالمُ غيرُ جَليٍّ بالنّسبةِ لنا، وعندما أتحدَّثُ عن العالمِ لا أقصدُ الكونَ الفيزيائيَّ الذي يُحيطُ بنا فقطْ، والذي ربّما في بعض الأوقات نتمسَّكُ به في ظِلِّ نورِ الله لأنّهُ لا يُشكِّلُ خطراً علينا، بل إنّه يُمكنُنا النّظَرُ إليه بجمالِه الطّبيعيِّ وبتناغمِه، الذي صَنَعَه أو بناهُ الإنسان، دونَ خوفٍ من أن يُدمِّرَنا أو يُبيدَنا. ولكن عندما نعودُ إلى جارِنا، سواءٌ بفرديّتِه أو بكونِهِ ضِمنَ الجماعةِ (المجتمعِ)، فإنّ المنظرَ المُشَاهَدَ يصبحُ أكثرَ غموضاً، لأنّ كلَّ أحكامِنا، وكذلك كلَّ ردّاتِ أفعالِنا تُعرّفُ بكلمةِ (كيف؟) كيفَ يُؤثّرُ هذا الشّخصُ أو هذه الجماعةُ على أَمني وسلامَتِيْ؟ إلى أيّ مدىً يُشكّلُ خَطَراً أو احتمالاً للتوسُّع؟ وعندما يكونُ هناكَ إمكانيّةٌ للامتدادِ وللتوسّعِ من تجاوزٍ على الخصوصيّةِ، فإنّ ذلك يَتُمُّ تقريباً ودائماً بأسلوبٍ لطيفٍ، وخاصّةً ذاكَ اللّطفُ المسيحيُّ. إنّنا نتقدّمُ بعلاقتِنا مع جارِنا في مجتمعِنا ونحنُ نشعرُ بالأمانِ، لأنّنا نَستندُ إلى شيءٍ ما لَمَسْناه بالتّدريجِ، وهو ما يشكّلُ لُبَّ تساؤلِنا: إلى أيّ حدٍّ نحنُ بأمانٍ لأنّ المجموعةَ لا تُهاجِمُنا؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إذاً نحن محاطونَ بإبهامٍ وغموضٍ كاملٍ. كيفَ نكتشِفُ ونفهَمُ هـذا الإبهامَ والغموضَ؟

في قِصَّةِ الكاتبِ تشارلز ويليامز نجدُ نَصّاً آخرَ يتحدّثُ عن هذه الفتاة التي اسمها (ليستر)، وهي موجودةٌ بقربِ نهرِ التايمز. إنّها تَـرى النّهرَ بعينيها غيرِ الجسديّتين لأولِ مَرّةٍ! لأنّها وللمرّةِ الأُولى لا تَشعُرُ باشمئزازٍ من منظرِ النّهرِ. سابقاً عندما كانَتْ تنظُرُ إلى حَافّةِ النّهرِ كان يُراودُها شُعورٌ بالقَرَفِ دائماً. هـذه الميـاهُ الكثيفـةُ ذاتُ اللـونِ الرّصاصيِّ والملوَّثَةُ بالشَّحمِ، التي تنقُلُ كلَّ مخلّفاتِ المدينـةِ، كانَـتْ مُقرِفَةً بالنّسبة لها، لأنّها جسديّاً يُمكِنُها رؤيتُها فقط ضـمنَ إطـارِ تصوّرِها عن إمكانيةِ القفزِ فيها أو الشُّربِ منها! ولكنْ (ليستر) الآن متحرِّرَةً من جَسَدِها: ليسَ لَدَيها جَسَدٌ، إنَّها روحٌ فقط، لـذلكَ لا تَشعُرُ بالخوفِ من التّواصُلِ مع هذه المياهِ المقرِفَة، ولم تَعُدْ هذه الميـاهُ تُشعِرُها بالاشمئزازِ. وكما يقولُ الكاتِبُ: رَأَت المياهَ (كحقيقةٍ)، ولكن كحقيقةٍ تتضمّنُ تناغُماً كاملاً مع نفسِها، لأنّ هذه المياهَ القَذِرَةَ الـتي تنقُلُ كلَّ نفاياتِ المدينةِ هي بالضّبط كما يجبُ أن تكونَ ميـاهُ هـذا النّهرِ الكبيرِ الذي يمرُّ عبرَ المدينةِ. إنّ هذه المياهَ هي متناسِبةٌ تماماً مَع طبيعتِها الخاصّةِ، ومع مهمَّتِها التي يجبُ أن تؤدّيَها. وفي اللحظةِ الـتي نَظَرَتْ إليها كحقيقةٍ واقعيّةٍ صحيحةٍ، بَدَأَتْ بتمييزِ ما لم تَرَهُ قَبْلاً.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

من خلالِ هذا الغموض بَدَأتْ تُميّزُ بُقَعاً أكثرَ ضَـوءاً. وكلّمـا تعمَّقَتْ نظرتُها أكثرَ، كانت تمرُّ عبرَ إبهامٍ أكبرَ بُغيةَ كَشْـفٍ أكـبرَ، وكلّما أَدرَكَتْ أكثرَ فأكثرَ بأنَّهُ هناكَ في أسفلِ النّهرِ يوجدُ ضَوءٌ.

في الحقيقةِ، وبعدَ المرورِ الأول ضمنَ هذا العالمِ المُبهَمِ الذي بَـدَأَ بالاختفاءِ بالنّسبةِ لها، أصبَحَتِ الأماكنُ الواضِحَةُ تـزدادُ، نَجَحَـتْ بالتّمييزِ في قلبِ هذا النّهرِ، لقد رَأَتْ بعيَنيها أنَّ الموتَ قد أعطاهـا المياهَ الأصليّةَ، المياهَ كما خَلَقَها اللهُ في بدايةِ سِفْرِ التّكوينِ. وبعُمْـقٍ أكثرَ يُعطيها بريقَها ونقاءَها، ويَكشِفُ لها عن مَهمَّتِها. ذاكَ الماءُ الذي تحدَّثَ عنه يسوعُ مع المرأةِ السّامريّةِ.

هذا الأمرُ هو تماماً عكسُ ما يحدثُ مَعَنا غالِباً. إنّنا نتَّجهُ في تجرِبتِنا الحياتيّةِ من الوضوحِ إلى الغُموضِ. اللقاءُ الأولُ يمكن أن يَكشِفَ عن شخصٍ ما بشكلٍ جيِّدٍ. ثُمَّ بعدَ ذلك – ومـع إدراكِنـا السـيّئ، أو بالأحرى عَمَانا الفعليِّ الذي كَسَـبْناهُ بسـببِ أنانيّتِنـا وبرودَتِنـا وحساباتِنا، وحقيقةِ أنّنا نفكّرُ بكلِّ شيءٍ من منطلقِ أنانيّتِنا فقط – نبدأُ بالغَوْصِ في أمورٍ أكثرَ إبهاماً وغُموضاً. فَقَطْ بفِعْلِ الإيمانِ يُمكِنُنـا أنْ نقولَ: (نَعَمْ، هذا هو ابنُ النّور!)، نقولُها ولكن غالِباً نحنُ لا نَراهـا. لذلِكَ وفي مُعظَمِ الأحيانِ، يكونُ على الأرجَحِ – وأقولُ على الأرجَحِ كي لا يكونَ كلامِي تَشاؤميّاً وقاسياً – من المستحيلِ أن نرى وجـهَ المسيحِ في وجوهِ المحيطِين بنا. وهذا أمرٌ هامٌّ، لأنَّ المفهومَ السَّائِدَ اليوم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

(الموضة) هو أنْ نبحَثَ عن الله في جارِنا، ولكن هذا لـــيسَ مفهومـــاً جديداً: لأنّ الآباءَ السُّواحَ أَخبَرونا منذ القرنين الثّالثِ والرّابـــعِ: (أنْ تُعاينَ جارَكَ فإنّكَ تُعاينُ اللهَ). لكنّهم رأَوه، بينما نحنُ غالِباً نُردِّدُ ذلك قَولاً فقطْ. الحقيقةُ هي بُغيةُ رؤيةِ ملامحِ المسيحِ في وجهِ جارِكَ، والتي في بعض الأحيانِ يكونُ من الصّعوبةِ بمكانٍ تمييزُهَا. يجبُ أنْ تكونَ في داخلِنا رؤيةٌ للمسيحِ حتّى نتمكَّنَ من تمييزِها في وجهِ الآخرِ. ثُمَّ نَجدُ، وفي ضوءِ هذه الملامح الإلهيّة، أنّه – حتّى في هذه الصّورة التي أحياناً تكونُ مخفيَّةً – بإمكاننا أنْ نستعيدَ ملامحَ صورتِه (صورةِ المسيحِ). إنّني لا أُشيرُ إلى الشَّرِّ المؤقَّتِ القبيحِ والظاهِرِ، ولكن إلى الشَّرِّ العميقِ الذي هو أخطرُ ممّا قد يفعَلُهُ الإنسانُ، الشَّرِّ الذي يُفسدُنا ويجعَلُنـــا نخسَـــرُ إحساسَنا بالخيرِ والصّلاحِ، وكلِّ ما هو مضيءٌ في داخلِنا. مثلُ هؤلاءِ الأشخاصِ يمكنُ أنْ تَجدَهمْ في السُّجونِ وفي أيِّ مكانٍ، وفي الكنائِس أيضاً.

لذلك، وفي هذه الأوقات، من الضّروريِّ جدّاً أنْ تكونَ قـــادِراً على تمييزِ مواضعِ النُّورِ في الظُّلمةِ. وأنْ تُميّـــزَ في ملامِـــحِ صـــورةِ الإنسانِ – والتي تَطَوَّرَتْ من جيلٍ إلى جيلٍ بواسِطةِ الصِّفاتِ الوراثيّةِ البشريّةِ – التّشابهَ الذي لدينا مع الله، مع صورتِهِ. المســـألةُ مســـألَةُ تَمييزٍ، تَتَولَّدُ من وراءِ النَّظرةِ الماديّةِ التي تقفِزُ فجأةً إلى عُيوننا، والتي تتجاوزُها. يبدو العالَمُ حولَنا بما فيه جيرانُنا القريبون مِنّا، حينَ تنقَصُنا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فيه البصيرةُ الحادّةُ والنَّظَرُ في العُمْقِ، وكأنّه فوضَى عارمةٌ. هذه الفوضى، تلكَ الأرقامُ التي تُحيطُ بنا، والتي نتصادَمُ مَعَها، وغالِباً لا نتوافَقُ معها، لأنّ التّوافقَ والتّواصُلَ مع شخصٍ ما هو النَّظَرُ إليه وَجهاً لوجهٍ في العُمْق. هذه الفوضى المبهَمَةُ تنتمي إلى العالَمِ المادّيِّ الذي نحنُ فيه نُنكِرُ النَّظرَ إلى العمقِ ضِمنيّاً. العالَمُ المادّيّ هو عالَمٌ ضبَابيٌّ، ولا يوجَدُ فيه عُمْقٌ داخليٌّ. أعتقدُ أنّه ليسَ مُعقَّداً جدّاً أنْ نقولَ، إنّنا إنْ كُنّا ننظرُ إلى مجالٍ بلوريٍّ دائريٍّ، وحاوَلْنا اختراقَه بنَظَرِنا، فإنّ أقصى ما يمكنُ الوصولُ إليهِ هو مَركَزُهُ. إنّها النّقطةُ القُصْوى التي لا يُمكنُ تجاوزُها، ولا يوجَدُ أيُّ عُمقٍ وراءَ ذلك. إنّكَ إنْ تعمَّقْتَ أكثرَ فستَصِلُ إلى السَّطحِ العُلويِّ من الجانبِ الآخرِ. لكن كُلُّ ما يُحيطُ بنا حتّى جيراننا، فإنَّ لهم كثافَةً واحِدَةً، سَماكَةً واحِدَةً، حُضوراً واحِداً. وإنْ لم تَكتَشِفْ ما وراءَ ذلك، وهو الذي أُعلنَ عنه في الكتابِ المقدّسِ على لسانِ المزمور: "فباطِنُ الإنسانِ وقلبُهُ عميقان". الأمرُ في هذا الشيء لا يتعلَّقُ بالقلبِ البَشَريّ أو العُمْقِ القابلِ للقياسِ، وإنّما يتعلَّقُ بالخلودِ. أيْ أنْ نقولَ بأنّ قلبَ الإنسانِ لا يمكنُ سَبْرُهُ عندما ينفتحُ إلى أعماقِ الله.

لذلك في كافّةِ صلواتِنا يجبُ أنْ تكونَ أعماقُنا هي التي نبحثُ عنها. ليسَت الأعماقُ التي يتحدّثُ عنها علماءُ النّفسِ. عُمْقُ النّفس التي تنتمي إلى العالمِ المخلوقِ، والتي من المسموحِ لنا في بعضِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأوقاتِ بلَمْسِ أسفلِها، مِثلَ الحدِّ الأقصى الذي نصلُ إليه بنظرِنا إلى المجالِ الكُرويّ الزجاجيِّ. كلا، العمقُ الذي يَهُمُّنا هو مُتَعلِّقٌ بالحقيقةِ في أنّنا إرادةُ اللهِ التي صارَتْ واضِحةً وملموسةً. في قلبِ حقيقتِنا هناك كلمةُ اللهِ، والكلمةُ هي الحقيقةُ الإلهيّة التي نفتَحُ لها عُمْقَ قلوبِنا. ليسَ هناكَ جدوىً من البحثِ عن اللهِ حولَنا، لأنّنا إنْ لم نَجِدْه فينا فلنْ نتعرَّفَ عليه أبداً في جارِنا، ولا في الحوادثِ التاريخيّة، ولا في أيِّ مكانٍ آخرَ.

إنْ قُمْنا باكتشافِ جارِنا بهذه الطّريقة، إنْ اكتشَفْنا بأنّنا نملِكُ عُمقاً مفتوحاً للهِ، يمكنُنا أنْ نُدرِكَ عندئذٍ بأنّه غالباً ما نتوصَّلُ إلى علاقتِنا مع جارِنا بالسَّكينةِ والهدوءِ فقطْ. نعلَمُ جميعُنا من حياتِنا اليوميّةِ، عن هذه الأمور الفائِقةِ الوصفِ عندما يَحُلُّ علينا في لحظةٍ غيرِ متوقَّعةٍ السّلامَ والهدوءَ. وعندما يكونان شخصَين يُدرِكان ويَشعُران بهذا الصّمتِ، حيثُ يتملَّكُهما كليْهما، فإنّ الكلماتِ تتلاشى على شفاهِهما. وتصبحُ كلُّ إيماءةٍ أو حركةٍ بسيطةٍ بمثابةِ خَرْقٍ لهذه العلاقة الأكثرِ أهميّةً مما يمكِنُ أن يُعبَّرَ عنه بالكلماتِ.

إذا سَمَحْنا لهذا الصّمتِ بأنْ يتغلغَلَ أكثرَ فأكثرَ إلى أعماقِنا، فإنّه ستأتي لحظةٌ لا يُمكِنُنا فيها التّعبير عن أيِّ شيءٍ، عندما نشعُرُ بأنّنا اقتَرَبْنا أكثرَ فأكثرَ من العُمْقِ الذي لم نكنْ لنَصِلَ إليه لولا نعمةُ اللهِ. عندما يَصِلُ هذا الصّمتُ إلى مَداهُ، سنكتَشِفُ أنه في عُمْقِ هذا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الصّمتِ يوجدُ أمانٌ ويقينٌ، يَجعَلاننا قادِرين على أنْ نبدأَ بالكلامِ. ثُمَّ تُصبحُ الكلماتُ متوازنةً، ونقومُ بالبحثِ عنها بحِرصٍ قبلَ النُّطْقِ بها، نلفظُها بطريقةٍ لا تخرُقُ فيها هذا الصّمتَ المُعْطَى لنا من اللهِ.

يجبُ أن يكونَ هناكَ عُمقاً بينَ اللهِ وبينَنا دائماً، نتمكَّنُ من الوصولِ إليه – وأُصِرُّ على ذلك – بل يجبُ أنْ نَصِلَ إليه. يجبُ أنْ نتعلَّمَ باختبارِنا للحضورِ الإلهيِّ، بإيقافِ الزّمن وبالنُّزولِ إلى العُمْقِ، كيفَ نتَوَصَّلُ إلى المشيئةِ. لأنّ كلَّ ما نبتَغيهِ هو أنْ نبقى في حَضْرَةِ السيِّدِ. يجبُ أن نتعلّمَ كيفيّةَ الغَوْصِ في أعماقِ أنفسنا عندما نكونُ مع جارِنا مهما يكونُ. ليس الإنسانُ التّقيُّ، الإنسانُ البسيط، والذي لأجلِه نحنُ على استعدادٍ لنَكتُبَ بحروفٍ كبيرةٍ جداً: (هذه هي صورةُ اللهِ!)، بل مع جارِنا الصّعب، غيرِ المقبولِ، الذي هو إهانَةٌ لكلِّ ما نتصوَّرُه عن اللهِ وتجسُّدِهِ. يمكنُنا أنْ نلتقيَ ذلِكَ الجارَ في مكانٍ حيث لا توجدُ أيّةُ وسيلةِ اتّصالٍ تُمكِّنُنا من التّواصلِ، لأنّنا نمتنعُ عن التّواصُلِ بحدودِ الكلماتِ، والإيماءاتِ، والعلاقاتِ الخارجيّةِ. نحنُ لسْنا كذلك، إنّنا صغارٌ جداً، وضُعَفاءُ جداً، ومُنسَحِقون للقيامِ بذلك.

عندما نتبنّى جارَنا بهذه الطريقَةِ ونقبَلُهُ بصَمْتٍ، فإنّنا بذلك نُبادِرُ للقيامِ بفعلٍ ذو أهميّةٍ جوهريّةٍ: إنّه فعلُ عدالةٍ – وهو ليسَ عملُ العدالةِ الاجتماعيّةِ التي هي توزُّعيّةٌ ومتساويّةٌ – فِعلُ عدالةٍ خطيرٍ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يتضمّنُ قبلَ كلِّ شيءٍ قبولَنا لجارِنا كما هوَ، وإعطاءَهُ الحقّ بأن يكونَ كما هوَ، حتّى وإنْ كانَتْ طريقتُه تعني موتَنا ودمارَنا. إنّها عدالةٌ راديكاليّةٌ نَراها في اللهِ الذي قَبِلَ الإنسانَ الساقِطَ بدلاً من نبذِه وتدميرِه، الذي قَبِلَ الإنسانَ بسقوطِهِ، عالِماً أنّ هذا السُّقوطَ يعني صَلْبَ ابنِ اللهِ. هذا هو فِعْلُ العدالةِ المسيحيّةِ، وهناكَ تبدأُ هذه العدالةُ، وليس عندما تُوزَّعُ الثَّرواتُ الماديَّةُ أو الروحيَّةُ بالتّساوي أو بشكلٍ انتقائيٍّ. إنّها عندما نسمحُ للآخر أن يكونَ كما هو مهما كانَتِ النتائجُ. فقط بهذا الثّمنِ يمكنُ أن نرى في ملامحِ الشّخصِ الآخرِ وجهَ السيِّد الحيِّ والممجَّدِ.

إنّ هذا يعني شَيئاً قد تَكلَّمْتُ عنه مُسبقاً، وهو (التّضامنُ) كما نراه في المسيحِ. هذا التّضامنُ الداخليُّ مع الإنسانِ الساقِطِ، بآلامِه الأخيرةِ، بعَدَميّتِه الأساسيّةِ أو نوعاً ما عَدَميّتِه النسبيّةِ – لأنّ المسيحَ فقط هو الأساسُ والجوهَرُ – سيُمكِّنُنا من تحمّلِ مسؤوليّاتِنا. ولكن يجبُ أنْ أبيّنَ هنا أنّ المسؤوليةَ المسيحيّةَ والتّضامنيةَ، لديهما معاً صفةٌ تجعَلُهما غيرَ ممكنتينِ وغيرَ مقبولتينِ عندَ حدٍّ معينٍ، لأنّهما تضعان كِلا الطّرفينِ في صراعٍ. المسيحيُّ يمكِنُه أنْ يدْعَمَ إحدى المجموعاتِ البشريّةِ ضدّ الأُخْرى، ولكنّهُ لا يستطيعُ أن يفكّكَ تضامنَه مع الآخرِ من أجلِ الأولِّ. في الصّراعِ، سواءٌ كان مُسلّحاً أو اجتماعيّاً أو اقتصاديّاً أو

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نفسيّاً، المسيحيُّ يجبُ أن يكونَ حاضِراً عند لحظةِ الانفجارِ، وأن يقبلَ بشكلٍ كاملٍ مسؤوليّتَه اتّجاهَ كلا الجانبين.

أولاً سأُعطي مِثالاً حولَ القانونِ العامِّ من التّاريخ الكنسيِّ: أنشأَ القدّيسُ باسيليوس قانوناً كنسيّاً لم يُطبّقْ أبداً – مثلَ عدّةِ قوانينَ كنسيّةٍ أُخْرى – وهذا القانونُ يقولُ إنّه في حال وُجدَ صراعٌ مُسلَّحٌ فإنّ المسيحيَّ مدعوٌّ ليُشارِكَ فيهِ، (لأنّه لو كانَ مُستَحِقّاً لاسمِ مسيحيٍّ لكانَ عليهِ أن ينشُرَ الحُبَّ المتبادَلَ حولَهُ، ولما كان هنالِك أيُّ صِراعٍ. وحيثُ أنّهُ هوَ من يتحمّلُ مسؤوليّةَ هذا الصِّراعِ الدّامِيْ، فعليهِ أنْ يُمارِسَ دورَه فيهِ. على أيّة حالٍ، طِيلةَ فترةِ الصِّراعِ المستمرِّ ولثلاثِ سَنواتٍ بَعدَه يُحرَمُ كنسيّاً). وهذه حالةٌ واضِحةٌ ودقيقةٌ ولاهوتيّةٌ تماماً، ولها أَهميّةٌ كُبْرى. والذي دعا إلى عدمِ تطبيقِها أبداً هو أنّها تُعبِّرُ في الوقتِ نفسه عن المعنى الجوهريِّ والأساسيِّ للتّضامنِ الثّنائيِّ القُطبِ، والمسؤوليّةِ التي هي مماثِلَةٌ جدّاً لفعلِ التجسُّدِ.

هذا هامٌّ جداً، وأرغَبُ بالحديثِ حولَه في بِضعَةِ كلماتٍ. يذكُرُ سِفْرُ أيوبَ في نهايةِ الإصحاحِ التاسعِ، أنّه حينَ توجَّهَ أيوبُ في يأسِهِ إلى السَّماءِ الفارِغةِ، القاسيةِ والصّامتةِ قائِلاً: "أينَ هو الإنسانُ الذي سيَقِفُ بيني وبينَ قاضِيَّ وسيَضَعُ يَدَهُ على كتفِ كلِّ واحدٍ منّا؟ أينَ هو ذاك الذي سيَقومُ بِفِعْلِ الشّفاعةِ؟"، أنْ تلتَمِسَ الرّحمةَ لا يعني أنْ تُذَكِّرَ اللهَ بما قد نَسِيَهُ، كما نفعَلُ دائِماً: يا اللهُ هذا الإنسانُ جائِعٌ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هذا عطشانٌ، هناكَ حَرْبٌ في فيتنام، اضطِراباتٌ في أمريكا، يوجدُ هذا وذاك، افعلْ ما يجبُ. كَلا، الشَّفاعَةُ لا تتضمَّنُ أنْ نقولَ لله ما قد نَسِيَه للقيامِ به، ونُحَمِّلَه مسؤوليّةَ الموقف. بحسبِ التّعبير اللاتيني، أنْ تلتَمِسَ الرّحمةَ يعني أنْ تتّخِذَ خُطوةً تجعَلُنا في قلبِ التوتّرِ، العنفِ والصّراعِ، وأن تبقى هناك لبرهةٍ أو لوقتٍ طويلٍ.

ما عاناه أيوبُ في نزاعِهِ مع الله، في مَنْ هو الشّخصُ الوحيدُ الذي يمكنُهُ وضعُ نفسه بينَهما، ويجبُ أن يكونَ مساوياً لهُمَا، وبإمكانِهِ أنْ يضعَ يَدَهُ على كتفِ الله الحيِّ دونَ تدنيسه، وعلى كتفِ الإنسان بألِمه، دونَ أنْ يُدمِّرَهُ؟ هذه هي الصّورةُ الأولى عمّا هو المسيحُ، الإلهُ الحقيقيُّ والإنسانُ الحقيقيُّ، الإلهُ الكاملُ والإنسانُ الكاملُ، وهو الذي فيه وبوساطتِه تَحيا تمامَ الألوهةِ في الجَسَدِ البشريِّ في وسطِنا.

هذا هو فِعْلُ الشّفاعة من قبل المسيح، والذي هو سِرُّ التجسُّدِ، هذا العملُ الحاسِمُ للمسيحِ، لكلمةِ الله الذي تجسَّدَ وصارَ إنساناً، ليسَ فقط لزمنٍ ما، لكن لكلِّ وقتٍ.

هذه هي الشَّفاعةُ، وهي في نفسِ الوقتِ عَمَلٌ يَسبِقُ الصّلاةَ، إنّها ارتباطٌ كاملٌ وتامٌّ يجعلُنا مرتبطينِ وغيرَ مرتبطينِ من كلا الجانبينِ، بالتّضامنِ مع المسيحِ من جانب، ومع الآخرينَ من جانبٍ آخر. الكلمةُ المتجسِّدُ قد قتَلَهُ الإنسانُ لأنّه كانَ إلهاً، وقد سِيقَ إلى الصَّليبِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لأنّه كانَ إنساناً. لقد ماتَ مَوْتاً مُستَعاراً، والذي هو موتُ الإنسان، وهم لم يَقبَلوا بهِ لأنَّ شهادتَه كانَتْ للهِ الذي ابتعدَ عنه شعبُ إسرائيلَ "نريدُ أن نكونَ مِثْلَ كُلِّ الأمم!" قالوا لصموئيل عندما طَلبوا مَلِكاً لهم. وقد أجابَ اللهُ صموئيلَ: "إنّه ليسَ أنتَ، إنّه أنا الذي رَفَضُوه" (1صم8:5-7). وهذه كانَتْ كلماتُ الرّفضِ النهائيّةِ للشّعبِ أمامَ بيلاطُسَ: "ليسَ لنا مَلِكٌ آخرُ سوى قيصرَ".

إنَّ فِعْلَ الشّفاعةِ بحدِّ ذاتِه هو فعلُ صلاةٍ وعَمَلٍ، لذلك يبدو لنا هذا الفعلُ بمثابَةِ إيمانٍ حيٍّ، شيءٌ به تصبحُ الصّلاةُ حيّةً. وإنْ لم تكن الصّلاةُ والحياةُ وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ، لعُمْلَةٍ واحدةٍ، فكِلاهما غيرُ موثوقٍ.

يقولُ عاموسُ بأنّ النبيَّ هو الذي يُشارِكُ اللهَ أفكارَهُ مَعَهُ، وهو كنبيٍّ حقيقيٍّ يُعلِنُ هذهِ الأفكارَ، يعيشُها، يشهَدُ لها، ويصبحُ أداةً لعَمَلِ اللهِ. ونحنُ لأجل ذلك مدعوون في الكنيسةِ لنكونَ أداةً لعملِ اللهِ في وسَطِ هذا العالمِ. هذا نشاطٌ خاصٌّ بالكنيسة، والذي يعني أنّ دورَ المسيحيِّ في كافّةِ المجالاتِ الاجتماعيّةِ والسياسيّةِ والاقتصاديّةِ والنواحي التربويّة والأمور الماليّةِ، له خصوصيةٌ تختلفُ عن دورِ الآخرين في العالمِ.

إنّه أداةٌ لعَمَلِ اللهِ الذي يجبُ أن يكونَ في تَناغُمٍ مع كلِّ ما يجري من أمورٍ. إحدى واجباتِ المسيحيِّ ليسَ فقط بكونه الخميرةَ في العجينِ، ولكنَّهُ السّيفُ الذي يَفصِلُ الظُّلمةَ عن النّورِ، والصّوابَ عن

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخطأ، والموتَ عن الحياةِ، واللهَ عن الشّيطانِ. وهو يَفرُضُ عليهِ ألا يكونَ حجَرَ عَثرَةٍ، أو مُفتَرِيّاً أو مُثيراً للإزعاج، مع التّأكيدِ الكامِلِ بأنّنا لا نَسعى إلى مملكةِ الحيوانِ، وأنّنا لا نقبلُ بالارتدادِ عن العقيدةِ، وأنّنا لا نُريدُ عدالةً فيها إنكارٌ للعدالةِ الإلهيّةِ. بل نُريدُ الحقيقةَ التي هي رَفْضٌ للحقيقةِ الشخصيّة: (أنا الحقيقةُ)، وما إلى ذلكَ.

إنّنا مدعوونَ لأنْ نكونَ العَمَلَ الإلهيَّ، الذي من خلالِه يتجلّى اللهُ في العالمِ، مُظهِرينَ أنّ قدرَنا هو المسيحُ. نَعَمْ، لقد أَكَّدَ المسيحُ لنا: "أنّنا سنقومُ بأعمالٍ أعظمَ من أعمالِهِ..." وهذا صحيحٌ: ونحنُ مدعووّنَ بقوّتِه وبروحِه لإنجازِ العَمَلِ الذي كان حاسِماً ولم يكن نهائيّاً.

يجبُ أنْ نكونَ شاهِدين للحضورِ الإلهيِّ في العالمِ، للفائِقِ القُدرةِ، لحقيقةِ أنَّ الأبديةَ أصبَحَتْ جوهريّةً وقائِمةً في وسَطِنا. اللهُ فينا ومن خلالِنا، اللهُ الذي يُباينُ مقياسُه قياسَ البَشَرِ، السِّرُّ الإلهيُّ. وبنفسِ الوقتِ أعلنَ اللهُ نفسَه بطريقةٍ لا تُصدَّق – التي لا يمكنُ للإنسانِ أنْ يقومَ بها – في المسيحِ، فظَهَرَ لنا كإنسانٍ دونَ حمايةٍ، عُرضَةً للانتقادِ، منبوذاً من الناسِ، مُحاطاً بالكُرْهِ، مَرفوضاً، والذي ماتَ بسببِ ذلك، وكان انتصارُهُ في ذُلِّهِ.

أعتقدُ أنّ ما ذَكَرْتُهُ يُعيدُنا إلى صورةِ المسيحِ التي أَعطاها لنا عندما قالَ: "لقد كَرَّسْتُ نفسيْ، لقد ضَحَّيْتُ بنفسيْ لأجلِهم". لا أعرفُ أيّ من الكلماتِ سأستخدمُ، لأنَّ الكلمةَ اليونانيّةَ غنيةٌ بالمعنى،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بحيثُ لا يمكنُ ترجمَتُها بكلمةٍ واحدةٍ. إنّها تعني عملٌ رئيسٌ للتّكريسِ. إنّها تَخُصُّ اللهَ بالمطلَقِ، إنّه اللهُ. وليسَ هذا فقطْ، ولكن بعُمْقِ بَشَرِيَّتِها لها إرادةٌ واحدةٌ، حياةٌ مع الله. وهذا عملٌ حُرٌّ بحيث أن كِلا المشيئتين تتوحّدانِ بطريقةٍ تامةٍ، وأن كِلّتا الطّبيعتين غيرُ منفصلتين، وأنّ كلمةَ الله تُصغي إلى مشيئةِ الله وتُراقِبُ بعُمْقٍ ماذا يفعلُ الآب، ثُـمَّ تُتـابِعُ العملَ في العالمِ لتَتِمَّ إرادةُ الآب من خلال الأسرارِ المقدّسةِ.

لقد ضحَّى بنفسِهِ. أنْ تُضحّيَ بنفسك في الوقتِ الحالي يعـني أنْ تَبذُلَ دمَكَ، أو أنْ تَفرِضَ قيوداً على نفسكَ من أجلَ الآخرِ. هـذه الطّريقةُ التي نُضحّي بها بأنفسنا، نفعلُ الشيءَ اليَسيرَ من أجلِ جارنـا (الآخر)، ولكن أن تضحّيَ بنفسك يعني (أنْ تُكرِّسَ نفسَكَ) وأيضـاً أن تُقدِّمَ نفسَكَ كضحيّةٍ. ألم يَقُل المسيحُ: "لا أحَدَ يأخُذُ مِنّي حـ ـاتي أنا أُعطيها". لقد سَلَّمَ نفسَه وماتَ.

ما هو موقفُنا في هذه الحالةِ؟ أليسَ هو نوعٌ من مزيجٍ من الصّـورِ النّاجحَةِ، مع تِلك المضطربةِ وغيرِ المنظَّمةِ التي أحاولُ أن أقدِّمَهَا في هذا الحديثِ؟ أليستْ تلكَ الصورُ هي التي تسمَحُ لنا باتّخـاذِ طريقِنـا في وحدانيّةِ حضورِ الله، بواسطة الطّرقِ المتعدّدةِ التي تجعلُ هذا الحضـورَ يتحمّلُ ويُعبِّرُ عن نفسه، والتي تُدرِجُ نفسَها في حالاتٍ متعدِّدةٍ؟ ولكنَّ دورَنا هو أنْ نكونَ مطيعين أيضاً. ليسَ بالطّريقةِ الميكانيكيّةِ التي تَعـني

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سماعَ الأوامرِ وتنفيذَها، ولكنَّ الطّاعةَ بالعُمْقِ، والتي تُخوِّلُنا الإصغاءَ بيَقَظَةٍ، باهتمامٍ وبحيويّةٍ، بُغيَةَ فَهْمٍ وإدراكِ ما نَسمَعُه.

هذا يكونُ في تناغُمٍ مع ما يبحثُ عنهُ العالَمُ، لأنّ الرّوحَ القُدُسَ لا يعملُ في الكنيسةِ فقط، ولكنّهُ يعملُ في كلِّ مكانٍ بقوّةٍ وطاقةٍ، غالِباً ما تكونُ مُثيرَةً للإعجاب. اللهُ هو الذي يَحكُمُ الكنيسةَ في هذه الأوقاتِ، وفيما يتعلّقُ بكلِّ ما يجري حولَها من حيث الاضطهادُ، الاحتِجاجُ، الإلحادُ، ورفضُ صورةِ اللهِ التي نقدِّمها للعبادةِ البشريّةِ، فعلينا بالتّأكيد أنْ نتعلَّمَ تحمُّلِ مسؤوليّةِ أخطاءِ الماضي، وليسَ النَوحُ عليها وعلى أنفسنا فقط، ولكن أنْ نَراها في محاكَمَةِ اللهِ لنا. وهذا ما نُحاولُ التّوصُلَ إليه، والذي هو حقيقةُ اللهِ الأبديّةُ في وقتِنا الحاليْ.

لا أستطيعُ إعطاءَكَ وصفةً طبيّةً (عِلاجاً)، ولكن يمكنُ فقط أنْ أشيرَ إلى ثلاثةِ عواملَ كخاتمةٍ لما سَبَقَ.

(التأمُّلُ الدّاخليُّ)، والذي هو ليسَ شكلاً عاديّاً من أشكالِ الحياةِ، ولكنّه هو الوقوفُ وجهاً لوجهٍ أمامَ اللهِ، الوقوفُ أمامَهُ بصمتٍ عميقٍ. هو الحضورُ المزدوجُ والمتبادَلُ لحضورِ اللهِ والإنسانِ، والإنسانِ مع اللهِ.

الصّلاةُ بفعاليّتها، هي سِمَةٌ بَشَريّةٌ نكونُ من خلالِها حاضِرين مع اللهِ. وفي وضعِها النّهائيِّ في العالمِ حيث نحنُ نعيشُ، هي صلاةُ العالَمِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لله، وإيصالُ صَرْخَةَ العالمِ إلى اللهِ الحيِّ. وهذا بالطّبعِ تمـــرينٌ نُسْـــكيٌّ يُبيِّنُ درجةَ انسجامِنا مع أعمالِنا البشريَّةِ.

أخيراً، هنالك (الفِعْلُ). وكما قُلْتُ سابقاً، هذا الفِعْلُ يجـــبُ أنْ يكونَ عملُ اللهِ بوساطتِنا. دعونا أولاً نتعلَّمُ كيفَ نسمعُ، ونصـــغِيْ، ونرى ونفهمُ اللهَ، العالَمَ والآخرَ. ومن ثَمَّ العَمَلُ بشكلٍ رئيسٍ استناداً إلى حِكمَةِ اللهِ الموجودةِ في الكتابِ المقدَّسِ، في الحياةِ وفي الأســـرارِ المقدَّسةِ، وليسَ بمفرَدِنا وبحِكْمَتِنا البشريّةِ.

الكنيسةُ الأولى أكَّدُتْ بقوةٍ بأنّ هذا ما يُشَكِّلُ المدخَلَ إلى مَعرِفَةِ اللهِ والعَمَلِ باسمِ اللهِ. وإنْ حاوَلْنا بأمانةٍ أن نعيشَ في اللهِ ومـــن أجـــلِ حضورِهِ في العالمِ، فأنا على ثِقَةٍ أنّ اللهَ في كلِّ وقتٍ سيُعَلِّمُنا كيفَ نفعَلُ مشيئَتَهُ. ربّما تكونُ الطُّرقُ مختلفةً، ومتناقِضَةً، ومُتعارِضَةً..... لأنّكَ إنْ قَرَأْتَ العهدَ القديمَ أو الجديدَ سترى أنّه لا يحتوي علـــى قـــوانينَ أو شَرائِعَ، بل هُنالِكَ استجاباتٌ إلهيّةٌ، والتي هي متناقِضَةٌ نوعاً ما. إنّ اللهَ يُوازِنُ الوقتَ، وهو يُواجِهُ كلَّ حالةٍ بأبديّةٍ مُطلَقَةٍ.

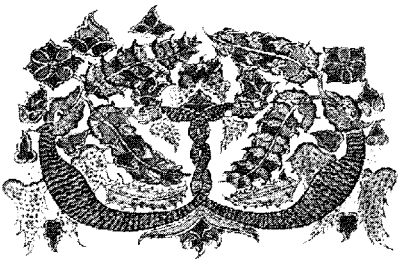

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يوحنّا المعمدان

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يوحنّا المعمدان

كان يوحنّا المعمدان سابقَ السَّيِّدِ المسيحِ الذي أتى قبلَه ليُهيِّئ الطّريقَ أمامَه، وليجعلَ الطُّرقَ الملتويةَ مستقيمَةً. هذا بالضّبط ما نحن مدعوّون لفعلهِ تجاهَ الآخرين في تهيئةِ الطّرقِ المستقيمةِ أمامَهم ليجدوها، لمساعدتِهم في الوصولِ إلى الربِّ.

سأحاولُ توضيحَ بعضِ الصّفاتِ في شخصيةِ القديسِ يوحنّا المعمدان، التي أشعر أنَّه بإمكاننا أن نتعلَّم منها شيئاً ما عن وضعِنا، وما علينا فعلُهُ، وما يجبُ أن نكونَ عليه؟

أولاً، عندما نقرأُ إنجيلَ القديسِ مرقسَ سنتعرّفُ على يوحنّا المعمدان على أنَّه صوتُ صارخٍ في البريّةِ، وليس نبيّاً أو مُرسَلاً من اللهِ. كان منسجماً تماماً مع الرسالةِ، مع كلمةِ اللهِ التي يتوجَّبُ عليه إعلانُها، وإخبارُ الشعبِ أنه لم يعُد بالإمكانِ رؤيته بعد تمامِ الرسالة، أو سماعِ صوتِهِ خلف صوتِ الشّهادةِ العظيمةِ لروحِ اللهِ الحيّ الذي يتكلّم من خلاله.

الشيءُ (الأولُ) الذي يجبُ أن نتعلَّمَه هو أنّنا عندما نُوصِلُ رسالةً ما للنّاس، فإنّهم نادراً ما يفهموننا، ويفهموا الرِّسالةَ التي نُوصِلُها لهم، لأنّنا لسنا متطابقين تماماً مع ما نقولُه. ولكي نكون متطابقين علينا أن نقرأَ الإنجيلَ، أنْ نعيشَ فيه ويعيشَ فينا إلى أكبرِ حدٍّ ممكن، بحيث أنّنا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عندما نتحدّثُ من خلاله وباسمِهِ، يجب أن يكون الإنجيلُ ببساطةٍ – ومهما استخدمنا من كلماتٍ وهنا لا أتحدّث عن الاقتباس – هو المتحدِّثُ ونحن معه كصوتٍ فقط، صوتٍ لله.

الشيءُ (الثاني)، هو أنّه حتى نصلَ إلى تلك الحالةِ التي استطاع فيها أن يتحدّث دون أن يُلاحَظ، حتى إن كلَّ ما فهمهُ الناسُ عنه هو أنّه شخصٌ تحوّلَ بالكاملِ إلى رسالةٍ، إلى رؤيةٍ، إلى إعلان. بمعنى أنّه شخصٌ قَبِلَ التخلّي عن الأنانيّةِ والجشعِ وعن كلِّ الملذّاتِ الماديّة. لديه قلبٌ نقيٌ، وعقلٌ صافٍ، وإرادةٌ غيرُ متسلّطةٍ، وجسدٌ مُدرَّبٌ، وسيطرةٌ تامّةٌ على الذات، فعندما أتتهُ الرسالةُ لم يَهزِمْه الخوف، ولم تُغْرِهِ الوعودُ وتُسكِتْه. أو ببساطةٍ لم يتغلَّب ضَعْفُ الجسدِ ولا سماكةُ الذّهن، ولا قساوة القلبِ على نورِ الروحِ القدسِ وقواه. وهذه أيضاً إحدى واجباتِنا.

أنا لا أتحدّثُ الآن عن أنواعِ النّسكِ أو عن طرقِ ممارستِها، بل عن وجوبِ تعلُّمِ أن نكونَ أحراراً. ولكي نكون كذلك علينا أن نتمكّنَ من السيطرةِ على أنفسنا. هذا أمرٌ هامٌ جداً، ولتحقيقِ ذلك يجبُ أن نتعلَّمَ وننظُرَ، ولكن ليس النّظَرُ إلى الناسِ وأحوالِهم فقط، وإنّما النّظَرُ نحو الله والتعلُّمُ والسّمْعُ، فالطاعةُ أمرٌ حيويٌّ وأساسيٌّ. طاعةُ مشيئةِ الله تحتاجُ إلى تدريبٍ. مشيئةُ الله هي جنونٌ، إنّها متناقضةٌ. لا يمكن طاعةُ الله لأسبابٍ منطقيّةٍ. ما يطلبُهُ اللهُ في الغالبِ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هو عملٌ جنونيٌ، وإلا ما كنّا لنتجرّأ على القيامِ به. تـــذكَّرْ إبـــراهيمَ الذي وعده اللهُ بابنٍ، وتحقّق هذا الوعدُ. وعدَهُ بأنّ هذا الابنَ سيكون بدايةَ النّسلِ البشري المؤمن، وستكثُر ذريّتُه أكثرَ من رمالِ الشاطئ. ورَغمَ هذا آمن إبراهيمُ به، وبعد طاعتهِ أمـــره اللهُ أن يأخـــذَ ابنَـــه ويُحضِرَه إليه كذبيحة دمٍ، ففعَل ذلك إبراهيمُ ولم يقـــلْ لله: "هـــذا مخالفٌ ومناقضٌ لوعودِكَ السابقةِ!". لقد وضع ثقتَهُ بالله، وفعل مـــا أمره اللهُ به في تلك اللحظة، تاركاً اللهَ يُنجز وعودَه بالطّريقـــةِ الـــتي يريد.

هذا يحدثُ معنا أيضاً. نحن مدعوون للعملِ يوماً بعد يوم، لحظةً بعد أخرى، بحسبِ مشيئةِ اللهِ المعلَنةِ في تلك اللحظة، التي يكون فيها الاختلافُ بين العملِ المسيحيِّ ومجرَّد أيِّ عملٍ آخر. يجبُ أنْ يكـــونَ هذا العملُ مُخطّطاً له في الحقيقةِ، دون أن يتناقضَ مع عملٍ آخر. لا وجودَ للتّراجعِ والعودةِ إلى الوراءِ وللطّرقِ الملتوية، يجب أن يكـــونَ الأمرُ مستقيماً. إذا أردنا العملَ بحسبِ مشيئةِ اللهِ فيجب أن نكـــونَ كالمسيحِ الذي أصغى للكلمةِ وأعلَنها، الذي حدَّق بإمعانٍ نحـــو اللهِ وأعماله، وعندما رأى، أنجَزَ العملَ بحســـبِ مشـــيئةِ اللهِ وتفكـــيرِهِ وتصوّراتِهِ الخلاّقة. هذا ما يجبُ أن نتعلَّمَه، ولكن للقيامِ بذلك يجـــب أن نتعلّمَ السيطرةَ على أنفسنا، وأن نصبحَ قـــادرين علـــى القيـــامِ بالعمل، ليس عندما نوافقُ أو نفهمُ فقط، ولكن حتى عندما لا نوافقُ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عليه في مكانٍ ما من آدمَ القديمِ في داخلِنا، وحتى عندما لا نفهمُ فإنّ واجبَنا أن نقولَ فقط: (أنا أثقُ بكَ، سأعملُ ما تريد).

السابقُ، له سِمةٌ أخرى، ولنتذكّرْ ما قاله: "يجب أن أنقُصَ وهو يَزيد". واجبُنا هو عبورُ الطّرقِ المستقيمةِ وتهيئتُها، ولكن عندما نفعلُ ذلك يجب أن نتنحّى جانباً ونسمحَ لسيِّدِ الحياةِ – الذي نُعِدُّ الطّريقَ أمام الآخرين للوصولِ إليه – ليَدخُل بعظمتِه الإلهيّةِ أو بتواضعِه في بساطةِ دخولِهِ إلى أورشليم. يجب أن نتنحّى، لأننا كلّما تباهَينا وتكبّرنا نتسبَّبُ بألا يرى الناسُ المسيحَ.

هنالك مواقفُ يكون فيها غيابُنا ضرورياً لمجدِ وعملِ الله، بقدر ما يكون حضورُنا ضرورياً في لحظةٍ أخرى.

تذكّروا الطريقةَ الأخرى التي عُرِف بها السابق. عندما يتحدّثُ عن نفسِهِ يقول بأنّه صديقُ العريسِ أيْ أنّه كان الشخصَ الذي يحبُّ العريسَ والعروسَ، يجمعهما سويةً ويُحبّهُما لدرجةِ أن يكون حامياً لحبّهما، لقربِهما من بعض، لسلامِهما وللقائِهما (اللهُ الحيُّ والروحُ الحيّ)، ومن ثمّ يقف كحارسٍ لحمايةِ لقائِهما من أيِّ تطفُّلٍ، ودون أن يسعى ليكون جزءاً من هذا اللقاء، بل يكون خارجاً. تلك هي طريقتُه الخاصةُ بالحبِّ والخدمة. وبنفسِ الوقت، يجب أن نكونَ مستعدّين لاستقبالِ ملكوت السماوات باسمِ العريسِ والعروسِ اللذين نخدمهما، وباسم هذا الحبِّ الغامضِ. إنّ انتصارَ اللهِ في هذه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأمورِ كلّها هو انتصارٌ على الموتِ والشَّرِّ، على الخطيئةِ والانفصالِ والدناءة، التي هي صغيرةٌ جداً بالنسبة لمنزلةِ الإنسان. يجب أن نكونَ مستعدين للنطقِ بالحقيقة، حقيقةِ الله، وليس بحقيقتِنا.

تذكّرْ الطريقةَ التي تكلّم بها يوحنا السابقُ عن هيرودس، الطريقةَ التي وجّه بها كلامَه إلى الحشود. لنتمكّنَ من القيامِ بذلك يجبُ أن نملكَ السّلطةَ، والسّلطةُ لا تُكتَسبُ بالمركزِ أو بالمستوى الاجتماعي. بل نحصلُ عليها بذلك الاندماجِ بين مشيئَتِنا الخاصّةِ ومشيئةِ الله، كلمتِنا الخاصّةِ وكلمةِ الله، حياتِنا الخاصّةِ وحياةِ الله، فنصبح (نحن إياه). عندئذٍ يمكنُنا التحدّثُ، وعندئذٍ ستَنْفُذُ كلماتُنا مهما كانت قاسيةً وحادّةً وصادقةً وعميقةً إلى داخلِ الإنسان. ستكون كلماتُنا عندئذٍ – ومهما فَصَلَتْ بين الجسدِ والروحِ – مملوءةً بالحبِّ، لأنّ كلمةَ الله هي الكلمةُ التي تَنطِقُ بالحقِّ دائماً، وتعطي النورَ والحبَّ والحياة. ومن ثمّ يجبُ أن نكونَ مستعدّين لعدمِ رؤيةِ نتائجِ أعمالنا. فالسّابقُ مات قبل رؤيةِ المسيح؛ وصلَ إلى نهايةِ رسالتِهِ وأنجزَ مهمّتَه ثمّ مات. مات لأجل رسالته، مات لأجلِ حقيقةِ الله، مات لأنّه أصبحَ متطابقاً مع الرّسالةِ والحقِّ، لأنّه كان صديقَ العريسِ الذي كان عليه أن ينقُصَ حتّى يملأَ العريسُ كلَّ شيءٍ. يجب أن نكونَ مستعدّين لمثلِ هذا الأمرِ. في كلِّ حالةٍ، فيما يتعلقُ بكلِّ روحٍ، بكلِّ جماعةٍ، بكلِّ حدثٍ، بكلِّ ظرفٍ، كان يوجدُ مثلُ هذا الظرفِ للسّابقِ حتّى يَنقُصَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويُمحى، وربّما ليس جسدياً، بل من ذاكرةِ الناس، ومن قلوبهم. يجب أن نكونَ مستعدّين حتّى لا نُذكَرَ أبداً. لأن كلَّ ما نُقِلَ وكُشِفَ عبر الكلمةِ هو غنيٌّ ووافرٌ جداً، حتّى أنّ السابقَ الذي هيّأ الطريقَ ونَقَلَ الكلمةَ يمكنُ أن يُنسى. إنّه لَفَرحٌ أنْ نرى المسيحَ الرّبَّ ينمو إلى ملءِ قامتِه، أنْ يأخذَ مكانتَهُ الحقيقيةَ، أنْ يكونَ الملكُ والرّبُّ والسيّدُ، الأخُ والمخلّصُ، الفرحُ والحريّةُ لأولئك الذين أتينا لنقولَ لهم: (إنّه آتٍ، جهّزوا أنفسَكم لاستقباله). هذا ما يدعوه الإنجيلُ بالتوبةِ والاعتراف.

الآن سأقولُ لكم ماذا يقولُ الكاهنُ في نهايةِ القداسِ الأرثوذكسي للشعب: (لِنَخْرُجَ بِسلامٍ) إنّه يَصْرِفُهم، ولكن ماذا يعني هذا؟ هل يعني هذا ببساطةٍ نهايةَ الخدمة، والطلبَ من الشعبِ الخروجَ من الكنيسة! بينما يقولُ الشعبُ المصلّي بطريقةٍ غامضةٍ (الشّكرُ لله).

كلا، ليس هذا هو المقصود، وإنّما المقصودُ هو ما يلي: لقد كنتم على جبلِ التجلّي، لقد رأيتُمْ مجدَ الله، كنتم على الطّريقِ إلى دمشق، لقد قابَلْتُم اللهَ الحيَّ، كُنتُم في العليّة، كُنْتُم هنا وهناك في الجليلِ واليهوديّةِ، في كافةِ الأمكنةِ الغامضةِ حيث يمكن أن نقابلَ الله. والآن وبعد أنْ قضَيْنا عدّة أيامٍ معه يقولُ لكم بعد كلِّ هذه العطايا لنَخْرُجَ بسلامٍ، ولن يُغادِرَكم فرحَكم. لن تخسَروا ما حَصَلْتُم عليه طالما أنّكم تحافظون على إيمانِكم. اذهبوا الآن، وإنْ كنتم قد اكتشَفْتُم الفرحَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حقّاً، كيف تستطيعون ألا تُعطُوه للآخرين؟ إنْ كُنتُم حقّاً قد اقتربْتُم من الحقيقة، كيف يمكنكم الاحتفاظُ بها لأنفسكم؟ إن كان حقّاً قد أَضاءَ شعاعُ الحياةِ فيكم، هل ستَمْنَعون أيَّ شخصٍ آخرَ من الحصولِ على شعلةٍ منه؟ لا يعني هذا أن تخرجوا إلى العالمِ وتُخبروا كلَّ الناسِ عن أمورٍ دينيّةٍ خاصةٍ، أو تستخدموا عباراتٍ لاهوتيّة، بل المقصودُ هو أن تَذهَبُوا إلى عالمِكُم أنتم، بشعاعٍ من الفرحِ وبتصميمٍ، بحيث تجعلوا كلَّ شخصٍ ينظرُ إليكم، يقولُ في نفسه: (لقد حَصَلوا على شيءٍ لم يكن لديهم سابقاً). هل حقّاً اقترب اللهُ منهم؟ هل حقّاً حَصَلوا على شيءٍ لم يكن لديهم سابقاً وأنا نفسي لا أمتلِكُه؟ الفرحُ، والحياةُ، واليقينُ، وشجاعةٌ جديدةٌ، جرأةٌ جديدةٌ، رؤيا، من أين يمكنني الحصولُ على كلِّ ذلك؟

سيقولُ النّاسُ لكم أيضاً (أنتم مجانين)، وسأُجيبُ في هذه الحالاتِ وهي كثيرةٌ (أنا مجنونٌ، ولكن شيئاً واحداً أَجِدُهُ غريباً. أنتم الحكماءُ تَدعُونَ هذا الإنسانَ مجنوناً وهو إنسانٌ سعيدٌ وحيٌّ، وأنتم كالأمواتِ، دعونا نَتَشارَكْ بجنوني، إنّه جنونُ الله).

الآن سوف تبدأون، سوف تذهبُون مع اللهِ في كافّةِ طُرُقِهِ، يمكنكم أنْ تَرقُصُوا على جبلِ التجلّي، أنْ تَجلِبُوا الفرحَ للآخرين، وليبارِكْكُم اللهُ في هذا الفرح. لا أعرفُ كلمةً أخرى سوى (الفرحِ)،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اذهبوا بفرحٍ واجلبوا الفرحَ، وبذلك تكونون قد أحضرتم كلَّ شيءٍ، لأن اللهَ هو الفرحُ والحياةُ والتّصميم.

ليُبارِكَكُم الله، ليس لكم وحدَكم، وإنّما لكلِّ من يختَصُّ بكم من عائلاتِكم وأصدقائِكم، أولئك الحاضِرين والغائِبين، أولئك الذين ستقابلونَهم خلال مسيرةِ حياتِكم، أعطوهم شعاعَ الحياة.

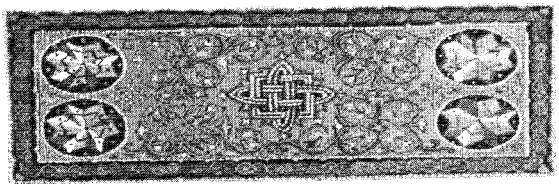

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

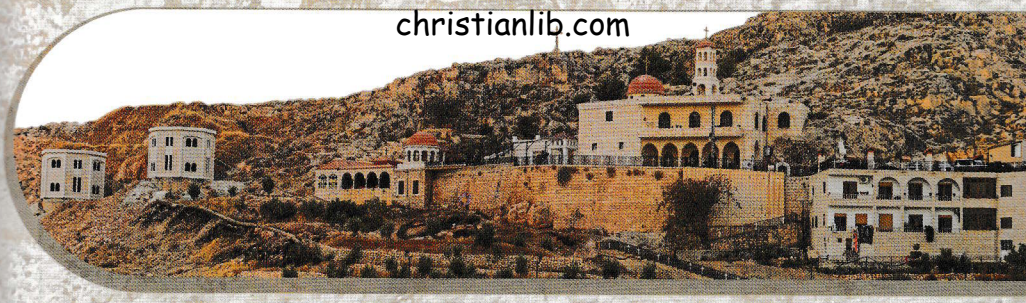

كتابُ "اللهِ والإنسانِ"، كتابٌ عميقٌ ومُحي.
يَدعُو المطرانُ أنطوني في هذا الكتابِ التقليديّ عن الروحانيّةِ الأرثوذكسيّةِ، إلى سلوكٍ عبادي يتوجّهُ إلى اللهِ والناسِ والحياةِ. بَدْءاً بالمُلحِدَةِ ورئيسِ الأساقفةِ، الذي هو النصُ الكاملُ للحوارِ التلفزيونيّ الشهيرِ مع مرغانيتا لاسكي، حيثُ يُلخِصُ الحياةَ المسيحيّةَ فيما يتعلقُ بالعبادةِ والفرحِ وتحدي النموِ إلى مَلءِ القامةِ.
فيما تستكشفُ الفصولُ الأُخرى، الشكَّ والقداسةَ والصلاةَ وعلاقةَ الإنسانِ باللهِ، مُشَدِدةً على أنّ الإنسانَ يصبحُ إنساناً فقطْ عندما يَتحدُ مع اللهِ بشكلٍ أبديّ وعميقٍ وغيرِ مُنفصلٍ.

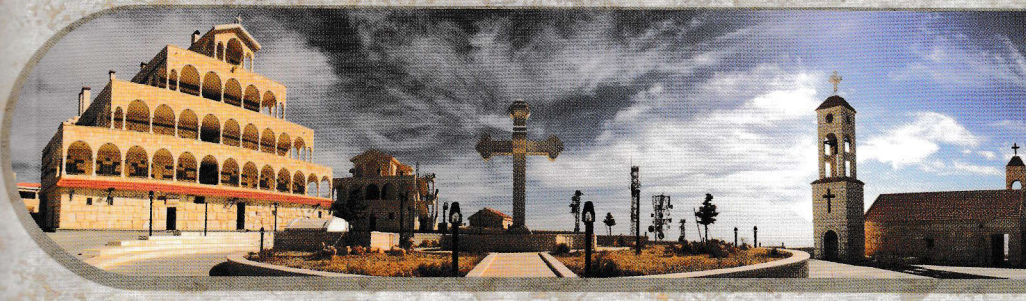

هذه النسخةُ الجديدةُ تتضمنُ مُقَدِمَةً لمطرانِ (سيرابيفو) الأسقفِ باسيل.

المطران أنطوني: كان رئيساً للكنيسةِ الروسيّةِ الأرثوذكسيّةِ البطريركيّةِ في بريطانيا العظمى وايرلندا (أبرشيةِ سوروز). لقد كَتَبَ عِدةَ كتبٍ من بينها مدرسةُ الصلاةِ، والصلاةُ الحية.
رَقَدَ بالربِّ في شهرِ آب مِن عام 2003.

coptic-books.blogspot.com